ANDREW PHILLIP SMITH

JOHN THE BAPTIST AND THE LAST GNOSTICS

THE SECRET HISTORY OF THE MANDAEANS

الثناء على أندرو فيليب سميث

"إنجاز فكري مذهل وعمل أساسي لأي شخص مهتم بالجوانب الأقل شهرة للمعتقدات الغنوصية، القديمة والحديثة على حد سواء."

– أنتوني بيك، مؤلف كتابي "فتح أبواب الإدراك" و"المجال الذهني اللانهائي"

"دراسة رائعة ومدروسة جيدًا في دين متلاشي وكيف يربطنا بـ 2000 عام من التاريخ الديني."

– ريتشارد سمولي، مؤلف كتاب الإيمان المحرّم: التاريخ السري للغنوصية

"قاموس الغنوصية هو مورد قيم لأي طالب من طلاب الغنوصية. إذا كنت بحاجة إلى مترجم مفيد للغة، أو دليل متعاطف مع معتقدات هؤلاء النساء والرجال الاستثنائيين الذين عاشوا منذ زمن بعيد، في عالم بعيد جدًا، فهذا هو الكتاب المناسب لك. فكر في الأمر على أنه "دليل الكون الوحيد إلى الغنوص"، وقم دائمًا بحزم نسخة عندما تنطلق إلى هذا البلد الغريب والمثير. رحلة ممتعة!"

-تيموثي فريك وبيتر غاندي، مؤلف أسرار يسوع وإنجيل المجيء الثاني

إنجيل فيليب
"يوفر لنا ثروة من التعليقات التوضيحية الثاقبة، والترجمة هي الأكثر سهولة حتى الآن. كل أولئك الذين لديهم اهتمام بالتقاليد الغنوصية وأسرارها سيكونون سعداء بتلقي هذا العمل الرائع!"

- ستيفان أ هولر ، مؤلف يونغ والأناجيل المفقودة ويونغ الغنوصي

"كم هو منعش الانتقال من ثقافتنا المعاصرة للحرفية المسيحية إلى عالم روحي يعيش بالرمز والاستعارة وشعر الإله."

- رون ميلر، رئيس قسم الدين، كلية ليك فورست، مؤلف إنجيل توماس: دليل للممارسة الروحية

أقوال يسوع الضائعة
"إذا كانت الأناجيل تمثل غيضًا [من أقوال يسوع]، فقد قدم أندرو فيليب سميث بقية جبل الجليد. هنا دليل على أن صوت [يسوع] لم يصمت أبدًا ".

روبرت إم برايس، أستاذ الدراسات الكتابية، معهد جوني كولمون اللاهوتي

رائع... سيوفر للباحثين الروحيين والمسيحيين الملتزمين والعلماء الأكاديميين [نظرة ثاقبة] للأقوال المنسوبة إلى يسوع والتي قد لا يعرفون أنها موجودة. كتاب مرجعي قيم ومساهمة كبيرة في دراسة تاريخ الأفكار المسيحية.

- ستيفان ديفيز، أستاذ الدراسات الدينية، كلية ميسيريكورديا ومؤلف إنجيل توماس: شرح وتفسر

من تأليف نفس المؤلف

إنجيل توما: نسخة جديدة تستند إلى معناها الداخلي إنجيل فيليب: مشروح ومفسر
أقوال يسوع الضائعة: تعاليم من مصادر مسيحية ويهودية وغنوصية وإسلامية قديمة – مشروحة ومفسرة
كتابات غنوصية عن الروح: مشروحة ومفسرة قاموس الغنوصية
الغنوصيون: التاريخ والتقاليد وتأثير الكتب المقدسة والتاريخ السري للغنوصيين
الغنوصي: مجلة الغنوصية والباطنية الغربية والروحانية، *1-6 (المحرر)*
التعاليم المفقودة للكاثاريين

أندرو فيليب سميث

يوحنا المعمدان
وآخر
الغنوصيون
التاريخ السري للمندائيين

WATKINS
Sharing Wisdom Since
1893

المحتويات

باسم الحياة العظيمة!

******

مقدمة

تتباين ملابسه البيضاء النقية مع المياه الموحلة بينما يقوم المعمدان ذو اللحية البيضاء، وعصاه مستندة إليه، بغمس رأس المعمد في النهر. ربما يكون مشهدًا توراتيًا. النهر هو الأردن. قد يكون هذا يوحنا المعمدان وهو يغمر يسوع، أو الروح القدس على وشك النزول في شكل حمامة، أو الصوت من الأعلى على وشك أن يعلن: "أنت ابني الحبيب، بك سررت". [1]

ولكن ليس يسوع هو الذي يتعمد وليس يوحنا هو الذي يقوم بالتعميد. أنا أنظر إلى صورة فوتوغرافية، من حوالي عام 2002. هذا النهر هو "ياردنا" باللهجة الآرامية التي يتحدث بها المعمد، أي حرفيًا "الأردن". ولكن هذا ليس نهر الأردن المادي والجغرافي الذي يمر عبر دولتي الأردن وإسرائيل. هذا النهر موجود في العراق ومن المرجح أن يكون نهر الفرات. ولكن من الممكن أن يكون نهرًا في نيو جيرسي، الولايات المتحدة الأمريكية، أو نهر نيبيان الذي يمر عبر حديقة عامة في سيدني، أستراليا. كل نهر نظيف في العالم كله يمكن أن يكون بمثابة نهر الأردن إذا تم استخدامه لهذا الغرض. ولا تعتبر هذه المعمودية حدثًا بارزًا في حياة المسيحي، الذي يسمح له بالانضمام إلى الكنيسة. تحدث هذه المعموديات كل أسبوع. وهؤلاء الناس ليسوا مسيحيين أو يهود أو مسلمين. إنهم المندائيون.

إن هؤلاء الناس المحبين للسلام، والذين يعتبرون من حراس التقاليد الدينية القديمة للأقليات، والذين وقعوا ضحايا للعنف الطائفي والتطهير العرقي، فروا إلى سوريا والغرب، وقد يتم العثور عليهم بأعداد صغيرة في أماكن غير متوقعة مثل سيدني أو نيوجيرسي أو مانشستر. وهم من بين ضحايا التدخل الغربي في العراق وأنشطة داعش الأخيرة. وعلى الرغم من حرصهم على الاندماج مع ثقافاتهم المحلية، وكثيراً ما يكونون سعداء بأن يُنظر إليهم على أنهم مسيحيون، فإن دينهم مميز للغاية، حيث يقوم الكهنة (المعروفون باسم التارميداس) بإجراء معموديات نهرية درامية وهم يرتدون أردية بيضاء. وقد يزعمون أيضًا أنهم آخر الغنوصيين. إنهم البقية الوحيدة الباقية من الطوائف القديمة المرتبطة بالمسيحية والتي علمت الغنوص المعرفة المباشرة بالله، وخلقت أناجيلها وأساطيرها الخاصة، وتعرضت للاضطهاد باعتبارها زندقة من قبل الكنيسة في القرنين الثاني والثالث. يضعالمندائيون هذه المعموديات النهرية الأسبوعية في مركز حياتهم الدينية، ويُزعم أن النبي الأكثر أهمية، على الرغم من أنه ليس مؤسس دينهم، هو يوحنا المعمدان (يحيى باللغة المندائية). ولهذا السبب أصبحوا معروفين، بشكل غير دقيق، باسم "مسيحيي القديس يوحنا" لدى الغربيين الأوائل الذين التقوا بهم.

هل يمكن أن يكون هذا صحيحا حقا؟ هل يمكن لدين عرقي غامض في الشرق الأوسط أن يعود إلى الغنوصيين ويوحنا المعمدان؟ من المؤكد أن الغنوصيين - وهو مصطلح شامل لمجموعة من

الجماعات الدينية غير التقليدية المعروفة لدى العلماء باسم السيثيين والفالنتينيين وما شابه ذلك - انقرضوا في العصور القديمة، بعد تهميشهم واضطهادهم من قبل الكنيسة؟ تم القضاء على الكاثاريين في العصور الوسطى، والذين يُنظر إليهم عمومًا على أنهم المجموعة الأخيرة من خلفاء المسيحية الغنوصية الثنائية، في سلسلة من المجازر المتعطشة للدماء والمعروفة باسم الحملة الصليبية الألبيجينية. كيف يمكن لطائفة غير معروفة في العراق وإيران أن ترتبط بالجماعات الغنوصية الضالة التي ازدهرت في مصر وسوريا وإيطاليا وفرنسا؟

وهل يستطيعون حقًا الادعاء تاريخيًا بأن يوحنا المعمدان هو نبيهم؟ يعلم جميع المسيحيين أن دور يوحنا كان مجرد تمهيد للوحي المسيحي، وهي الوظيفة التي تم تحقيقها بعد أن عمد يسوع. لقد تم قطع رأس يوحنا نفسه على يد هيرودس أنتيباس قبل صلب يسوع. هل كانت تلك نهاية قصته بالتأكيد؟ [2] هل نحن الآن في عالم التاريخ البديل؟ في بعض النواحي، نعم. يتضمن الكثير من التاريخ البديل إعادة النظر الجذرية في أصول المسيحية، وصلاحية انتقالها عبر القرون، وإمكانية وجود تقاليد سرية. هناك شعور قوي في الغرب ما بعد المسيحية بأن المسيحية السائدة تفتقر إلى بعض العناصر التي ربما كانت موجودة في البداية؛ وأن شيئًا ما قد تم حذفه من القصة. ومن هنا جاء انتشار الأبحاث البديلة والكتب الشعبية حول الأنوثة الإلهية في المسيحية؛ والعلاقة بين يسوع ومريم المجدلية؛ وأهمية الرسل غير بطرس وبولس؛ وأهمية المسيحيين المهزومين أو غير الأرثوذكس مثل الغنوصيين والكاثار وفرسان الهيكل. تلتقي هذه المفاهيم المتعلقة بالمسيحية المفقودة، والتلاميذ الذين تم تجاهلهم، والاستمرارية السرية بشكل مذهل في نظرية المؤامرة حول سلالة يسوع، المعروفة بشكل أفضل في العالم الناطق باللغة الإنجليزية من خلال روايتي "الدم المقدس والكأس المقدسة" و"شيفرة دافنشي".

معظم هذه النظريات، على الرغم من كونها مثيرة للاهتمام، إلا أنها تعاني من مشاكل. أولاً، يبدو لي أن هذه النصوص تمثل انتصاراً للحرفية. إن فرضيات هذه الكتب مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالأحداث المادية والواقعية. وسيتم التركيز على السلالات والأطفال والزواج، والجمعيات السرية والكنوز المفقودة؛ حول صحة الآثار والمباني الغامضة والمخطوطات المفقودة. في المسيحية السائدة، ما تم غمره حقًا، أو لاستخدام استعارة أكثر غنوصية، ما تم دفنه، هو معناه الداخلي - عنصر التجربة الروحية الحقيقية أو الغنوصية. إن النقل الحقيقي تحت الأرض هو نقل الغنوص، وليس من سلالة وراثية تنتهي في مجتمع سري مشبوه. ما الفائدة من اكتشاف الوريث السري ليسوع إذا تبين أنه فرنسي يميني متطرف، مصاب بجنون العظمة، ومنحرف؟

لقد رسمت ذات مرة قصة قصيرة تهدف إلى محاكاة ساخرة للافتتان بالجمعيات السرية والتاريخ البديل. سيكتشف البطل مجتمعًا انتشر في جميع أنحاء العالم، إلى كل قارة. كان أتباعه يولون أهمية كبيرة للنسب، والذي تلقوه في حفل التأهيل الذي لا يمكن إجراؤه إلا من قبل أولئك الذين كانوا بالقرب من قمة التسلسل الهرمي. وكانوا قادرين على تتبع تأهيلهم جيلاً بعد جيل، عبر العقود والقرون، من كل فرد إلى سلفه. ومع تتبع تاريخهم، بدأوا يتجمعون في عدد قليل من الأماكن المقدسة، ومدينة واحدة على وجه الخصوص. مع مرور القرون، يظل النسب ثابتًا، ويعود إلى القرن الثاني - ومن يدري! -

وحتى القرن الأول. إنها أم كل نظريات المؤامرة، وهي تجسيد للمنظمة القوية التي تسيطر على الحضارة خلف الكواليس. وكانت المفاجأة أن هذه لم تكن طائفة غامضة أو دائرة داخلية باطنية بل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. (بالطبع، هناك بالفعل عدد من المؤامرات حول الكنيسة الكاثوليكية ومكتبة الفاتيكان، التي تحتفظ - كما نود أن نعتقد - بنسخ من كل إنجيل مفقود ونسخ بخط اليد لكتابات يسوع نفسه، وكلها تحتوي على أسرار، إذا سمحت الكنيسة بمعرفتها، فإنها ستدمر المسيحية إلى الأبد.)

ولكن، على الرغم من كل عيوبها، فإن الرؤى البديلة للمسيحية صحيحة في اعترافها بأن الهيئات الكنسية الرسمية التي عينت نفسها ليس لها أي ادعاء حصري بالحقيقة والسلطة، وأنها في مراحل مختلفة من التاريخ اضطهدت وأقصت أولئك الذين كان لديهم صدق روحي أكبر. في تساؤلهم حول القصص الرسمية لأصل المسيحية والتطور المبكر للكنيسة، وفي فهمهم لوجود طرق أخرى للتواصل مع الماضي بدلا من التاريخ الأكاديمي، فإن هذه الرؤى البديلة صحيحة تمامًا.

قصة المندائيين هي تاريخ بديل حقيقي. لقد مثلوا بديلاً عن الديانات الإمبراطورية العملاقة المسيحية والإسلامية، على الرغم من أنهم - كما سنرى في الفصل الأول - ليسوا الوحيدين في هذا.

إنهم يقدمون بديلاً لقصة الكنيسة المنتصرة، التي قضت على بدعة الغنوصية القبيحة. إنهم يقدمون بديلاً للتاريخ المأساوي للغنوصيين القدماء: المندائيون هم غنوصيون لم ينقرضوا. في السابق كنت متشككًا بعض الشيء بشأن هذه الادعاءات حول الديانة المندائية. وقد أكدت العديد من الدراسات الحديثة حول الغنوصية أنها ليست فئة أكاديمية متماسكة، أو أنه في تقييم أكثر إيجابية، فإن الأشخاص الوحيدين الذين ينبغي لنا أن نسميهم غنوصيين حقًا هم طائفة واحدة تُعرف أيضًا باسم السيثيين. ولكن أثناء بحثي وكتابتي لهذا الكتاب أذهلني مدى تأثري بالأفكار المندائية الغنوصية. مرارا وتكرارا، بينما كنت أقوم بفرز المواد المتعلقة بهم، كنت أستطيع أن أرى، رغما عني تقريبا، كيف أن النظرة العالمية الشاملة، والموضوعات الرئيسية، وحتى التفاصيل الدقيقة للغنوصية، تظهر باستمرار في المندائية.

إنهم يجبروننا على التشكيك في النظرة المسيحية إلى يوحنا المعمدان باعتباره مجرد سابق للمسيح. إن بقاء المندائيين على قيد الحياة بشكل استثنائي هو قصة تجبرنا على التساؤل حول وجهة النظر السائدة عن يسوع. من الممكن أن يكون هناك انتقال بديل على مدى فترة 2,000 عام. ولكن هذا ليس كتابًا مليئًا بالتكهنات غير التقليدية. في الغالب فإن المواضيع التي تتم مناقشتها هنا هي نفس المواضيع التي يناقشها الأكاديميون. إلى حد كبير، استنتاجاتي متشابهة، ومثل أي كاتب آخر في الموضوعات التاريخية، فإنني مدين للمؤرخين والأكاديميين المحترفين بالفضل في العمل الأساسي والجهد المبذول في الترجمة والتجميع والتحليل.

لقد كان بعض العلماء القلائل الذين شاركوا في الدراسات المندائية أصدقاء حقيقيين للمندائيين، حيث قدموا الدعم المادي، ومؤخرًا المساعدة للاجئين المتضررين من الأزمات في العراق وسوريا. في قصة المندائيين، يلتقي التاريخ البديل والدراسة الأكاديمية الدقيقة. المندائيون هم تاريخ بديل حي

للغنوصية.

لا يتناول هذا الكتاب تجربة حياة المندائيين المعاصرين، بل يتناول تاريخهم الاستثنائي والإمكانيات الرائعة التي توفرها لقاءاتهم وتأثيرهم على فرسان الهيكل والحرانيين، وأصولهم كتلاميذ ليوحنا المعمدان. ومع ذلك، أثناء كتابتي للكتاب، حاولت دائمًا أن أضع في اعتباري أن المندائيين هم مجموعة عرقية حقيقية حية وليسوا عرقًا قديمًا منقرضًا.

ربما لا تكون أساطير المندائيين بنفس أهمية ممارساتهم الطقسية، إلا أن القصص هي الأساس الميتافيزيقي للدين. هذه ليست أساطير أدبية بل هي جزء من واقع المندائيين المتدينين. وصفت الباحثة جورون باكلي كيف أن مأمون الدليمي، وهو مندائي من أصل بغدادي ولكنه يعيش في نيويورك ويعمل كـ مهندس يستعين بالشخصية الإلهية هيبيل زيوا (هابيل) للحصول على القوة الإضافية عندما كانت هناك حاجة إليها. ذات مرة، طلب من هيبيل زيوا وماندا دي هايي (المنقذ المندائي) مساعدته في نقل سيارته بنجاح على ممر جليدي. [3]

مع أنهم شعب ودين حي، إلا أن بقاءهم ليس مضمونًا. لقد أصبح من الصعب عليهم بشكل متزايد الحفاظ على قيود دينهم والشروط التي يتم من خلالها نقل المعرفة الباطنية للكهنة والعلمانيين المتعلمين. ومع ذلك، فقد واجه المندائيون عبر القرون الأزمات تلو الأزمات بإصرار وصمود.

إن المندائيين، الذين يتعرضون لهجوم من جانب الفوضى والعنف في الشرق الأوسط، ومن جانب آخر للضغط المتجانس من الغرب، معرضون لخطر الانقراض الفعلي، سواء كجماعة عرقية أو دين.

وهكذا يبدأ هذا الكتاب بالوضع الراهن الذي يعيشه المندائيون. طريقتي هي إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، والعودة عبر العصور على طول الخيط غير المترابط لتاريخهم. لتسهيل السرد، سأضطر إلى التنقل ذهابًا وإيابًا من حين لآخر، ولكن هذا في الأساس تاريخ معكوس، حياة ننظر إليها من الخلف، وننظر دائمًا نحو المهد والرحم. على الرغم من أنهم كانوا محصورين في مناطق محدودة من العراق وإيران طوال الجزء الأكبر من وجودهم، فقد ظهر المندائيون في سياق أكثر جوانب التاريخ غرابة: اليسوعيون البرتغاليون، (ربما) فرسان الهيكل، مدينة حران التي بقيت فيها الديانة الوثنية لقرون بعد مجيء محمد، الإسلام نفسه، حتى فلسطين في القرن الأول وما بعده. لقد حافظ المندائيون على دينهم وعرقهم وثقافتهم عبر القرون. ومع ذلك فإن الكثير من تاريخهم مجرد تخمينات. ترسم الأدبيات المندائية قصة محددة جيدًا، وإن كانت مروية بطريقة غامضة. يمكن للتاريخ النقدي أن يظهر أن بعض جوانب القصة المندائية من غير المرجح أن تكون قد حدثت. أما الجوانب الأخرى، مثل نزول الكيان الملائكي هيبيل زيوا إلى يهودا في القرن الأول، فهي خارج التاريخ. في كثير من الأحيان لا يوجد أي أثر للمندائيين لعقود أو قرون، على الأقل بأي طريقة يمكن للغربيين الوصول إليها؛ ولكن بعد ذلك يظهرون مرة أخرى، حيث تُغمر أرديتهم البيضاء في النهر، بجانب أكواخ عبادتهم (الماندا)، وهم يعمدون في الماء الحي لنهر الأردن الأبدي. [4]

الفصل الأول

ديانة غريبة: ديانات الأقليات في الشرق الأوسط

عندما نفكر في الشرق الأوسط، وخاصة في القرن الحادي والعشرين، فإننا نفكر في الإسلام. ربما تكون إيران والعراق أول ما يتبادر إلى ذهن المواطن الغربي العادي. إن اسم إيران يثير في الأذهان صور آية الله الخميني، ورجال الدين ذوي اللحى الطويلة، والجهاد والفتوى. العراق يستدعي صدام حسين والفوضى التي أعقبت تغيير النظام الذي فرضه الغرب.

وبعيدًا عن العراق وإيران، شهد الشرق الأوسط تطورات أحدث مثل المؤامرات المخيفة التي ينفذها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام/داعش/الدولة الإسلامية، ونظام الأسد في سوريا، والقصف التركي لكردستان، والأهوال التي لا تنتهي في إسرائيل وفلسطين. الموضوع المشترك هو الإسلام. الغرب هو المجتمع المعروف، الديمقراطي، الاستهلاكي، المسيحي أو العلماني ما بعد المسيحي. الشرق الأوسط هو الإسلام. الإسلام هو الآخر.

إلا أن هذا ليس صحيحا. لقد كان الإسلام بالفعل قوة مهيمنة في الشرق الأوسط، ولا يزال كذلك. لكن، إلى جانب الأقليات المسيحية العديدة المنتشرة في المنطقة، واليهود الذين كان لهم تاريخيا مجتمعات في العديد من بلدان الشرق الأوسط ولكنهم الآن يتجمعون بشكل رئيسي في إسرائيل، فإنها موطن للعديد من الديانات الأقلية. قد يكون هذا الأمر صادمًا بالنسبة لأولئك منا الذين يعتبرون الغرب متسامحًا، لكن الإسلام كان تاريخيًا أكثر استيعابًا للأديان الأخرى من المسيحية على الإطلاق. [1]

ويوصي القرآن الكريم على وجه التحديد بالتسامح مع ثلاث – أو أربع إذا تم تضمين ذكر واحد للزرادشتيين – الجماعات الدينية خارج الإسلام: المسيحيون، واليهود، والصابئة الغامضون. وقد سمحت هذه الفئة الأخيرة لعدد من الجماعات الدينية الأقلية بالبقاء على قيد الحياة، على الرغم من عدم ازدهارها، على مر القرون في الشرق الأوسط. لقد كان من الأفضل دائمًا لهؤلاء الأشخاص أن يعتنقوا الإسلام. وكان لغير المسلمين ضريبة خاصة فرضت عليهم في بعض الأحيان في بلدان مختلفة. ومع ذلك، وعلى عكس المسيحية ما قبل الحديثة، فإن الإسلام يعترف دائمًا بوجود ديانات أخرى صالحة. وهذا تراث من المفيد للجماعات الإسلامية الحديثة أن تتذكره.

المندائيون هم إحدى المجموعات التي تم الاعتراف بها على أنها صابئة، مما يمنحهم مكانة "أهل الكتاب". وسوف ننظر إلى الصابئة مرة أخرى في وقت لاحق من الكتاب ونتحقق مما إذا كان هذا يعني أنه كان من الممكن الإشارة إلى المندائيين على وجه التحديد في القرآن.

لا يشكل المندائيون المجموعة العرقية الدينية الأقلية الوحيدة غير العادية في الشرق الأوسط. ولكي نفهم قصة المندائيين، علينا أن ندرك الاستمرار المدهش لهذه الديانات الأخرى. لا أحد منهم لديه ادعاء يعود إلى زمن يسوع، كما يفعل المندائيون؛ ولا يستطيع أحد منهم أن يدعي أنه آخر الغنوصيين الباقين على قيد الحياة. ولكن لكل منهم قصة رائعة. لم تكن هذه الأقليات، التي قد تختلط أيضًا مع المندائيين، معروفة على نطاق واسع في الغرب حتى وقت قريب، وحتى الآن فإن معظم الناس يعرفونها من خلال العنف وأزمة اللاجئين.

اليزيديون

ولعل المجموعة الأكثر شهرة من هذه المجموعات هم اليزيديون. أدت أنشطة داعش في عام 2014 إلى حصول الإيزيديين - المعروفين أيضًا باسم الإيزيديين أو الأيزيديين - على اهتمام دولي واسع النطاق لأول مرة منذ وجودهم الطويل. كما حظيت محنة المندائيين بقدر معين من الاهتمام من حين لآخر، وخاصة في الصحف. لقد تلاشت معاناة نزوحهم كلاجئين وانتهاكات حقوق الإنسان التي تعرضوا لها في خلفية الفوضى والعنف اللذين هيمنا في أعقاب حرب العراق الثانية.

ينتشر الإيزيديون في عدة بلدان بمئات الآلاف: سوريا، وجورجيا، وأرمينيا الكردية، وشمال غرب إيران، وشمال العراق، حيث يقع أقدس مزار لهم في مدينة لالش الإيزيدية. وأصبح هناك الآن أفراد وعائلات متفرقة في الغرب. على الرغم من أن اليزيديين قد يُنظر إليهم على أنهم مجموعة عرقية، إلا أنهم في المقام الأول جماعة دينية. ينتمي العديد من الإيزيديين إلى العرق الكردي (على الرغم من أن البعض ينكر ذلك) ويتحدث معظمهم اللغة الكرمانجية، اللغة الكردية. لديهم محرمات غريبة: عدم أكل الخس أو السمك وعدم ارتداء الملابس الزرقاء. وقد أيد المندائيون هذا التحريم للون الأزرق في الماضي، ولم يتم تفسيره بشكل مُرضي.

ربما يكون المحرم الأكثر شهرة بالنسبة لهم هو عدم قدرتهم على التحرك خارج الدائرة التي تم رسمها حولهم. ألهم هذا عنوان مسرحية بيرتولت بريشت "دائرة الطباشير القوقازية" ورواية ج. إ. غوردجييف عام 1888 من ألكسندروبول في أرمينيا:

> في منتصف الدائرة المرسومة على الأرض وقف أحد الصبية الصغار، يبكي ويقوم بحركات غريبة، وكان الآخرون يقفون على مسافة معينة يضحكون عليه. لقد شعرت بالحيرة وسألت ما الأمر برمته.
>
> وعلمت أن الصبي الذي في الوسط كان يزيديًا، وأن الدائرة قد رُسمت حوله، وأنه لا يستطيع الخروج منها حتى تُمحى. لقد كان الطفل يحاول بكل قوته أن يخرج من هذه الدائرة السحرية، لكنه كافح دون جدوى. ركضت نحوه ومسحت بسرعة جزءًا من الدائرة، وعلى الفور اندفع وهرب بأسرع ما يمكن.
>
> لقد أذهلني هذا الأمر لدرجة أنني وقفت ثابتًا في مكاني لفترة طويلة كما لو كنت مسحورًا، حتى عادت قدرتي المعتادة على التفكير. مع أنني سمعت شيئًا عن هؤلاء

الإيزيديين، إلا أنني لم أفكر فيهم قط؛ لكن هذه الحادثة المذهلة، التي رأيتها بأم عيني، أجبرتني الآن على التفكير فيهم بجدية.

> ... بعد سنوات عديدة من الحادثة التي وصفتها للتو، قمت بإجراء تحقق تجريبي خاص لهذه الظاهرة ووجدت أنه في الواقع، إذا تم رسم دائرة حول إيزيدي، فإنه لا يستطيع من تلقاء نفسه الهروب منها. داخل الدائرة يستطيع التحرك بحرية، وكلما كبرت الدائرة كلما اتسعت المساحة التي يستطيع التحرك فيها، لكنه لا يستطيع الخروج منها. هناك قوة غريبة، أقوى بكثير من قوته الطبيعية، تبقيه في الداخل. أنا شخصياً، على الرغم من قوتي، لم أتمكن من سحب امرأة ضعيفة من الدائرة؛ كان الأمر يحتاج إلى رجل آخر قوي مثلي.
>
> إذا تم سحب إيزيدي بالقوة من دائرة، فإنه يقع على الفور في حالة تسمى بالتصلب، والتي يتعافى منها في اللحظة التي يتم إعادته فيها إلى الداخل. ولكن إذا لم يتم إعادته إلى الدائرة، فإنه يعود إلى الحالة الطبيعية، كما تأكدنا، فقط بعد ثلاث عشرة أو إحدى وعشرين ساعة.[2]

أما أماكنهم المقدسة فهي الكهوف أو الأضرحة ذات الأسقف المخروطية. تلعب العناصر الأربعة دورًا مهمًا في علم الكونيات لديهم - وخاصة النار، والتي يتم تمثيلها من خلال النيران المشتعلة في أضرحتهم. ملك طاووس، الملاك الطاووس، هو الشخصية الإلهية المركزية لدى الإيزيديين. ويُطلق عليه أيضًا اسم إبليس أو عزازيل، وهما اسمان للشيطان في الإسلام. ولذلك يُطلق على اليزيديين اسم عبدة الشيطان. ومع ذلك، فهم ليسوا من عبدة الشيطان: حتى أن نطق اسم الشيطان محظور تمامًا، وهو أمر مسيئ للغاية إلى آذان اليزيديين لدرجة أنهم كانوا حتى العصر الحديث، على الأقل من حيث المبدأ، مجبرين على قتل أي شخص ينطق الاسم.[3] ومثل لوسيفر، سقط ملك طاووس من النعمة، لكنه افتدى نفسه فيما بعد بالتوبة عن خطاياه إلى حد أنه بكى لمدة 7000 عام، وملأ سبعة جرار بدموعه، والتي استخدمت بعد ذلك لإطفاء نيران الجحيم. وبذلك أصبح ملك طاووس الكيان الذي يعبده الإيزيديون.

الشيخ عدي بن مسافر، وهو صوفي ولد حوالي عام 1075، ويُعتبر مصلحًا لليزيدية، على الرغم من أنه ليس مؤسسها. قد يكون ذلك شخصية غامضة تدعى السلطان إيزيد أو يزيد. وقد ارتبط إيزيد بعدد من الشخصيات، من الله نفسه إلى الخليفة يزيد، وهو حاكم سني مبكر كان الإيزيديون في المناطق ذات الأغلبية الشيعية حريصين على الابتعاد عنه. تبدو هذه التفسيرات وكأنها تبريرات بعد وقوع الحدث.

بالنسبة للعلماء الغربيين، يبدو أن هناك القليل من اليقين بشأن اليزيدية. يبدو أن النصوص المقدسة المفترضة لليزيديين، والتي تُرجمت من اللغة الكردية ونُشرت في أوائل القرن العشرين، كانت مزيفة تم اختراعها لإرضاء فضول الغرب. وهذا يعني أنه على الرغم من أنها قد تمثل المعتقدات اليزيدية، إلا أنها في الواقع ليست الكتب المقدسة لليزيديين. ويبدو أن الإيزيديين، مثل الصابئة المندائيين، كانوا في كثير من الأحيان يخبرون الغرباء بما يريدون سماعه.

الديانة اليزيدية، على غرار المندائية وغيرها من الديانات الأقلية في الشرق الأوسط، لديها دائرة داخلية باطنية من الكهنة والعلمانيين الذين ليسوا على دراية بالأسرار الحقيقية لإيمانهم.

إن تدخل الشيخ عدي بن مسافر في التاريخ اليزيدي يذكرنا إلى حد ما بتدخل يوحنا المعمدان في المندائية. وكما أن يوحنا يمنح المندائيين صلة مسيحية، فإن الشيخ يمنح الإيزيديين نسبًا إسلاميًا. علاوة على ذلك، قد يكون الارتباط حقيقيًا وتاريخيًا، على الرغم من أن الإيزيديين يحافظون أيضًا على المعتقدات والطقوس التي سبقت الإسلام مع السمات الكردية والرافدينية والزرادشتية. وقد تعود هذه الجوانب إلى آلاف السنين قبل ارتباطها بالتصوف.

لا يتم تصنيف اليزيديين عادة على أنهم غنوصيون، على غرار نوع الدين الذي نشأ في العالم اليهودي الهلنستي، على الرغم من أن الإله المتعالي البعيد الذي لا يمكن أن يقال عنه الكثير والتشابه بين ملك طاووس وصوفيا الهجينة وشخصية المخَلص المُخلص يشير إلى بعض التقارب مع الغنوصية. وفي فداء الشيطان وتحويله إلى شخصية المخلص ربما نجد مثالاً للتفسير العكسي المألوف في الغنوصية.

على الرغم من أن الإيزيديين والمندائيين عاشوا في الغالب في مناطق مختلفة من العراق، إلا أنهم بالتأكيد التقوا ببعضهم البعض. في أحد التصادمات غير العادية بين الأديان، أخبر أحد المندائيين السيدة دراور، الباحثة الإنجليزية وصديقة المندائيين، أن ملك طاووس كتب التوراة اليهودية.[4] لا بد أن يكون هذا تعديلاً لفكرة أن الشيطان كتب التوراة، ثم تمت ترجمة الشيطان إلى مصطلحات يزيدية، على الرغم من عدم دقتها.

العلويون

ومن المرجح أن الطائفة العلوية هي الطائفة الأبرز بين الأقليات الدينية في المنطقة. على غرار المندائيين واليزيديين، يحتفظ العلويون بالمعرفة الكاملة بتعاليمهم لدائرة داخلية، ولا يطلع العلمانيون على التعاليم الباطنية. كما أنهم يتمتعون بالتميز - والذي كان، للأسف، مشكوكًا فيه - بامتلاكهم بعض السلطة السياسية الحقيقية من خلال الزعيم السوري بشار الأسد، وهو علوي.

العلويون مسلمون، على الرغم من كونهم فرعًا مميزًا من هذا الدين الرئيسي. إنهم مسلمون شيعة، الفرع من الإسلام الذي ينتمي إليه حوالي خمس المسلمين في العالم. إن مكانتهم داخل عالم الإسلام الشيعي مكانة غريبة. يعود وجود المذهب الشيعي إلى الانقسام في الإسلام الذي حدث بعد مقتل علي، ابن عم محمد، الخليفة الرابع والإمام الشيعي الأول. الشيعة هم أتباع مذهب علي في الإسلام. يعترف معظم الشيعة بـ 12 إمامًا شيعيًا على وجه التحديد، مما أدى إلى تسميتهم بالإثني عشرية. هناك أقلية من الشيعة تعترف فقط بالأئمة الستة الأوائل ثم تتبع سلالة بديلة من الأئمة؛ وهؤلاء الشيعة معروفون باسم السبعية، أو الإسماعيليين، بسبب اعتقادهم بأن جعفر الصادق هو الإمام السابع (بدلاً من موسى الكاظم من الإثني عشرية).

ويؤمن العلويون بالتناسخ، كما يفعل الدروز واليزيديون، ولكن ليس المندائيين.[5] ومثل المسيحيين، يؤمن العلويون بنوع من الثالوث، ولكن لديهم ثلاثة كائنات إلهية تجسدت مؤخرًا في علي ومحمد وسلمان الفارسي. كما أنهم يقيمون شكلاً من أشكال القُرْبانُ المُقَدّس باستخدام النبيذ. تلعب الاحتفالات الكوكبية دورًا أثريًا في الديانة العلوية.

لا تزال كتبهم المقدسة سرية إلى حد كبير وغير مرئية للغربيين، ولكن يقال إنها تتضمن قائمة من الرجال المقدسين لا تشمل فقط محمدًا وخلفائه، إلى جانب الأنبياء الإبراهيميين السابقين الذين كرمهم الإسلام (مثل يسوع وموسى وما إلى ذلك)، ولكن أيضًا شخصيات وثنية يونانية مثل أفلاطون والإسكندر الأكبر.

وقد حاول الأسد إخفاء هذه الاختلافات مع الإسلام السائد وقمع العناصر الباطنية في الدين العلوي، واضطهد بعض أبناء شعبه. ولولا جهود العلويين عبر القرون للمطالبة بالانتماء إلى المجتمع الإسلامي الأوسع، لكانوا الآن في وضع أقليات دينية أخرى في الشرق الأوسط. لقد دعم العلويون الأسد في الحرب الأهلية في سوريا، مما أدى إلى مقتل حوالي ثلث الشباب العلويين. وقد أدت تصرفات الأسد إلى قلة التعاطف مع العلويين في الغرب، ولم يظهروا بشكل بارز في التقارير المتعلقة بأزمة اللاجئين السوريين.

الدروز

في بعض الأحيان يتم الخلط بين الدروز والعلويين، ويؤمن الدروز أيضًا بالتجسد ويمكنهم أيضًا الادعاء بأنهم شكل غير تقليدي من الإسلام. للدروز جاليات واسعة في سوريا (أكثر من نصف إجمالي سكانهم) ولبنان (حوالي الربع). كما أن لديهم مجموعات سكانية في إسرائيل والأردن، وبعض مجتمعات الشتات في العالم الجديد. ويتحدثون اللغة العربية، كما يفعل معظم المندائيين المعاصرين، باستثناء أولئك الذين في إيران الذين يتحدثون اللغة الفارسية الحديثة. ربما يكون من الصعب بالنسبة لنا في العالم الناطق باللغة الإنجليزية أن ندرك الجوانب المتداخلة والمتقاربة والمتباينة للهوية في الشرق الأوسط. قد توفر اللغة والموقع والدين قواسم مشتركة أو اختلافات عن الآخرين الذين يعيشون في نفس البلد، وقد يتعزز هذا أو يتضاءل من خلال تغيير السياسة.

يستطيع الدرزي الذي يعيش في إسرائيل أن يتحدث اللغة العربية، لغة القرآن، مثله مثل كثير من الناس في بلدان الشرق الأوسط الأخرى، ومع ذلك يخدم في جيش الدفاع الإسرائيلي على عكس زملائه الفلسطينيين المسلمين الناطقين بالعربية. قد يتشارك المندائيون في العراق أيضًا لغة الأغلبية العربية، وقد لا يتمكنون من فهم المندائيين الإيرانيين الذين يعيشون في بلد كان في حالة حرب منتظمة ومؤخرًا مع بلدهم، ويعتبرون أنفسهم عراقيين في المقام الأول ومع ذلك يتشاركون في خلفية دينية وعرقية قوية مع المندائيين الإيرانيين.

ويُعرّف الدروز أنفسهم أيضًا بأنهم طائفة مسلمة، على الرغم من أن دينهم، مثل العلويين، يحتوي

على سمات توفيقية. إنهم لا يعطون الأولوية لموسى بل ليثرون، الكاهن المدياني وحَمُو موسى، الذي يظهر بشكل رئيسي في خروج 18. ويُنظر إليه على أنه كاشف إلهي، ونبي، وجد للدروز. السمات المميزة للدرزية هي علم الكونيات المتأثر بالفلسفة الفيثاغورية والأفلاطونية المحدثة، إلى جانب التفسير الليبرالي لالتزامات الإسلام، والتي هي متساهلة بشكل خاص بالنسبة للعلمانيين. من الأطباق المحلية المميزة لدروز جبال لبنان، الخنزير الصغير المطبوخ في النبيذ، والذي يعتبر مكروهاً تماماً بالنسبة لأي مسلم أرثوذكسي. قبل الغزو العربي الإسلامي لسوريا مباشرة، كانت المنطقة جزءًا قديمًا من العالم الهلنستي، ومن هنا جاء إرث الفلسفة اليونانية.

ويتبع الدروز النموذج المألوف الآن للعلمانيين الذين يتم تحديدهم من خلال عضويتهم في جماعة عرقية أو مجتمع اجتماعي أكثر من معتقداتهم أو حتى ممارساتهم. إن الإلزام الأهم بالنسبة للعلمانيين هو الزواج داخل الطائفة الدرزية. هناك ضغوط كبيرة على المندائيين للزواج من مندائيين آخرين أيضًا، وقد يُعتبر أولئك الذين يتزوجون من خارج المجتمع مرتدين. يستخدم العديد من الشباب المندائيين في أستراليا وكندا الإنترنت لمساعدتهم على الزواج داخل مجتمعهم الديني.

يتمتع رجال الدين الدروز بمعرفة دينية أكبر بكثير من عامة الناس، وهناك تعاليم باطنية سرية. يتم التأكيد بشكل خاص على الطهارة والانضباط الديني في الطبقة الكهنوتية، الذين يحافظون على قوانين الطعام الإسلامية (لا لحم خنزير في النبيذ الأحمر بالنسبة لهم) ويمارسون الزهد. في القرون السابقة، كان الدروز يتمتعون بسمعة طيبة كمحاربين شرسين وقاتلوا إلى جانب المسلمين خلال الحروب الصليبية.

مع إجمالي عدد سكان دولي يتجاوز 1,500,000 نسمة، يشكل الدروز أقلية كبيرة. عندما سألت الدبلوماسي البريطاني السابق جيرارد راسل، مؤلف كتاب "ورثة الممالك المنسية"، عن أي من الديانات الأقلية العديدة التي صادفها أثارت إعجابه أكثر، كانت الإجابة:

> الدروز هم مجتمع متكامل. إذا ذهبت إلى المنطقة الدرزية، فأنت في منطقة يسكنها مئات الآلاف من الناس الذين يعيشون في نوع من الجيب الحصري الآن. في الواقع، كان الأمر كذلك دائمًا تقريبًا، ولكن معظم المسيحيين الذين عاشوا هناك غادروا.
>
> عندما تنظر إلى المجتمع الدرزي، فهو لا يزال متماسكًا. لكن في الحقيقة لديك الكهنة، كما هو الحال، يحملون على أكتافهم كل ثقل دينهم. لا أعتقد أن هذا يمكن أن يدوم بسهولة عندما تكون المجتمعات متفرقة، وعندما لا يكون الشيخ يعيش في الجوار، لكن الشيخ يعيش على بعد *100* ميل في لوس أنجلوس. [6]

الزرادشتيون

إن الزرادشتيين موثقون في تاريخهم بشكل أفضل من أي من المجموعات السابقة، على الرغم من أن الأصل النهائي لدينهم غامض مثل أي دين آخر. لقد أصبحت ديانتهم الآن أقلية بعد أن كانت في السابق ديانة الدولة القوية في بلاد فارس، أو إيران، لعدة قرون. تم إصلاح الديانة الإيرانية الأصلية ذات

العصور القديمة على يد زاراثوسترا (زرادشت هو النسخة اليونانية من اسمه)، ربما حوالي عام 1000 قبل الميلاد. التفاصيل التاريخية لحياته غير مؤكدة للغاية، وتتراوح التقييمات العلمية لتاريخ الإصلاح من 1,200 إلى 500 قبل الميلاد، وهو على الأقل شخصية شبه أسطورية. ما جاء بعد الإصلاح كان دين دولة منظمًا كان فيه إله واحد أعلى وكان يعتقد أن ثنائية الخير والشر موجودة، وليس واحدًا من المادة والروح الغنوصية أو النور والظلام.

شهدت الديانة الزرادشتية انتعاشًا في القرن الثالث الميلادي. وفي هذا الوقت، اتصلت بالدين المانويّ الجديد وهزمته فعليًا كمرشح منافس للدين الرسمي للفرس الساسانيين في القرن الثالث الميلادي. كما سنرى لاحقًا، قُتل النبي ماني بسبب النفوذ السياسي الذي كان للمجوس الزرادشتيين على الملك الفارسي. وكان المندائيون موجودين في العراق في العصر الساساني. هل يمكن أن يكون لثنائية الزرادشتية تأثير على المندائية؟ هل كان للدين المانويّ تأثيرٌ تكوينيّ على المندائيّة، أم أنّ العكس هو الصحيح؟ ما هي الثنائية بالضبط، وهل هي متوافقة مع التوحيد؟

التوحيد

يمكن وصف كل الديانات المذكورة أعلاه بأنها توحيدية، وإن كان هناك قدر كبير من الاختلاف في فهم ومعنى هذا المصطلح. الديانة المندائية هي ديانة توحيدية أيضًا. وهذه نقطة مهمة، لأن هذا الأمر قد يكون مسألة حياة أو موت في الشرق الأوسط. لا يوجد عنصر تعدد الآلهة في الديانة المندائية. هناك العديد من الكائنات الروحية، ولكن هذا ينطبق أيضًا على اليهودية والمسيحية والإسلام، حيث يوجد في كل منها مجموعة من الملائكة ورؤساء الملائكة والشياطين والجن وما إلى ذلك.[7] ويمكن أيضًا تصنيف المعتقدات المندائية، كما سنرى، على أنها ثنائية - ولكن يمكن اعتبار الأنظمة الثنائية نوعًا من التوحيد. تُصنف الزرادشتية نفسها على أنها شكل من أشكال الثنائية التوحيدية.

لقد ابتعدت اهتماماتي الشخصية بشكل كبير عن الدين التوحيدي، والذي أجد أنه مبالغ فيه إلى حد ما. لا يمكن للتوحيد أن يضحك على آلهته، ولا يمكن لإله/آلهة التوحيد أن يـ/تضحك على أي شيء أيضًا. إن نوع التوحيد الذي يعتنقه معظم المسيحيين واليهود والمسلمين يواجه صعوبة كبيرة فيما يتعلق بقضايا مثل وجود الشر. عندما يكون خالق العالم هو نفسه الإله المتعالي، فإن الإله المتعالي قد لوث يديه، إذا جاز التعبير، بمعاناة وكوارث ورجاسات الوجود المادي. ولا يسمح التوحيد بالمساواة في صحة جميع القوى النفسية التي تشكل الإنسان: الحب الجنسي، والحب الرومانسي، والمتعة، والفضول، والتسامح، والتعدي، وغيرها من الصفات التي يتم ضغطها في الخطايا والدوافع الشيطانية تحت سيطرة الإله الواحد. عندما يملي الإله الذي هو مصدر كل الكائنات القوانين والكتب المقدسة، ويمنح المنظمات السلطة، يمكنك أن تكون على يقين من أنه ستكون هناك مشاكل في المستقبل.

ولكن التوحيد له قوة، وهي تصوره لهدف واحد صحيح للإنسانية. تعترف التعددية الإلهية بتنوع النفس البشرية واحتياجاتها، وتنوع الطبيعة في آلهتها. ومع ذلك، فبدون مبدأ متسامٍ أو موحد، قد تشبه التعددية الإلهية الصرفة الإنسانية في أسوأ سماتها: غير متكاملة، متشاجرة، تافهة، محددة بالرغبة

والصراع. إن التوحيد في أسوأ صوره هو المعادل الديني للدولة الشمولية.

وبالتالي فإن اهتماماتي الشخصية تنصب على الأشكال الأكثر تنوعًا للدين والروحانية. يعكس محتوى هذا الكتاب تركيزي. ولكنني أريد أن أؤكد أن المندائيين لديهم كل الحق في أن يتم الاعتراف بهم كشكل من أشكال التوحيد. قد يكون الأمر مسألة حياة أو موت بالنسبة لهم.

الديانات الإبراهيمية

ومن الشائع الإشارة إلى اليهودية والمسيحية والإسلام ليس فقط باعتبارها ديانات توحيدية، بل أيضًا باعتبارها ديانات إبراهيمية. يمكن اعتبار موسى مؤسس الشريعة اليهودية، وحتى مؤسس اليهودية. ويُبجَّل أيضًا باعتباره نبيًا في الإسلام. موسى هو شخص مشترك بين الديانات الثلاث، ولكنه في الأساس شخصية يهودية، وهو المسؤول عن الخروج. أما إبراهيم فيعود إلى ما قبل ذلك ويمكن اعتباره المتلقي للعهد الأول مع الله. كان لإبراهيم ولدان، إسماعيل من جارية زوجته سارة هاجر، وإسحاق من سارة نفسها في شيخوختها. يعتقد اليهود أن نسبهم يعود إلى إسحاق. يرجع العرب أنفسهم إلى إسماعيل، وباعتباره عربيًا، فإن محمدًا هو من نسل إسماعيل أيضًا. من الناحية الروحية، يمكن اعتبار كل مسلم - سواء كان عربيًا أم لا - من نسل إسماعيل، و دفنت هاجر وإسماعيل تقليديًا في الكعبة بمكة. إن أصل العرب من إسماعيل ربما لا يكون أكثر ولا أقل حقيقة من أصل اليهود من إسحاق.

أصبحت المسيحية دينًا منفصلاً عن اليهودية من خلال إنكارها للعنصر العرقي - كونها متاحة للذكور والإناث، وغير اليهود واليهود، والأحرار أو المستعبدين. لقد جادل بولس مجازيًا في غلاطية 4: 24-31 أنه على الرغم من أن ابن إبراهيم من سارة، إسحاق، الذي كان إبراهيم على استعداد للتضحية به لله حتى نجا إسحاق في اللحظة الأخيرة، كان سلف اليهود، إلا أنه يمثل مجازيًا المسيحيين، وبالتالي العهد الجديد من الله إلى الأمم، في حين أن إسماعيل، المولود من أمة أجنبية، وليس رجلاً حرًا، يمثل الحالة الحالية لليهود وأورشليم. على الرغم من أن قلة من المسيحيين يولون أهمية لهذا النسب الرمزي من إسماعيل، إلا أنه يظل عاملاً مهماً لأن إبراهيم يمثل التزاماً بالتوحيد. وبالتالي فإن الأديان الإبراهيمية الثلاثة 8 يدعي كل منها نوعًا من الشرعية من أبناء إبراهيم وينظر إليه على أنه القاسم المشترك بينهم.

يمكن القول أن الديانة المندائية يمكن اعتبارها ديانة إبراهيمية. غالبًا ما لا يكون إبراهيم شخصية شعبية في الأساطير المندائية، حيث يُعتبر زعيم اليهود، الذين غالبًا ما يكون هناك الكثير من العداء ضدهم. ومع ذلك، فإنه يظهر في حكاية شعبية واحدة على الأقل رواها دروير. في هذه القصة، كان بهرام مندائيًا من عائلة كهنوتية مهمة اكتشف قرحة على قلفة قضيبه واضطر إلى الختان.[9] ربما يمكننا أن نفكر في الفئة الأوسع من الديانة الآدمية، الأديان التي تكرم شخصية آدم (على الرغم من أن حواء غالبًا لا تحظى بنفس القدر من الاحترام). آدم هو الإنسان الأول في المندائية وكذلك في الإسلام واليهودية والمسيحية واليزيدية وغيرها من الديانات.

إنه نمط واضح في الديانات القديمة في الشرق الأوسط حيث يُنسب إليها مؤسسون تاريخيون في أوائل العصور الوسطى. ومع ذلك، فإنها تحتوي أيضًا على عناصر شاذة إذا كانت طوائف إسلامية غير تقليدية تمامًا، حتى بالمقارنة مع الأنواع الأكثر تطرفًا من الشيعة. لدى الدروز تأثيرات فيثاغورسية وأفلاطونية محدثة. لدى العلويين التناسخ، وبعض الجوانب المسيحية، وعناصر العبادة الكوكبية. لدى الإيزيديين جوانب في دينهم تربطهم ببلاد فارس القديمة. إن الإيزيديين لم يؤسسهم صوفي في الألفية الثانية الميلادية، بل ربما يعود تاريخهم بشكل أو بآخر إلى آلاف السنين. تحتوي العديد من هذه الديانات على طقوس لا يمكن أن تأتي من مصادر إسلامية، بل قد تمثل بدلاً من ذلك الهيمنة المستمرة للممارسات الوثنية القديمة.

أما الوضع مع المندائيين فهو مختلف بعض الشيء. المندائية ليس لها مؤسس مسلم أو حتى مصلح مسلم لتبرير استمرار وجودها. وبدلًا من ذلك، نجد أن يوحنا المعمدان هو النبي الأخير. وبحسب الرأي السائد، فهو يهودي من القرن الأول الميلادي، وكان مبشرًا بالمسيحية، ونبيًا مذكورًا في القرآن. ولكن ربما كانت عناصر المندائية تسبق يوحنا أيضًا.

الثنائية: قوتان في الكون

الديانات الثنائية تفترض أو تعترف بوجود قوتين متعارضتين في الكون. النور والظلام، الخير والشر، الروح والمادة هي ثنائيات وجودية شائعة. غالبًا ما يتم ترتيبهما مع بعضهما البعض، بحيث قد تأتي الروح من عالم النور، وهو خير، في حين قد يكون الجسد مصنوعًا من مادة من عالم الظلام ويكون شريرًا. قد يختلف تركيز الثنائية وتداعياتها بشكل كبير، كما قد يختلف البناء الأسطوري الذي يدعمها.

إن الطبيعة العشوائية وغير الموحدة إلى حد ما للأسطورة المندائية تعني أننا قد نكون قادرين على العثور على معظم أشكال الثنائية داخل حكاياتها، من التوحيد المستقيم النقي إلى نوع الثنائية المطلقة التي تفترض أن النور والظلام كانا موجودين منذ البداية.

ومع ذلك، في كل تنوع من الثنائية، لا يمكن اعتبار سوى واحدة من القوتين مكافئة لله. إن الديانات الثنائية ترى نفسها دائمًا إلى جانب الله - كنور، وروح، وخير. لا أحد يختار أي جانب سيتخذه، على الرغم من أن أعداء الدين قد يُنظر إليهم على أنهم في جانب الشر، تمامًا كما قد يُنظر إلى المرتدين على أنهم في جانب الشر. قد لا تبدو فكرة وجود قوة خير وقوة شريرة في حالة حرب مع بعضها البعض، أو تنافسهما للتأثير على البشرية، غريبة على الإطلاق: ماذا عن الله والشيطان في المسيحية؟ صحيح أن هناك عنصرًا ثنائيًا في المسيحية السائدة، ومع ذلك لا يتم تصنيف المسيحية ولا الإسلام ولا اليهودية كديانات ثنائية. ربما يكون السبب له علاقة بنسبة القوة التي يمتلكها الله أو الشيطان. في حين يُنظر إلى الشيطان باعتباره مؤثرًا على تطور العالم وخطرًا كبيرًا على البشر، فإن هذا التأثير طفيف نسبيًا، كما كان دوره الأصلي قبل سقوطه. في المسيحية السائدة، الأرض ليست من عمل الشيطان، والبشر ليسوا من خلق الشيطان، ولا يوجد أي شك فيما إذا كان الشيطان قد اغتصب سلطة الله، ولا أن الشيطان قد قلل من شأن الله، ولا أن الشيطان قد يكون قديمًا مثل الله.[10] في الديانات

الثنائية - وهي الفئة التي تنتمي إليها الزرادشتية، والمانوية، ومعظم أشكال الغنوصية، والكاثارية، والبوغوملية، والمندائية - هناك قوتان متعارضتان مع بعضهما البعض، والساحات التي يتم فيها لعب هذا الصراع هي الروح البشرية والعالم.

إذا كان هناك قوتان في الكون، فإن بعض الأسئلة تتبادر إلى الذهن. هل هاتين القوتين متساويتان؟ هل كان الوضع هكذا دائمًا أم أن إحدى القوى استولت على السلطة؟ لأي قوة يعود وجود الأرض؟ أي القوى خلقت البشرية؟ هل الأرض مكان جيد؟ الى آخره. ولعل السؤال الأكثر جوهرية من بين هذه الأسئلة هو ما إذا كانت هاتان القوتين موجودتين على الدوام. هناك احتمالات منطقية مختلفة متاحة - على سبيل المثال، قد تكون القوتان أبناء قوة واحدة سابقة؛ ربما كانت الطبيعة الأصلية للكون هي الفوضى، والتي جاءت منها قوة الخير؛ ربما كانت هناك العديد من القوى أو الآلهة الأخرى في مرحلة سابقة ولكن الآن لا يوجد سوى اثنتين - ولكن التمييز الأكثر أهمية في الممارسة هو ما إذا كانت هاتان القوتين موجودتين منذ البداية، أو ما إذا كانت القوة الشريرة هي تطور لاحق. إذا كانت القوى أبدية، فإن الثنائية تسمى ثنائية مطلقة. إذا كان هناك في الأصل إله واحد فقط كقوة فريدة، وكانت القوة الشريرة قد سقطت أو انفصلت أو اغتصبت جزءًا من الكون، أو كانت نتيجة لعمل ملاك، فإن هذا يُعرف باسم الثنائية المعتدلة أو الملكية.

في العديد من أشكال الغنوصية، يرجع خلق العالم المادي إلى خروج صوفيا من البليروما (الإمتلاء) و ولادة الديميورج. وهكذا فإن وضع البشرية هو أن تكون الروح سجينة في المادة. إله المادة هو الديميورج، وإله الروح هو الإله الحقيقي. الروح والمادة في حالة تضاد، ولكن المادة ليست حقيقية بطبيعتها. إن الوضع مؤقت وفي النهاية سيتم تحرير كل الأرواح المحاصرة في المادة وسيتم استعادة الامتلاء إلى ملئه الأصلي.

عندما يواجه العديد من الناس الأسطورة الغنوصية في أحد إصداراتها العديدة، فإن رد فعلهم غالبًا ما يكون الشعور بأنها قاتمة أو، لاستخدام بعض الألقاب الشائعة في الدراسات الأكاديمية على مر السنين، متشائمة أو تنكر العالم أو معادية للكون. ومع ذلك، وربما بشكل متناقض، فإن ما قد يُنظر إليه على أنه نظرة عالمية سلبية لا يكون له بالضرورة تأثير سلبي على المشارك فيه. رأى الكاثاريون في منطقة لانغدوك في العصور الوسطى أن العالم من عمل الشيطان، نتيجة السقوط من جنة روحية بحتة إلى عالم المادة. كان المثاليون، النخبة الكاثارية، يمتنعون عن الكحول واللحوم والجنس، كما فعل المانويون الأوائل. ومع ذلك، فبحسب جميع الروايات، كانوا محبوبين للغاية من قبل عامة الناس في المنطقة، بما في ذلك العديد من العلمانيين الكاثوليك، ونتيجة لذلك كان الناس على استعداد لحمايتهم من محاكم التفتيش بتكلفة شخصية كبيرة.

وبالمثل، فإن غنوصية المندائيين لم تنتج مجتمعًا يشعر بالاشمئزاز من العالم المادي. حتى مع السماح بقدر كبير من التكيف على مر القرون مع المتطلبات العملية للعيش في العالم، يتمتع المندائيون بسمعة كونهم أشخاصًا لطيفين يتمتعون بعلاقات عائلية جيدة ويتمتعون بطرق الحياة التقليدية.

أحد الأسئلة التي تطرحها أي أسطورة غنوصية هو دور الطبيعة. إذا قيل لنا أن العالم المادي هو سجن وأن الهدف الرئيسي من الحياة البشرية هو هروب الروح أو النفس من هذا السجن، فقد يكون أحد ردود أفعالنا الأولى هو: ماذا عن الطبيعة؟ أليست الطبيعة جميلة ووفيرة؟ أليست الطبيعة طبيعية؟ قد نعترض بأن الطبيعة قاسية ولا ترحم أيضًا، أو أن مدح الطبيعة هو في الأساس استجابة حضرية رومانسية، ولكن هناك شيء من الحقيقة في هذا. ولعل الغنوصية هي رد فعل سكان المدن. [11]

ومع ذلك، فقد تأثرت السيدة دراور بحب المندائيين للطبيعة (على الرغم من أن بعض التعليقات التالية قد تُظهر قدرًا من الاستشراق):

> إنهم يمتلكون حبًا حقيقيًا للطبيعة... العربي، على الرغم من إعجابه بالجمال في المرأة أو الحصان، يرى الراحة الشخصية أكثر من الجمال الحقيقي في المشهد الطبيعي: شجرة توفر له الظل، وماء جارٍ يشرب منه، وحديقة يستضيف فيها أصدقائه. لكن دراويش الحكايات المندائية ينظرون إلى الطبيعة في ضوء صوفي. إنهم يستمتعون بالطبيعة بعيدًا عن الإنسان. الطيور تصلي للحياة العظيمة، والنجوم والشمس تسبح بحمده في انسجام يمكن للطاهرين سماعه. ويدخل هذا التصوف في عمل الحياة اليومية. إذا أعطيت مندائيًا بعض الزهور، يتمتم وهو ينحني عليها *(من تجربتي)* بالصيغة الجميلة "عطر الحياة، فرح ربي، ماندا الحياة!"...
>
> إن التقشف والقذارة وحرمان الذات في الزهد المسيحي في مرحلته للعصور الوسطى غير معروفة لهؤلاء الصوفيين الفرحين. كل ما ترسله روح الحياة هو هدية طيبة، يجب استخدامها مع التسبيح... الموت غير موجود، لأن الأحياء والأموات يجتمعون باستمرار على مائدة الطعام الطقسي. [12]

إن ثنائية المندائيين يمكن أن تكون مطلقة. كان النور والظلام موجودين منذ البداية في مملكتهما المنفصلتين. لكن الآن أصبحتا مختلطتين. كيف أصبح الكون بهذا الشكل، وكيف سينتهي، وما هي العملية المستمرة التي يشارك فيها البشر؟ ومن دور الأسطورة المندائية أن تشرح هذه الأسئلة.

الفصل الثاني

الأسطورة المندائية

تنمو الأساطير بطرق متنوعة وتستجيب لاحتياجات عديدة. أول شيء يجب ملاحظته هو أن هناك العديد من إصدارات الأسطورة المندائية المركزية، مع العديد من الاختلافات والتناقضات.

علقت السيدة دراور قائلةً: بالنسبة للمندائي:

> إن العناصر الثابتة والمقدسة في دينه هي الطقوس القديمة والمعمودية والأشكال المختلفة للوجبة المقدسة. لا يقلق من وجود عدد من قصص الخلق المتناقضة مع بعضها البعض أو من وجود ارتباك في مجموعته المتنوعة من أرواح النور والظلام. ما يهم هو عدم انتهاك أي قاعدة من قواعد الطهارة الطقسية، وأن يتم الالتزام الصارم بكل لفتة وفعل موصوف للطقوس. [1]

إن النصوص الجيدة متناقضة وغير متسقة مع نفسها. إن النص الناجح لا يسمح فقط بالتفسيرات المتضاربة والمراجعة، بل إنه يتطلبها. من الكتاب المقدس العبري إلى العهد الجديد إلى القرآن إلى كتاب مورمون إلى كتاب الشريعة لأليستر كراولي، يمكن استخدام الكتاب المقدس لتبرير أي شكل من أشكال بنية المجتمع وأي نوع من السياسة. الكتب المقدسة لا معنى لها في حد ذاتها. إنها تحتاج إلى مترجمين وعلماء، وأنبياء جدد، وشعراء وفنانين ومحامين لتطبيق معانيها على العصر المعاصر.

الطريقة المنهجية للتعامل مع هذه الأمور هي تلخيص نسخة الأسطورة في كل مصدر ثم إظهار العناصر التي تأتي في وقت سابق والتي تأتي في وقت لاحق، وتوضيح كيف تغيرت الأسطورة، وكيف تم دمج الشخصيات وتنوع التأكيدات. وهذا يتجاوز نطاق هذا الكتاب. وهكذا فإن ما يظهر أدناه هو أسطورة مركبة، مع إشارة إلى بعض الاختلافات الرئيسية. ستظهر عناصر الأسطورة مرارًا وتكرارًا عندما ننظر إلى تاريخ المندائيين. ما سيصبح واضحًا هو تشابه الأسطورة في البنية والمنظور مع الأسطورة الغنوصية النموذجية الموصوفة في الفصل الأول.

العوالم والحياة

بشكل عام، يتكون علم الكون المندائي من أربعة عوالم: عالم النور، وعالم الظلام، وعالمنا، العالم المادي، المعروف باسم تيبيل، وعالم الأشكال المثالية، مشونيا كوشتا. إن عالم النور موجود منذ

البداية، على الرغم من أن طبقات أخرى منه تنبثق مع تطور العملية الكونية، وهو ذو أهمية يومية في الديانة المندائية. لا يُعطى عالم الظلام أي أهمية إلا عندما يتواصل مع كائنات من عالم النور. العالم المادي هو نتيجة لذلك. كما أن مشونيا كوشتا هي أيضًا على المستوى الشعبي جنة دنيوية: فهي بمثابة نظير روحي لتيبيل.

هذا البناء الرباعي للعوالم، على الرغم من أنه ليس منهجيًا للغاية، واضح في معظم القصص المندائية. ويمكنه أيضًا استيعاب العديد من المناهج المختلفة لعلم الكونيات الديني من التوحيد إلى الانبثاق والعديد من أشكال الثنائية، مع السماح بوجود الأرواح والشياطين والآلهة الكوكبية والنظراء السماويين وشخصيات الكشف الإلهي وأي شيء تقريبًا أقل من تعدد الآلهة الفعلي. (هناك أيضًا عوالم أخرى وطرق أخرى لتقسيم الكون، بما في ذلك سلسلة من المطهرات ذات الارتباطات الكوكبية والأربع "حياة" الموصوفة أدناه، والتي قد يُحسب كل منها كعوالم منفصلة أيضًا إذا كان المرء يميل إلى ذلك.)

يحتوي الكتاب الأول من مجموعة الكتب المقدسة المعروفة باسم كنزا اليمنى (جزء من كنزا رابا العظيمة، والمعروفة ببساطة باسم كنزا) على مرثية موسعة للحياة العظيمة، وهي توحيدية للغاية في نهجها. الحياة العظيمة، أو الحياة الأولى، هي كل القوة، وكل العلم وكل المحبة. كل شيء يأتي منها. ومع ذلك، يمكن اعتبار الحياة العظيمة ثانوية بالنسبة للمانا العظيم، الذي كان موجودًا منذ البداية، "عندما كانت الفاكهة لا تزال داخل الفاكهة، وكان الأثير لا يزال داخل الأثير، كان المانا العظيم المجيد هناك".[2] في بعض الأحيان يُنظر إلى الحياة العظيمة على أنها تعادل المانا العظيم، وأحيانًا يُنظر إلى الحياة العظيمة على أنها كيان له وجود منفصل بطريقة لا يتمتع بها المانا العظيم، داخل الفاكهة العظيمة. "لقد شكلت الحياة العظيمة نفسها على هيئة المانا العظيم، الذي خرج منه، وقدم طلبًا إلى نفسه." [3]

ومن هذا الطلب ظهر أوثرا (كائن نور سماوي، والجمع أوثري) ويسمى الحياة الثانية. كما يوجد في البداية ياردنا - نهر الأردن- وهو نهر النور الذي يتدفق بلا نهاية. من خلال المعمودية المنتظمة، يحافظ كل مندائي على اتصاله بعالم النور.

إن ما يتم تناوله، من الناحية الأسطورية، هو مشكلة كيفية الحصول على التنوع من الوحدة: العلاقة بين الجوانب العديدة للعالم الذي نعيش فيه والمصدر الوحيد الذي ينشأ منه كل شيء.

عندما يكون هناك شيء واحد فقط، الوحدة (عالم الظلام لا يدخل القصة إلا في وقت لاحق)، كل شيء يكون كاملاً ومثالياً - لكن كل شيء ثابت. بدون تكاثر الكيانات لا يحدث شيء، ولا توجد قصة. وإذا لم تكن هناك قصة، فلن يكون هناك بشر، وهم في كل أسطورة الجانب الديناميكي للكون، والذين من خلالهم وفيهم يتم تمثيل الدراما الكونية.

إن آلية الانتقال من كيان واحد إلى اثنين يجب أن تتضمن تقسيمًا إراديًا من قبل الكائن الفريد. (أنا أضع جانباً في الوقت الحالي وجود عالم الظلام.) في بعض إصدارات الغنوصية، يتضمن هذا أن يرى

الشخص نفسه كما لو كان في مرآة؛ والنتيجة هي وجود مُرَاقِب ومُراقَب - أي وجود كائنين حيث كان هناك كائن واحد في السابق. في القصة المندائية، قدمت الحياة العظيمة طلبًا إلى نفسها - ومن خلال هذا الفعل ظهرت جميع الكائنات الأخرى في عالم النور. تُعرف هذه العملية باسم الانبثاق. وأما الكائن الثاني فهو غير مخلوق، وليس له وجود مستقل عن الله، بل هو صادر منه. ومن ذلك الكائن الثاني، يمكن لكائنات أخرى أن تنبثق، وهكذا. ومن المفارقات أن الحياة العظيمة لم تفقد أي شيء من وحدتها في هذه العملية، ولكن الآن توجد حياة ثانية أيضًا.

يوشامين، الحياة الثانية[4]، هي أيضًا عالم تظهر فيه "اللانهاية واللاعدد"[5] أوثري هؤلاء الكائنات النورانية، الذين يعادلون الملائكة إلى حد ما، يُعرفون أيضًا باسم "مالكي" (ملوك - مالكا، "ملك"). تتدفق نسخة من ياردنا عبر هذا العالم أيضًا، وتحتوي الحياة الثانية على مساكن يعيش فيها الأوثري. وهكذا فإن الحياة الثانية تشبه النسخة المثالية للوجود المندائي، حيث يعيش الأوثريون بجانب الياردنا، تمامًا كما يقيم المندائيون معمودياتهم في أكواخ طائفتهم بجانب النهر. ومع ذلك، فإن هؤلاء الأوثريين يبدأون في التخطيط بمجرد أن ينظروا نحو أرض الظلام وبحر صوف العظيم.[6] تمنحهم الحياة الثانية الإذن لإعداد عالم آخر، لكن الحياة العظيمة، أو الحياة الأولى، ليست سعيدة بهذا القرار. وهو الذي أوجد ماندا دي هايي، أي "معرفة الحياة"، الذي لها العديد من الأسماء والألقاب الأخرى. تم إعلان ماندا دي هايي ملكًا لجميع الأوثريين وهو بلا عيب. وقد كُلِّف من قِبَل الحياة العظيمة بإنقاذ الأوثريون من انجذابهم إلى الظلام. يجب على ماندا دي هايي النزول إلى عالم الظلام (الموصوف بأنه يقع أسفل عالم النور) قبل أن يفعل ذلك بقية الأوثريون.

الحياة الثالثة هي أباثور، الذي يرتبط بتقدم الروح بعد الموت، عندما يجب السفر عبر المطهر. وهو ينبثق، ويوصف أحيانًا بأنه أب لـ بتاهيل، الحياة الرابعة، وهو الإله الخالق.

يدخل العالم المادي إلى القصة

حيث أمر أباثور، الحياة الثالثة، بتاهيل، الحياة الرابعة، بخلق العالم المادي المعروف باسم تيبيل. وهكذا فإن بتاهيل هو الديميورج الحقيقي، لكنه ينفذ توجيهات مستوى أعلى منه، بدلاً من خلق عالم جديد كعمل من أعمال التمرد ضد السلطة الإلهية. ومع ذلك فإن كل شيء يسير على نحو خاطئ، كما يحدث دائمًا في عملية خلق العالم المادي في الغنوصية. يمكن اعتبار كل من الحياة الثانية والثالثة والرابعة بمثابة ديميورج إلى حد ما، لأن كل منها كان له دور في خلق عالمنا. وقد تعرض كل منهم لاحقًا للانتقاد في كنزا بسبب دوره في الخلق غير الناجح.

وتستمر الحياة العظيمة وسيد النور في المشاركة بشكل غير مباشر في كشف الكون وتطور العالم. لا يستطيع التصرف بشكل مباشر ولا يستطيع التراجع عن خلق العالم، لكنه يستطيع محاولة الحد من تأثير الظلام، ولهذا السبب يرسل ماندا دي هايي لتقييد حاكم الظلام والحد من أفعاله. قام بتاهيل - أيضًا بناءً على أمر الحياة العظيمة - بخلق آدم من مادة الظلام، لكن آدم ظل جامدًا حتى ساعده ماندا دي هايي في إخراج روحه أداكاس، وهو شكل مختصر من آدم كاسيا ('آدم المخفي')، من

عالم النور.

وهكذا فإن النظرة المندائية للديميورج هي عمومًا أكثر ليونة إلى حد ما من العديد من الآراء الغنوصية. من المؤكد أنها أكثر تشتتًا، حيث يتم تقاسم اللوم بين يوشامين وأباثور وبتاهيل وغيرهم من الأوثريين. في الغنوصية الكلاسيكية يتم التعرف على الديميورج مع إله اليهودية، أو بعبارة أخرى، إله العهد القديم، الإله الغيور في سفر التكوين. لم يتم التعامل مع بتاهيل بهذه الطريقة أبدًا.[7] ومع ذلك، في تقليد موازٍ منفصل إلى حد ما عن الأساطير الكونية، نجد في شكل أدوناي شيئًا أشبه بديميورج توراتي بغيض. أدوناي هي الكلمة العبرية التي تُرجمت إلى "الرب" في العهد القديم. في مجموعة القصص والأحاديث المندائية المتعلقة بيوحنا المعمدان، والمعروفة باسم كتاب يوحنا أو كتاب الملوك، أدوناي هو إله اليهود وهو متعاون مع روحا، الروح الشريرة الأنثوية. ومع ذلك، في قصص أخرى، كان أدوناي في وقت ما أكثر لطفًا وكان يُعبد من قبل المندائيين. ليس من الممكن ربط كل هذه الخيوط معًا لفهمها. وبهذه الطريقة تصبح هذه القصص المندائية أساطير حقيقية لأنها تعبر عن حياة المجتمع من خلال القصة بطريقة غير حرفية.

أوثري من عالم النور

من الصعب معرفة كيفية تصنيف الأوثري. على الرغم من أنهم كيانات من عالم النور - الحياة الثانية، والحياة الثالثة، والحياة الرابعة هي أوثرا - إلا أنهم أيضًا عوالم يعيش فيها أوثرا أقل. هذا هو أحد تلك الجوانب من الفكر الأسطوري الذي يبدو غريبًا جدًا بالنسبة لنا. وقد يوصفون أيضًا بتردد بأنهم آلهة، وبعضهم أقانيم، يجسدون مفاهيم مثل الحياة، أو النور، أو الصورة، كل منها في شكل إلهي. إن ميل المندائيين إلى خلق شخصيات إلهية تجسيدات للأشياء اليومية أدى إلى ظهور كيانات هي أشجار النخيل والفواكه والكروم والملابس وحتى نصف إنسان ونصف كتاب. لا يستطيع أي مندائي حديث أن يصف أيًا من هذه الشخصيات، باستثناء الحياة العظيمة، بأنها إله. لكن ملاك رجل ما هو إلا إله رجل آخر، وإله دين ما هو إلا شيطان دين آخر.

إن الكيانات المنقذة التدخلية التي شاركت في تاريخ المندائيين واتخذت أسماءها من بعض الشخصيات الأولى في الكتاب المقدس - مثل هيبيل وشتيل وأنوش - هي أيضًا أوثري. بحلول القرن العشرين، كان هؤلاء الأوثريون يواكبون العصر، وكانوا "يركبون مركبات مثل السفن التي تتحرك بالكهرباء" على حد تعبير أحد رواة القصص المندائيين.[8]

الظلام

من الصعب تحديد ما إذا كان الظلام موجودًا طالما كان النور موجودًا، أو حتى ظهر قبل النور، في الأساطير المندائية، التي تحتوي على العديد من التناقضات التي لا يمكن التوفيق بينها. تبدأ الأساطير المندائية دائمًا بتكوين عالم النور، ولا يدخل عالم الظلام إلى القصة إلا في وقت لاحق. تشرح الأساطير أن مالكا دهشوكا، سيد الظلام، قد ولد ذاتيًا وخرج من المياه المظلمة، والتي يمكن تفسيرها

على أنها مياه ملوثة. هذا الملك ذو رأس الأسد، ملك الظلام - الذي يذكرنا بالديميورج الغنوصي يالداباوث - لديه القدرة على خلق الشياطين والمخلوقات الشريرة الأخرى. على الرغم من أن أوصاف العالم السفلي مستمدة من مصادر عديدة، إلا أنها مستمدة جزئيًا من جغرافية العراق. باعتبارها أرضًا حاملة للنفط، فإن السطح مظلم والمياه ملوثة. "القار والزيت هما عصارة أشجار العالم السفلي." [9]

في هذا الظلام تسقط الروح الشريرة روحا، التي تلد تنينًا أو وحشًا يُعرف باسم أور. في عالم الظلام، تظهر الوحوش ويولد الملائكة الشريرة عندما تتزاوج روحا مع نسلها أور، ويشعر المرء بالتأثيرات الفلكية الخبيثة للسبعة (الكواكب) والاثني عشر (الأبراج). روحا تعني "الروح" وهي الكيان الوسيط الذي سقط من النعمة والنور.

كيف يمكن أن نرى الروح - في صورة روحا - في ضوء سلبي كهذا؟ في الغنوصية الفالنتينية يتكون الإنسان من ثلاثة أجزاء: الجسد والنفس والروح. الجسد، بطبيعة الحال، هو من العالم المادي؛ والنفس هي الوسيط؛ والروح هي الجزء الذي يأتي من الامتلاء. في الغنوصية الفالنتينية قد تُجبر النفس على النزول إلى مستوى الجسد، المرتبط بالاحتياجات الجسدية الأساسية، أو قد تصعد لتتزوج من الروح في حجرة الزفاف.

في المندائية، النفس والروح لهما قيمتان معاكستان. نيشيمتا هي "الروح"، والتي يتم تفسيرها على أنها الجزء الأعلى من الإنسان. كلمة "روحا" قريبة من الكلمة العبرية "رواخ" (بمعنى النفس الحية أو الروح). من الممكن أن يكون اختيار "الروح" بمثابة انقلاب غنوصي نموذجي للمعنى. وبما أن الروح القدس هو أحد أعضاء الثالوث في المسيحية، فإن وضع روحا كملكة الظلام قد يكون تعليقًا على المسيحية، جزئيًا على الأقل. هناك جانب آخر من جوانب روحا، إلى جانب تجسيد الظلام، وهو النفس الساقطة. هناك اختلافات في الأسطورة التي تقول أن روحا قد نهضت جزئيًا من عالم الظلام بواسطة هيبيل.[10] ويبدو أنها تلعب دورًا أثريًا باعتبارها النفس الساقطة التي يمكن تحويلها بواسطة رسول من عالم النور وتوجيهها نحوه، حتى لو لم تتمكن من الصعود إلى هناك بشكل صحيح بنفسها. إنها تشبه إلى حد ما صوفيا الغنوصية القديمة، التي سقطت من بليروما (الإمتلاء)، وأنجبت الديميورج، وأصبحت محاصرة جزئيًا في العالم المادي.

لقد كان للروحا حضور حي في عالم المندائيين، حيث لعبت دورًا خبيثًا في الدراما المستمرة في العالم، بما في ذلك قصة يوحنا المعمدان ويسوع وتدمير أورشليم وهجرة المندائيين. لون روحا هو الأزرق، وهو ما يفسر إلى حد ما الحظر السابق على المندائيين بعدم ارتداء اللون الأزرق (على الرغم من أنه ليس محرمًا على اليزيديين هذا اللون). يوجد كوخ خاص من القصب يُعرف باسم مندي، يُبنى في فناء منزل الغانزيبرا لتنصيب الكهنة، وهو مغطى بقطعة قماش زرقاء (الغانزيبرا هو كاهن مندائي من الدرجة الأولى، يشبه إلى حد ما الأسقف). الارتباط مع روحا، ولكن استخدامها أمر غريب في هذا السياق. قال أحد المندائيين لدروير:

> في إحدى المرات، رفض أحد المرشحين للكهنوت وضع العباءة الزرقاء فوق كوخ

القصب، قائلاً: "لماذا نضع عباءة روحا فوق كل شيء؟" فلما نزل إلى النهر ليطهر التمر قبل أن يأكله جاء شيء فضربه على الأرض. فأخذوه وأعادوه، وأخبرهم قبل أن يموت أن روحا نفسها هي التي ضربته. نعم، لقد مات، على الرغم من أنه لم تظهر عليه أي علامة مرضية من قبل.[11]

هناك كائنات شيطانية أو مظلمة أو شريرة أخرى في الأساطير المندائية. أحد هذه المخلوقات هو كرون، "التل العظيم من اللحم الذي ليس له عظام". [12] كانت روحا مسؤولة عن ولادة الكواكب أيضًا.

كشف، فداء، وإصلاح

كانت مهمة ماندا دي هايي هي النزول إلى عالم الظلام في مهمة استطلاعية. يرى مياهًا سوداء، و"المرأة هيوات" (روحا) التي "تتكلم بالمغالطات"، وبوابات الظلام، والتنانين من جميع الأشكال والأحجام، وعربات أبناء الظلام والمتمردين الأشرار بالأسلحة التي سيستخدمونها ضد مكان النور. يُسلَّح ماندا د-هايي من قِبَل الحياة العظيمة بالزي الطقسي ورموز المعمودية المندائية: الرداء والعصا والأسلحة.

آدم و حواء

آدم كاسيا (آدم المخفي) هو "آدم السري"، كما قالت السيدة دراور، وهو نظير آدم باجريا في عالم النور، وهو آدم المادي الجسدي. يمكن اعتبار آدم كاسيا مسجونًا داخل آدم باجريا - وهو مثال آخر على الاستخدام الغنوصي لفكرة أفلاطون عن كون الجسد سجنًا للروح. إن خلق الإنسان هو تتويج لعملية الخلق - أو الإنجاب أو الانبثاق - التي بدأت مع الحياة الثانية، يوشامين.

آدم نفسه لم يخطئ ولم يسقط، ولا حواء هي المسؤولة عن ذلك. إن الفهم الغنوصي هو دائمًا أن الخطأ حدث في مرحلة أعلى من السلسلة، وأن الخطأ العالمي العظيم أو السقوط حدث حتى قبل ظهور البشرية.

آدم أقل أهمية في المندائية من ابنيه هابيل وسيث، اللذين يظهران كهيبيل وشتيل ولهما هوية الأوثري اللذين يخضعان مباشرة للحياة الأولى. اشتهر آدم برفضه الموت عندما جاء وقته. شيتيل/سيث يأخذ مكانه ويصبح أول من يموت.

ومع ذلك، فإن هيبيل وشتيل وأنوش لديهم أدوار مهمة للغاية في تاريخ الأساطير المستمر للمندائيين. لاحظ أن الاسمين الأولين ينتهيان بـ اللاحقة -il (إل)، قريبة من اللاحقة -el (إيل)، والتي تدل على الألوهية في التقاليد السامية الأخرى. غالبًا ما يرتبط هيبيل بماندا دي هايي باعتباره شخصية كاشفة تساعد الحياة الأولى وتساعد البشرية.

صعود النفس

بعد الموت، تنتقل النفس عبر العديد من المجالات المرتبطة بالكواكب و روحا، حيث توجد المطهرات التي قد يتم احتجاز النفس فيها. إن صعود النفس لا يظهر فقط في النصوص الغنوصية القديمة، بل أيضًا في الأفلاطونية المحدثة، والتصوف اليهودي، وفي التقاليد الغامضة. ويحدث بعد الموت، ولكن يمكن أيضًا تجربته بشكل أولي أثناء الحياة. مرة أخرى، هذه سمة غنوصية نموذجية مألوفة مثل صعود النفس. إذا نجحت النفس في التغلب على هذه العقبات، فإن المرحلة الأخيرة تتضمن وزنها على ميزان أباثور. هذا يذكرنا على الفور بالتقاليد المصرية، ولكن في النسخة المندائية يجب الإثبات (لأباثور) أن النفس، بما في ذلك وزن الروح، لها الوزن الصحيح، وليس فقط أن تكون خفيفة كالريشة.

ليس كل نفس قادرة على الصعود عبر جميع المجالات/المستويات. كان المندائيون يعتقدون أن النفس تنزل إلى الجنين في الشهر الخامس،[13] فماذا عن نفوس الأطفال غير المعمدين؟ في المندائية، يتم إرسال الأطفال غير المعمدين إلى عالم بتاهيل، الحياة الرابعة والشخصية الديميورجية، بدلاً من إرسالهم إلى عالم النور. إنه ليس مطهرًا للأطفال، بل هو نوع من الجنة الأرضية. ومن المثير للدهشة أن هذه الأرض بها أشجار تتدلى منها حلمات تشبه الثمار تدر الحليب للأطفال ليرضعوا منها.[14] وهناك ليليث (شيطانة أنثى) تدعى زهارئيل مسؤولة عن إنجاب الأطفال أثناء الولادة. من المحتمل أن اسمها مشتق من فينوس/عشتار، وبالتالي فهي من بقايا المعتقدات الوثنية، ولكن يُعتقد أن زهارئيل كانت متزوجة من الشخصية الإلهية هيبيل زيوا (هابيل).

ويبدو أن المندائيين كانوا يعتقدون أن صعود النفس هذا ينطبق فقط على شعبهم.

نهاية العالم والخروج

في الأسطورة المندائية فإن أول البشر في العصر الأول هم آدم وحواء. (تشير بعض التقاليد المندائية إلى أن كل عصر يبدأ برجل وامرأة نجوا من العصر السابق، وسيتم مناقشة هذه الاختلافات بشكل أكثر تفصيلاً في القسم الخاص بعلم التنجيم المندائي.) في نهاية هذا العالم والزمان سيكون هناك دينونة كارثية، حيث سيتم قبول الجميع في عالم النور أو سيتم إلقاؤهم في النار أو بحر صوف - "بحر القصب" في سفر الخروج، والمعروف في اللغة الإنجليزية باسم البحر الأحمر.

يبدو أن قصة الخروج مهمة بالنسبة للمندائيين، لكن نسختهم تخضع للتعديل. ومن المشكوك فيه ما إذا كان من الممكن تفسير هذا على أنه تفسير معكوس، وهو أسلوب غنوصي نموذجي للتعامل مع قصص العهد القديم. بالنسبة للمندائيين، موسى والمهاجرون الإسرائيليون هم الأشرار. كان فرعون وموسى أخوين ولكن اختلفا فيما بينهما. عانى اليهود في مصر وأخرجهم إلههم وروحا. والأمر المثير هو هذا: في كل عام يحيي المندائيون ذكرى المصريين الذين ماتوا عندما انغلق البحر الأحمر عليهم.

أسطورة حية

إن أفكارًا مثل آدم باجريا و آدم كاسيا، وأن هيبيل هو هابيل ولكن لديه وجود روحي قبل تشكل

الأرض، قد تبدو غريبة للعديد من القراء. هذه الأفكار أسطورية. لم نعد نفكر بطريقة أسطورية أو نرى العالم بهذه الطريقة. في التيار العلماني الغربي السائد، القصص خيالية والتاريخ واقعي. في المسيحية الشعبية يُنظر إلى حياة يسوع على أنها جزء من الأسطورة، على الرغم من أن المسيحيين المحافظين يعتقدون أن إعلان جبرائيل عن مجيء المسيح في لوقا 1: 26-38 هو صحيح حرفيًا. يُعتقد أن هذا الأمر لم يحدث مجازيًا ولا في حلم أسطوري، بل بطريقة حقيقية تمامًا مثل الفعل اليومي لشراء الخبز في المخبز. ومع ذلك، يمكن أيضًا استخدام جوانب من حياة يسوع كأمثلة على الحياة التي يعيشها المسيحي، ليس فقط فكريًا أو عاطفيًا، بل في الواقع والروحاني. وهكذا فإن المسيحي الذي يتعرض للاضطهاد أو المعاناة يعيش آلام المسيح بطريقة صغيرة. المسيحي الذي يشك أو ينكر في مرحلة ما، يعيش من جديد أفعال توما أو بطرس، وهكذا. ومن ثم فإن أحد جوانب الأسطورة هو أنها نمط حي يتكرر عبر التاريخ وحياة الأفراد.

تستخدم الأسطورة القصة لفهم العالم. كان كارل غوستاف يونغ يعتقد أن صُنع الأساطير، أو أساطير الخلق، كانت عملية غير واعية إلى حد كبير حيث وجدت النماذج الأصلية من العقل اللاواعي تعبيرًا لها من خلال النشاط الديني، والنشاط الإبداعي، والذهان وما إلى ذلك. على الرغم من أنه يمكن العثور على مكان في نظامه لجميع أنواع التجارب والظواهر الروحية، إلا أنها تُرى كنتيجة للنماذج الأولية اللاواعية. لم تكن هذه الأساطير ميتة على الصفحة. عندما عاشت السيدة دراور بين المندائيين، كانت الأساطير تُروى شفويًا، من خلال الجمع بين التعديلات على الروايات الكتابية وعناصر الحكايات الشعبية.

على الرغم من تعقيد القصة التي قدمتها، إلا أنها في الواقع نسخة مبسطة وسلسة تجمع عناصر من إصدارات مختلفة. على مدى قرون من الزمان، روى المندائيون أساطيرهم وأعادوا سردها، مما أدى إلى ظهور روايات متناقضة تمامًا. تسجل السيدة دراور العديد من الأمثلة على القصص المندائية في القرن العشرين حيث كانت هناك روايات جديدة عن الأساطير لا تزال تظهر وتختلف عن الإصدارات المكتوبة. وهذه عملية مشتركة بين جميع الثقافات. إن قصة حياة يسوع موجودة في النسخ القانونية فقط في الأناجيل الأربعة. لكن المسيحيين استمروا في ابتكار قصص جديدة عن يسوع وإعادة سرد تلك القصص الإنجيلية لعدة قرون. استمرت الأساطير في العصور الوسطى في إضافة اهتماماتها الخاصة: لم تكن شخصيات مثل مريم المجدلية ويوسف الرامي مرتبطين بجنوب فرنسا وإنجلترا فحسب، بل حتى الصليب الحقيقي الذي صلب عليه يسوع تم سرد قصته، مع إعادة صياغتها لربطها بقصص توراتية أخرى.

وحتى يومنا هذا، فإن أي نسخة للأطفال من قصة يسوع سوف تعمل على توحيد وتبسيط قصة الإنجيل. ومع ذلك، فإن حياة يسوع محفوظة بشكل أساسي في الأناجيل الأربعة للعهد الجديد، بغض النظر عن مدى التناقض بينها. وهذا ليس هو الحال تماما في المندائية. على الرغم من أن بعض الكتب المقدسة المندائية قد تعتبر قانونية - مثل كتاب كنزا، وكتاب القلستا، وكتاب يوحنا - إلا أنه لا توجد نسخة نهائية لها. كما قال ناثانيال دويتش، "ما هو غير عادي في المندائية هو أن لديك هنا هذا المجتمع

الصغير جدًا الذي يعيش، في الواقع، في مكان واحد، وهم ينتجون هذا التنوع الهائل في الآراء التي، إذا ما جمعناها معًا، ستظهر الطيف الكامل للتقاليد الثنائية، التي أنتجها هذا المجتمع الواحد على مر الزمن". [15]

هذه السيولة مشتركة بين معظم أشكال الغنوصية. لقد تساءلت عما إذا كان الغنوصيون في العصور القديمة، مثل السيثيين والفالنتينيين أو الحركات القروسطية مثل البوغوميليين والكاثار، لم يتمكنوا ببساطة من البقاء على قيد الحياة لفترة كافية لإنتاج أسطورة ثابتة أو قصة نهائية. لكن هذا لا ينطبق على المندائيين، الذين يبلغ عمر دينهم نحو 2,000 عام أو ربما أكثر، بل 1,700 عام على الأقل حتى وفقًا للتقديرات العلمية الحديثة الأكثر تحفظًا. يبدو أن هناك شيئًا في طبيعة النهج الغنوصي للكون يقاوم نقش الكتاب المقدس على الحجر. كانت الكتابة مقدسة، وكذلك الأبجدية، التي تعد فريدة من نوعها لدى المندائيين، على الرغم من تشابهها الوثيق مع الأبجديات الآرامية الأخرى. كانت الأساطير مقدسة ولكن لم تكن هناك حاجة للحفاظ على شكلها الدقيق.

من ناحية أخرى، فإن الطقوس المندائية محددة بدقة شديدة، وتُمارس بعناية ويُعتقد أنها أساسية في المندائية - الشمس التي تدور حولها الكواكب التي تمثل الأساطير المختلفة.

أسطورة تُصنع، وطقوس تُمارس

من خلال الأسطورة، تسمح الطقوس المندائية للمشاركين بلعب دورهم في الدراما الكونية. وتعتبر هذه الممارسات والمحظورات مسألة حياة أو موت. إن المعمودية الأسبوعية تجدد الاتصال مع عالم النور. إن كسر مثل هذه المحظورات يضعف أو يقطع الرابطة مع عالم النور، بحيث قد تكون هناك حاجة إلى معموديات إضافية متكررة.

إن الكثير من الممارسات المندائية تتعلق بالجسد بشكل مباشر. ليس للجسد أي دور في الحياة بعد الموت، ولكن باعتباره وعاءً للنفس، يجب توخي الحذر الشديد لتأديبها ومعاملتها بشكل صحيح. وكما قال أحد العلماء:

> التلوث العرضي للجسم سواء من خلال مداخله أو من خلال الاتصال الخارجي هو موضوع الرعاية الطقسية. كل ما يخرج من الجسم سواء كانت فضلات الجسم أو السائل المنوي أو المولود الجديد فإنه يلوث الجسم أيضاً. يعامل المندائيون الجسد وكأنه مدينة محاصرة وكل مدخل ومخرج منها محمي بأجهزة الطهارة الطقسية. وعليه، فإن المراقبة المستمرة لنقاء الجسد هي الشغل الشاغل الديني الرئيسي للمندائيين. [16]

من أبرز جوانب الطقوس المندائية هي النهر، وكوخ العبادة المعروف باسم الماندي، والثوب الطقسي الأبيض المعروف باسم الراستا، وغيرها من الملابس والأدوات الكهنوتية. الراستا هو الثوب الأبيض المميز المألوف في صور المندائيين. في زمن السيدة دراور، نادرًا ما كان الراستا أبيض نقيًا بسبب ملامسته لطين النهر. [17]

يُعتقد أن الأدوات والملابس الطقسية لها صلة مباشرة بعالم النور. عصا الكاهن مصنوعة من

خشب الزيتون أو الصفصاف. الراستا مصنوع من القطن الأبيض، ولكن رمزيًا فإن الراستا هو ثوب من النور والعصا هي عصا من الماء الحي. يصنع الكاهن إكليلين من الآس، أحدهما لرأسه والآخر لتتويج العصا. [18]

يجب الاستعداد للموت بالطريقة الصحيحة لأن هذا ضروري لتقدم النفس؛ وعلى وجه الخصوص، يجب على المندائيين ألا يموتوا بملابسهم العلمانية ولكن في رداء خاص.

بعض الكتب المندائية مصنوعة من الرصاص، ومنقوش عليها بالقلم. وقد عُرض على باكلي واحد منها في العراق، وكان ثقيلاً للغاية، وادعى مالكه أن يوحنا المعمدان نفسه نقش عليه. الكتب التي تحتوي على صفحات من الرصاص ليست غير معروفة في التقاليد الأخرى، ولكن بالنسبة للمندائيين كان لهذا المعدن قيمة عملية: يمكن غمس لفائف الرصاص والمخطوطات في الماء دون أن تتلف.

التعميد

تُقام هذه الطقوس أيام الأحد، مع غرس راية درابشا التي تشبه الصليب في الأرض، ومن السهل أن نرى كيف يمكن الخلط بين طقوس المعمودية الأسبوعية المندائية، المعروفة باسم المصبوطة، واحتفال مسيحي. في شكله الكامل، يتم إجراء المعمودية بواسطة المندي، الذي يحيط به سياج من القصب. يتدفق الماء إلى حوض الغمر عبر قناة، ثم يعود مرة أخرى إلى النهر عبر قناة أخرى، حتى يتمكن من تلبية شرط كونه ماءً حيًا متدفقًا. في الظروف الحديثة، قد يتم تبليط المسبح والمنطقة المحيطة به ومعالجة المياه. يمكن تقسيم الحفل إلى المعمودية الفعلية والوجبة الطقسية التي تليها. يقوم الشخص المعمد أولاً بغمر نفسه ثلاث مرات ثم يتم غمره ثلاث مرات بواسطة الترميدا. ثم يأكل خبز البيتا والماء المُعد خصيصًا لذلك، ويُدهن بزيت السمسم على الجبهة والوجه. يتم إجراء مصافحة طقسية تُعرف باسم الكوشتا بين المشاركين بانتظام أثناء الطقوس، والتي قد تستمر لساعات. يجب على الكاهن أن يشرب من ماء النهر أثناء غمره فيه، وهناك كل أنواع القيود المتعلقة بالطهارة، والتي يؤدي انتهاكها إلى إبطال المعمودية وتتطلب في كثير من الأحيان إعادة معمودية مكثفة وتطهيرات طقسية. يكون الكاهن في حالة طهارة أثناء المعمودية وله قيود إضافية. عندما التقى بيتر أوين جونز، القس الأنجليكاني الذي قدم سلسلة بي بي سي "حول العالم في 80 ديانة"، بالمندائيين في أستراليا وحاول مصافحة الكاهن، اضطر الترميدا إلى التراجع وشرح أنه لم يكن ذلك ممكنًا لأنه كان في حالة من النقاء. تشكل هذه المعمودية محور الممارسة والمجتمع المندائي، وتحدث اختلافات عليها في سياقات مختلفة إلى جانب المعمودية الأسبوعية يوم الأحد المصبوطة. [19]

مطالب كهنوتية

يُمنع المختونون والعاجزون والخصيان من الخدمة في الكهنوت. إن تكريس أو بدء الكاهن - وخاصة الكاهن الغانزيبرا - هو مهمة معقدة محاطة بالقيود والعلاجات الطقسية. على سبيل المثال، يجب على الكاهن المبتدئ أن يصنع خبزه بنفسه، ويجب أن يعيش بعيدًا عن عائلته، ويجب أن يبقى لفترة من

الوقت في كوخ عبادة تم بناؤه خصيصًا للتأهيل. أخطر ما يفسد طهارته هو الاحتلام. إذا حدث هذا خلال الأسبوع الحاسم من التعميد، فيجب إجراء معموديات متعددة بأعداد مختلفة. إذا كان من المقرر أن يحدث له قذف ليلي في الأيام الثلاثة الأولى، فيجب إجراء مجموعة خاصة من 365 معمودية في نهاية الأسبوع.[20] وهناك أعداد متفاوتة من المعموديات التي يجب إجراؤها إذا حدث هذا في الأيام الأخرى، من معمودية ثلاثية من قبل ثلاثة كهنة إلى 60 معمودية. إذا كان الاحتلام في الليلة الأخيرة، فيجب تأخير التكريس لمدة عام كامل. بالنسبة

لأغانزيبرا، فإن مجموعة المواصفات أكثر تعقيدًا وصعوبة.[21] بعد المرحلة الأولى من التكريس، يجب على الكاهن أن يتولى 60 يوما من الطهارة، والتي يجب أن يغمر فيها ثلاث مرات في اليوم، ولا يأكل لحمًا، ويصنع خبزه بنفسه، ويبتعد عن الأسواق العامة أو الحمامات أو المراحيض العامة، ويرتدي دائمًا ملابسه الداخلية، ويراعي الشروط الصارمة التي يجوز بموجبها تمشيط شعره أو إزالة غطاء الرأس. وكما هو الحال مع غيره من الديانات الأقلية في الشرق الأوسط، فإن عبء مراعاة الطقوس ومكافأة المعرفة الباطنية يقتصر إلى حد كبير على رجال الدين.

الموت في عالم النور

بعد الموت تتجول الروح ثلاثةأيام[22] قبل الصعود من خلال عوالم الكواكب والمطهرات.[23] الماسيقتا هو قداس للموتى – وجبة رسمية تستمر لمدة ثماني ساعات. لا يُنصح بالبكاء عند الموت، كما هو الحال في الممارسة القديمة المتمثلة في انتزاع الشعر، لأنه عندما تصعد نفس الميتة حديثًا فإن أي دموع ستشكل نهرًا يجب عبوره وسوف يتشابك الشعر الممزق عند أقدام النفس الصاعدة ويعيق تقدمها.[24] التقى دراور برجل عجوز توفي شقيقه في ذلك اليوم، خلال الأيام الخمسة المقدسة لمهرجان بانجا للعام الجديد، وهو الوقت الذي يمكن فيه للروح أن تصعد بسهولة أكبر. "كان شعره الأبيض يطير في الريح، وكان وجهه متألقًا ومبتهجًا." "لقد توفي أخي هذا الصباح! رائع، رائع! لقد منعت النساء من البكاء!"[25]

إن طقوس المندائيين هي التي تميزهم بصريًا: تلك الصور المثيرة للكهنة ذوي الثياب البيضاء وهم يخوضون في المياه العكرة أو يغمرون المندائيين الآخرين. أساطيرهم تحدد من هم وما هو العالم. ولكن هناك وثيقة واحدة معينة في كتبهم المقدسة لها أهمية خاصة بالنسبة لنا: حران كويثا.

الفصل الثالث

المندائيون يبرزون في التاريخ

بمجرد ظهور المندائيين في التاريخ الغربي فإنهم بالفعل في أزمة. إنها حالة مستمرة بالنسبة لهم. لكن من المتوقع أن يحدث هذا - ففي نهاية المطاف، يعيشون في المنفى منتظرين العودة إلى عالم النور. إن معظم اهتمام الغرباء بالشعوب الأقلية ينشأ لأنهم يعتبرون شاذين أو بسبب وقوع كارثة ما، وهذا ينطبق إلى حد كبير على الأوروبيين الذين واجهوا المندائيين وأبلغوا عنهم على مدى القرون القليلة الماضية. يستغرب الكثيرون وجود شعب يدعي النسب إلى يوحنا المعمدان. إن قرونًا من الاتصال الغربي المتقطع مع المندائيين تسمح لنا برؤيتهم من الخارج، وإن كان ذلك من خلال عدسة مشوهة. ولكن أولاً، دعونا نتحدث عن لغتهم، التي هي الوسيلة لكل معارفهم، بالإضافة إلى طقوسهم، لكل أساطيرهم وكل تاريخهم.

اللغة المندائية

المندائية هي لهجة من الآرامية. من الناحية الفنية، هي لهجة شرقية أو جنوبية شرقية، تشترك في العديد من الميزات مع الآرامية البابلية اليهودية. إلى جانب الآرامية العبرية، تنتمي إلى الفرع الشمالي الغربي من مجموعة اللغات السامية. تغطي اللغات السامية مساحة واسعة من الشرق الأدنى أو الأوسط. إلى جانب الآرامية والعبرية، تعد اللغة العربية اللغة السامية الأكثر شهرة، وهي لغة القرآن الكريم، والتي يتحدث بها مئات الملايين من الناس اليوم، بما في ذلك العديد من المندائيين المعاصرين.

إذا تم ذكر الآرامية فإن معظم الناس يفكرون في لغة يسوع. لقد كان من المؤكد أنه كان يتحدث الآرامية (على الرغم من أن العبرية واليونانية من الاحتمالات أيضًا) ولكن في قيامه بذلك كان يسوع يتحدث لغة الغازي. كانت الآرامية لغة الإمبراطورية البابلية وكانت لعدة قرون اللغة المشتركة في الشرق الأدنى. كانت اللغة الآرامية نفسها منتشرة على نطاق واسع لفترة طويلة حتى أنها تطورت إلى لهجات مختلفة في مجموعة واسعة من المناطق. ومن بين اللهجات الغربية كانت الآرامية الجليلية، والسامرية، واللهجة الآرامية المسيحية. تشمل اللهجات الشرقية اللغة السريانية، التي استخدمت على نطاق واسع كلغة أدبية في المسيحية منذ القرن الثاني فصاعدًا، والآرامية البابلية اليهودية والمندائية.[1] قد لا يدرك العديد من غير اليهود أن التلمود، وهو مجموعة ضخمة من التقاليد الشفوية والقانونية التي حددت اليهودية الحاخامية بعد الهيكل، مكتوبة في الغالب باللغة الآرامية. اللغة الآرامية في التلمود الفلسطيني قريبة من لهجة الجليل. اللغة الآرامية في التلمود البابلي قريبة جدًا من المندائية.[2]

في هذه المرحلة قد يتساءل القارئ ما هو الفرق بين اللغة واللهجة؟ لا يوجد تمييز واضح. كما قال البعض، اللغة هي لهجة ذات جيش. يمكن القول أن اللهجة هي طفل من لغة الأم. ما يميز لغة ما عن لغة أخرى هو عدم القدرة على الفهم المتبادل. وهكذا يمكننا أن نعتبر الفرنسية والإسبانية والإيطالية كل منها لهجة من اللاتينية، اللغة الأم - ولكن لأنها غير مفهومة لبعضها البعض، فهي لغات مختلفة.[3] وبالتالي قد نجد أنفسنا نناقش السريانية في الوقت نفسه كلغة مميزة وكلهجة من الآرامية. وبالمثل، المندائية هي لهجة من الآرامية ولغة المندائيين. اللغة المندائية والآرامية البابلية اليهودية قريبتان جدًا وتنحدران من نفس المنطقة، على الرغم من اختلاف لهجتهما.[4] ولأن المندائية هي آرامية شرقية، فقد جادل بعض العلماء ضد هجرة المندائية من فلسطين. وقد يزعم البعض على نحو مماثل أن اليهود البابليين الناطقين بالآرامية لم ينحدروا من فلسطين، في حين أننا نعلم أنهم نُفوا من فلسطين أثناء السبي البابلي.

تُظهر مجموعة متنوعة من السمات اللغوية أن اللغة المندائية الكلاسيكية للنصوص كانت بوضوح ذات أصول قديمة جدًا. ولكن كانت هناك أيضًا لغة منطوقة، تُعرف باسم "راتنا"، وكانت مختلفة عن اللغة الأدبية - وفي الخمسينيات من القرن العشرين، تم اكتشاف أن هذه اللغة لا تزال حية في إيران. في تسعينيات القرن العشرين، كان انطباع باكلي أن اللغة المندائية الراتنا لا تزال شائعة بين المندائيين الإيرانيين، ولكن نادرًا ما كانت شائعة بين المندائيين العراقيين. يتم الحفاظ على العديد من جوانب الثقافة في اللغة، ولكن في حين أنه من المثير للإعجاب للغاية أن تتم ترجمة الكتب المقدسة المندائية إلى اللغتين العربية والإنجليزية - لأن هذه الجهود قد تساعد في الحفاظ على أهمية الكتب المقدسة المندائية للشعب المندائي - إلا أن ذلك يرجع فقط إلى جهود أكثر المندائيين تفانيًا وحفنة صغيرة من العلماء.[5] ويقال إن الكتابات المندائية مليئة باللعب على الكلمات والألفاظ، مما يجعل من الصعب ترجمة النص والاحتفاظ بالغموض والدقة في المعنى. على سبيل المثال، الجذر السامي "قدش" يعني "مقدس" عند اليهود والمسيحيين، ويستخدم المندائيون نفس الجذر في بعض العبارات نفسها (مثل روحا د-قدش، "الروح القدس") ولكن مع دلالات معاكسة تمامًا. وهكذا، على الرغم من أن روحا شريرة، إلا أنه يشار إليها باسم "الروح القدس". إن ترجمتها حرفيًا ربما تعطي فكرة خاطئة تمامًا، ولكن كيف يمكن ترجمتها بطريقة أخرى؟ كان أي كاهن مندائي ليعلم أن المعنى المندائي الطبيعي للمصطلح كان عكس معناه الظاهري.[6]

من كاتب إلى كاتب

الكتب المندائية مليئة بالروايات الأسطورية عن تاريخ المندائيين. تم نسخ هذه النصوص يدوياً، ولم تتم طباعتها في طبعات أكاديمية وترجمتها لمجتمع الشتات المندائي إلا مؤخراً نسبياً. تحكي المخطوطات قصة تتجاوز النصوص نفسها: فهي تعطي نسب الكتبة الذين نسخوا المخطوطات من جيل إلى جيل. إن مصدر هذه المعلومات المقتطعة هو البيانات الوصفية وليس القصص التاريخية أو المذكرات. تعتبر العلامات الفاصلة من السمات المشتركة للمخطوطات وعادة ما تظهر في النهاية. تتكون نهاية النص في أبسط صورها من عنوان النص فقط، ولكن في كثير من الأحيان يقوم الكاتب بتسمية نفسه

وإدراج تعليق. لا تشير بيانات النسخ المندائية إلى اسم الكاتب الذي قام بعمل تلك النسخة المعينة فحسب، بل قد تتضمن أيضًا تاريخًا كاملاً إلى حد ما للكتبة الذين قاموا بنسخ الفرع المعين من تلك المخطوطة. وهذا من المحتمل أن يكون بمثابة منجم ذهبي للمعلومات لأي باحث قادر على بذل الجهد المضني المطلوب لتسجيل الأدلة وجمعها.[7]

ليدي دراور

تظل السيدة الإنجليزية الاستثنائية، الليدي إثيل دراور (إي. إس. دراور، 1879-1972)، أهم عالمة غربية في مجال المندائية. كانت روائية تكتب تحت اسمها قبل الزواج، إي. إس. ستيفنز، وعملت أيضًا لدى وكالة كورتيس براون الأدبية. كانت العديد من كتبها روايات رومانسية نسائية تدور أحداثها في الشرق الأوسط ونشرتها شركة ميلز آند بون للروايات الرومانسية الشعبية. كما كتبت كتابين عن رحلاتها إلى الشرق الأوسط. عاشت في العراق من عام 1921 إلى عام 1947، حيث عمل زوجها في بغداد مستشارًا حكوميًا في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين أثناء الانتداب البريطاني على العراق. قامت بزيارة المندائيين بشكل متقطع على مدى أربعة عقود وعملت على الدراسات المندائية حتى بلغت الثمانينيات من عمرها.

بالإضافة إلى عملها الميداني، كانت جامعة مخطوطات، بل وطلبت نسخًا جديدة من المخطوطات، وأورثت مجموعة دراور في مكتبة بودليان في أكسفورد، وهي أكبر مجموعة غربية من المخطوطات المندائية.

تذكرها المندائيون بحب وحنان، واعتبرها البعض مندائية فخرية. كما كتبت كتاب "ملاك الطاووس" عن اليزيديين، الذين حققت فيهم وصادقتهم بدرجة أقل.[8] ربما لا يضاهي علمها وتفانيها في مساعدة المندائيين وقبولها بين المندائيين إلا ما حققته جورون جاكوبسن باكلي. أصلها من النرويج، باكلي هي أستاذة فخرية للدين في كلية بودوين، برونزويك، ماين. لقد نشرت العديد من الأبحاث حول المندائيين، واثنان من كتبها، المندائيون: النصوص القديمة والناس المعاصرون، والجذع العظيم للأرواح، يتناولان العديد من جوانب الدراسات المندائية. لقد عاشت وسافرت مع المندائيين، ورحبت بها العديد من العائلات المندائية، وحاولت ممارسة الديانة المندائية، أو على الأقل التوافق مع متطلبات النقاء للمشاركة في الطقوس المندائية. علاوة على ذلك، لعبت دورًا فعالًا في مساعدة اللاجئين المندائيين على الهجرة إلى الولايات المتحدة في أعقاب حرب العراق.

وكان هناك علماء آخرون مؤثرون بشكل خاص في الغرب، بما في ذلك كورت رودولف ورودولف ماكوتش، وفي الوقت الحاضر علماء مثل جيمس ماكجراث وآخرين يعملون على مشروع المعجم المندائي. لكن إنجازات السيدة دراور وجورون باكلي تبرز بشكل خاص. يجد الكثير من الناس أن الأكاديميين محدودون في نهجهم، ولكن من الصحيح حقًا أنه بدون عمل الأكاديميين الغربيين، لن نعرف شيئًا تقريبًا عن المندائيين. إن الحفاظ على النصوص والعمل الجاري على اللغة المندائية قد ينعكس إيجابًا على الثقافة المندائية ويسمح للمندائيين المعاصرين، وخاصة بين الشتات، بإنقاذ تقاليدهم

الخاصة.

وكان من بين الباحثين التاريخيين المهمين في وقت سابق نيكولا سيوفي، وهو مسيحي سوري تلقى تعليمه في أوروبا وأصبح فيما بعد نائب القنصل في الموصل في السلك الدبلوماسي الفرنسي في عام 1875. لقد جاء الكثير من معلومات سيوفي من رجل مندائي مرتد يُدعى آدم، والذي كان في طور أن يصبح كاهنًا مندائيًا لكنه تخلى عن دينه وأصبح كاثوليكيًا. في مثل هذه الحالات، من الواضح أن وجهة نظر المندائيين عن يسوع - باعتباره مندائيًا مرتدًا ترك وراءه صرامة إيمانه لتأسيس المسيحية - عملت على مستوى واحد كقصة تحذيرية لتثبيط المندائيين عن أن يصبحوا مسيحيين، لأن عدم الموافقة على أفعال يسوع امتد إلى أفعال أي مرتد. وهذا يوضح أيضًا الصعوبة التي غالبًا ما نواجهها في جعل المندائيين يتحدثون بصراحة عن دينهم. لم يتمكن السيوفي إلا من إقناع المرتد بالتحدث إليه، ولم ينجح مع المندائيين الحاليين.

وفي وقت سابق، قام الباحث والمغامر السويدي ماتياس نوربيرج بترجمة النصوص المندائية إلى الحروف السريانية ثم إلى اللاتينية. امتدت أنشطة نوربيرج في الفترة ما بين العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. يُقال إن نظرياته حول اللغة المندائية كانت غريبة للغاية لدرجة أن ترجماته لا تنقل سوى القليل من معنى النصوص الأصلية.

يعتقد نوربيرج أن فرعًا من المندائيين بقي بالقرب من فلسطين بينما هاجر الباقون إلى بلاد ما بين النهرين. وزعم أن هذه المجموعة هي من الناس المعروفين بالنزاريين. وقد قدم جيرمانو كونتي من حلب في سوريا، نائب بطريرك القسطنطينية الماروني، رواية تاريخية مهمة ولكنها غير دقيقة عن النزاريين. كان هناك بالتأكيد بعض القواسم المشتركة بين المندائيين والنزاريين: حيث كان كل منهما يستخدم الآس في طقوسه، ويمارس المصافحة المتكررة، ويصنع نبيذًا حلوًا بديلًا من الزبيب والتين المجفف (التمر في حالة المندائيين) المنقوع في الماء. [9]

الإبادة والإحياء في القرن التاسع عشر

لم تنجو الثقافة والدين المندائي حتى العصر الحديث إلا بأعجوبة. في عام 1831 انتشر وباء الكوليرا في مساحات واسعة من ما يعرف الآن بالعراق وإيران، مما أدى إلى إبادة أعداد كبيرة من السكان المندائيين. مات جميع الكهنة. وفقًا للتقدير الوحيد، لم يتبقَّ سوى 1,500 من المندائيين.[10] ضع في اعتبارك أن تقديرات عدد السكان الحديثة تتراوح عادةً بين 70 ألفًا و 100 ألف، على الرغم من أن بعض المصادر تزعم أن عدد المندائيين لا يتجاوز 30 ألفًا.

كان يحيى بهرام وابن عمه (الذي كان أيضًا صهره) رام زهرين كلاهما شغنديا - ليسا كهنة بل متدربين تلقوا قدرًا معينًا من التعليم الديني، وهو منصب يمكن تشبيهه بمنصب الشماس في الكنائس المسيحية. لقد نجا العديد من أفراد قبيلة اليالوبيا، بما في ذلك كبار السن. كان الأيالوبيون من العلمانيين الذين كانوا متعلمين ومتعلمين تعليماً عالياً في التقاليد المندائية. اجتمع يحيى وابن عمه مع كبار السن

لجمع أكبر قدر ممكن من التراث الشفهي المتبقي ودراسة النصوص المقدسة والطقوس. وقد حصلوا على إذن من الشيخ العربي المسلم الذي حكم المنطقة لبناء ماندا. وفي حضور الشيوخ رسم يحيى ورام بعضهما البعض ككاهنين، واستمر بذلك الخط القديم بطريقة غير تقليدية إلى حد ما. لقد كان الأمر يتعلق بثني القواعد قليلاً أو رؤية نهاية دينهم. بدون يحيى، كانت المندائية ستصبح ديانة منقرضة لا يعرف عنها الكثير، ديانة ضائعة من الماضي مثل المانوية، وليست ديانة مهددة ولكنها حية. [11]

لماذا نجا يحيى ورام وغيرهما ولم ينجُ الكهنة بكاملهم؟ الجواب يكمن في المعمودية. الكوليرا مرض ينتقل عن طريق المياه، ويقضي جميع الكهنة المندائيين فترات طويلة في الأنهار، ويشربون مياه النهر نفسها كجزء من المعمودية. من الناحية الروحية والأسطورية، ربما كان النهر بمثابة الأردن السماوي لعالم النور، ولكن في عالم تيبيل المادي، كان نهرا دجلة والفرات العظيمان بمثابة طرق رئيسية للكوليرا، مما مكنها من الانتشار في جميع أنحاء بلاد ما بين النهرين.[12] لم يتعرض يحيى ورام، وغيرهما من غير الكهنة، للكوليرا المنقولة عبر المياه بنفس الدرجة التي تعرض لها الكهنة. لدينا كلمات يحيى الخاصة من ملحق للمخطوطة التي نسخها:

> "والآن يا إخواننا الذين يخلفوننا، اعلموا أنه في سنة الجمعة سنة *1247* هـ [13] جاء الطاعون العظيم، ولم ينجُ أحد من الغانزيبرا أو الكهنة، وفارق الجسد كثير من الناس."
> ثم عندما هدأ العالم وساد الهدوء، نهضنا نحن المتعلمين في يوم باروانايبا وصلينا الصلوات، وكرسنا كوخًا للعبادة. بعد التكريس، قام أحد اليالوفا المحترمين (المتعلمين) بوضع التاج على أحد اليالوفا في كوخ العبادة. وصلى الصلوات لمدة ستين يومًا، واحتفل بالماسيقتا لمعلمه، وكرسوا بعضهم البعض، واحدًا تلو الآخر *(ككهنة)*. [14]

وقد سجل يحيى - في ملحق المخطوطات التي نسخها - عدة روايات عن الصعوبات الشديدة التي واجهها المندائيون وبقائهم السعيد كدين. إننا مدينون بمعرفتنا لهذه المصادر الاستثنائية لعلماء مثل الليدي دراور وجورون باكلي، ولكن مندايانيًا في ظروف قاسية هو الذي حافظ على هذه الروايات التاريخية ودينه. [15]

لقد تراكمت الويلات فوق الويلات. اعتنق العديد من المندائيين الإسلام. وقد اختلف رجال الدين الجدد مع المندائيين المحليين بعد ثلاث أو أربع سنوات من الطاعون، واضطر يحيى وآخرون إلى مغادرة منازلهم.[16] وحمل يحيى معه كل ممتلكاته تقريبًا، فتعرض لهجوم من لصوص عرب، وانتهى به الأمر إلى خسارة كل شيء تقريبًا. بحلول عام 1837، انضمت عائلة يحيى إليه، لكن ابنته توفيت ولم يتمكن يحيى من حشد حاملي النعش المندائيين الأربعة المطلوبين لجنازة لائقة (وبالنسبة للمندائيين، فإن الملاحظات الجنائزية الصحيحة ضرورية حتى يتمكن المتوفى من السفر بشكل صحيح إلى عالم النور).

أمضى يحيى وقتًا طويلًا في السفر - هربًا من المشاكل، ولكن أيضًا لتعليم المندائيين الباقين على قيد الحياة وبذل قصارى جهده للحفاظ على الدين. عمل يحيى بشكل رئيسي في جنوب بابل، ورام في

خوزستان عبر الحدود الحديثة إلى إيران. في مرقاب، بعد عام من استقرار يحيى هناك، أمر الشيخ البدوي المحلي بختان جميع المندائيين: ليس فقط الرجال والفتيان، بل والنساء والفتيات أيضًا. المندائيون غير مختونين، ووفقًا لتقاليدهم فإن أي تشويه يمنعهم تقليديًا من الانضمام إلى المجتمع المندائي. وعلى الرغم من المحرمات الدينية ضد من تعرضوا للتشويه، فقد أعاد المجتمع المندائي الأكبر عدد السكان الذين تعرضوا للإساءة في مرقاب إلى ديارهم وسمح لهم بالتعميد. وكان يحيى نفسه محظوظًا لأنه لم يتعرض للختان.

بدأ يحيى يعتقد أنه يعيش في آخر العصور المندائية الأربعة، المليئة بالمعاناة القاسية التي ستسبق نهاية العالم. لقد كان مضطهدًا من قبل السبعة، والاثني عشر، والخمسة، والتأثيرات الفلكية الخبيثة للكواكب السبعة الكلاسيكية، والبروج، والكواكب الخمسة التي كانت، باستثناء الشمس والقمر، تُعتبر أحيانًا مجموعة منفصلة لها أصولها وقواها الخاصة.

قام يحيى بهرام بنسخ مخطوطته الأخيرة في عام 1867، وفقًا للأدلة الباقية. وُلِد حوالي عام 1800. لا يبدو أن سنة وفاته مسجلة، لكنه عاش حياة طويلة بالنظر إلى العقبات التي واجهها. ولولاه لما كان المندائيون موجودين بالشكل الذي نعرفه اليوم، ولربما كان معظمهم، بسبب افتقارهم إلى البنية الأساسية لدينهم، قد استسلموا للضغوط التي دفعتهم إلى اعتناق الإسلام.

وقد رأى رودولف ماكوتش، وهو أحد كبار علماء المندائية في القرن العشرين، أن "نصيروتا [النصارى] الحقيقية ماتت في وباء الكوليرا عام 1832 عندما أُجبر العلمانيون على تولي القيادة".[17] ومن المؤكد أن هناك بعض الحقيقة في هذا: فلا بد أن الكثير من الجانب الباطني للدين قد ضاع. هناك فئة كاملة من الكتابات المندائية التي يصنفها العلماء على أنها نصوص باطنية، والتي تصف الأهمية العميقة للطقوس المندائية. ولكن كانت هناك بالتأكيد تقنيات روحية وتقاليد شفوية معروفة فقط لدى رجال الدين، أو أعلى مستوياتهم، والتي تم القضاء عليها بسبب الكوليرا.

اليسوعيون والهند

حتى رواية يحيى، لم تكن هناك سوى معرفة جوهرية متاحة للغربيين حول أنشطة المندائيين لعدة قرون، حيث حدثت أول لقاءات موثقة بوضوح بين المندائيين والغربيين خلال عصر الاستكشاف الأوروبي العظيم الذي بدأ في القرن الخامس عشر، عندما كان البرتغاليون في الطليعة.

ورغم أن الشرق الأوسط ظل محظوراً على الاستعمار الأوروبي لفترة طويلة قادمة، إلا أن المندائيين وجدوا أنفسهم بشكل غير متوقع متورطين في مشاريع إمبريالية مبكرة عندما وصل القائد البرتغالي فاسكو دا غاما إلى الهند، في كاليكوت، في عام 1497 بعد رحلته الرائدة حول رأس العواصف آنذاك (الذي أعيدت تسميته برأس الرجاء الصالح).

وكان الأوروبيون على استعداد تام لتوقع مجموعات من المسيحيين الضالين الذين يحافظون، في عزلة، على تقاليدهم القديمة في أجزاء بعيدة من العالم. في منتصف تسعينيات القرن الثالث عشر، كان

ماركو بولو في الهند، عائداً من الصين عبر سيلان. وفي ميلابور، وهي الآن مقاطعة من مدراس، رأى قبر القديس توما واكتشف وجود "مسيحيين من أتباع القديس توما" هناك، وهم الذين حافظوا على الكنيسة، التي كانت موقع حج للمسيحيين والمسلمين على حد سواء. لاحظ بولو أن هؤلاء المسيحيين أخذوا ترابًا أحمر من المكان الذي قُتل فيه الرسول وأعطوه لأي شخص مريض بالحمى، "وبقوة الله والقديس توما" تم شفاء المرضى. (أُفيد أن استخدام تراب قبر الرسول في الكاتدرائية لعلاج الأمراض كان ممارسة مستمرة في أواخر القرن التاسع عشر.) [18]

بحلول عام 1498، أصبح للبرتغاليين حضور في جوا، وديو، ومالابار، ومناطق أخرى. بدأ البرتغاليون في بناء الحصون والمراكز التجارية على طول ساحل مالابار، وبحلول عام 1515 سيطروا على التجارة البحرية بين الهند والخليج العربي، بعد أن أنشأوا سلسلة من القواعد بين هرمز والساحل الغربي للهند. في عام 1542 بدأ اليسوعيون في الوصول إلى جوا.

أدى اكتشاف مسيحيي القديس توما في الهند إلى اعتقاد اليسوعيين في عام 1555 أن المندائيين مسيحيون بسبب ارتباطهم بيوحنا المعمدان. كان المندائيون سعداء بأن يتم تمثيلهم باعتبارهم "مسيحيي القديس يوحنا" الذين ليسوا كذلك في الأساس. لقد نجت شظايا غريبة من التاريخ على مر القرون: في عام 1555، ادعى المندائيون في جوا أنهم على اتصال بالبطريرك السوري؛ وفي عام 1595، ذكر يسوعي إيطالي المندائيين باسم "صابي" - وهو نسخة من "صابئين"، وهو الاسم الذي يستخدمه المسلمون للمندائيين؛ وفي عام 1615، ادعى مندائي أنهم مسيحيون، وأنهم انفصلوا عن بطريرك بابل قبل 150 عامًا.[19] سيظل لقب "مسيحيو القديس يوحنا" باقيًا.[20] تذكرت الليدي دراور: "خلال فترة الاحتلال البريطاني، والأيام الأولى من الانتداب، عندما كان المرء يتجول بين محلات الفضة السوبي في شارع النهر ببغداد، كان يرى أحيانًا لوحة تعلن أن المالك هو من "مسيحي القديس يوحنا".[21] في أقدم مرجع غربي على الأرجح، في عام 1290، وصف ريكولدو دا مونتيكروس (الدومينيكي التوسكاني، والمعروف أيضًا باسم ريكولدو بينيني) المندائيين في بلاد ما بين النهرين:

> يعيش في الصحراء القريبة من بغداد شعب غريب جداً وفريد من نوعه من حيث طقوسه، ويطلق عليهم اسم الصابئة. لقد جاءني العديد منهم وتوسلوا إلي بإصرار للذهاب لزيارتهم. إنهم شعب بسيط للغاية ويزعمون أنهم يمتلكون قانونًا سريًا من الله، ويحفظونه في كتب جميلة. كتاباتهم هي نوع من الطريق الوسط بين السريانية والعربية. إنهم يكرهون إبراهيم بسبب الختان، ويكرمون يوحنا المعمدان أكثر من كل شيء. إنهم يعيشون فقط بالقرب من عدد قليل من الأنهار في الصحراء. يغتسلون ليلًا ونهارًا حتى لا يُدانوا من الله... [22]

هذه هي الإشارات القليلة إلى شعب قديم بالفعل. ورغم أن قصتنا ستأخذنا بعيدًا عن المصادر واللقاءات الغربية، إلا أنه لا بد من فحص أول اتصال رئيسي بين أوروبا الغربية في العصور الوسطى والشرق الأوسط. أدت الحروب الصليبية إلى ظهور مملكة مسيحية غربية في العصور الوسطى على الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط التي كانت تهيمن عليها الأغلبية المسلمة. هل كان من الممكن أن

يكون هناك لقاء مع المندائيين في ذلك الوقت؟ هل كان من الممكن أن يلتقي المندائيون بفرسان الهيكل؟

الفصل الرابع

فرسان الهيكل في كل مكان

يظل فرسان الهيكل، أو رفاق المسيح الفقراء وجنود هيكل سليمان، أحد أكثر المنظمات إثارة للاهتمام في العالم في العصور الوسطى. تأسست كمنظمة عسكرية دينية حوالي عام 1119، في أعقاب الحملة الصليبية الأولى، على يد هيوغز دي باينز وثمانية فرسان كانوا على صلة به، وكان هدفها الأولي هو حماية الحجاج في طريقهم إلى الأراضي المقدسة. تم الاستيلاء على القدس في عام 1099 أثناء الحملة الصليبية الأولى وكانت جزءًا من مملكة أوترمر المسيحية التي تأسست حديثًا. أعطى الملك بالدوين الثاني ملك القدس لفرسان الهيكل، أو الهيكليون، الإذن بإقامة مقر لهم على جبل الهيكل. كان فرسان الهيكل عازبين، وقد نذروا عهود الطاعة والفقر؛ وباعتبارهم رهبانًا محاربين، كانوا جنودًا لا يلينون وتكتيكيين ماهرين. وبفضل تأييد الكنيسة وتشجيع برنارد دي كليرفو لهم، سرعان ما أصبحوا قوة مؤثرة في المسيحية الغربية. لم يكن فرسان الهيكل مدينين بالولاء لأحد سوى البابا، وكانوا يمتلكون ممتلكات واسعة في جميع أنحاء أوروبا الغربية، وأنشأوا نظامًا مصرفيًا جمع ثروة هائلة.

بعد خسارة القدس والأرض المقدسة ونهاية الحروب الصليبية بدأ نجمهم في الأفول. في يوم الجمعة 13 أكتوبر 1307، تم القبض على القائد الأعظم جاك دي مولاي وعدد من قادة فرسان الهيكل بناءً على أمر الملك فيليب الرابع ملك فرنسا. ومن بين التهم الموجهة إليهم كانت الهرطقة، والتي يبدو أن اعترافات من تم استجوابهم أكدتها، وتم حل الجماعة. تم القبض على بقية فرسان الهيكل، وتم الاستيلاء على أصول المنظمة وحرق قادتها أحياءً على الوتد. بعد اكتشاف رق شينون عام 2001، عُلم أن البابا كليمنت الخامس قد برّأ الرهبنة من الهرطقة، وهي الآن الخط الرسمي للكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

الكنيسة التي عومل فيها فرسان الهيكل بشكل غير عادل.

لقد حظي فرسان الهيكل ببركة أو لعنة قصة درامية. إن عباءتهم البيضاء المزينة بالصليب الأحمر الكبير، والتي يرتدونها فوق الدرع المتسلسل، معروفة اليوم كما كانت دائمًا. عندما كنت طفلاً، كان لديّ تمثال بلاستيكي يبلغ ارتفاعه حوالي بوصة واحدة لأحد فرسان الهيكل الصليبيين. والآن أصبحت ألعاب الفيديو، مثل سلسلة *Assassin's Creed* الشهيرة للغاية، هي التي تعمل على تخليد صورة فرسان الهيكل. ومع ذلك، فإن جاذبيتهم الرئيسية تكمن في حقيقة أن العديد من الباحثين، وعادة ما يكونون خارج التيار الرئيسي للتاريخ المهني أو الأكاديمي، يزعمون أن هناك ألغازًا لم يتم حلها

فيما يتعلق بفرسان الهيكل ومعتقداتهم وممارساتهم.

لماذا فرسان الهيكل؟

فلماذا إذن يجب أن يكون لفرسان الهيكل أي دور في تاريخ المندائيين؟ وكما قال أمبرتو إيكو، في روايته الساخرة "بندول فوكو" التي تتناول نظرية المؤامرة: "اللفرسان الهيكليين علاقة بكل شيء". [1] قد يضيف المرء أنه بما أن اقتباس إيكو مذكور الآن في كل كتاب تقريبًا عن فرسان الهيكل، فإن بندول فوكو أصبح له الآن علاقة بكل شيء. إذا نظرت في فهرس أي عمل أكاديمي عن المندائيين فلن تجد أي ذكر لفرسان الهيكل. الفترة التي كان فيها فرسان الهيكل نشطين في الشرق، حتى حوالي عام 1300، كانت قبل عدة قرون من أول لقاء تاريخي ملحوظ بين المندائيين والغربيين. في أغلب الأحيان، تشبث فرسان الهيكل بساحل البحر الأبيض المتوسط في سوريا والأراضي المقدسة، بينما عاش المندائيون على بعد مئات الأميال، وهي رحلة تضمنت عبور إما التضاريس الجبلية - وهو طريق جانبي كبير في حد ذاته - أو الصحراء القاسية التي تبدو بلا نهاية. قد يبدو للوهلة الأولى أن محاولة إيجاد صلة بين المندائيين وفرسان الهيكل أمر غير واعد مثل احتمال القيام بأي من هذه الرحلات.

ومع ذلك، هناك صلات صغيرة غريبة بين المجموعتين. بالإضافة إلى ذلك، تم اقتراح بعض النظريات غير التقليدية من قبل الباحثين البديلين. إن هذه التوقعات أكثر إيحاءً من كونها نهائية وقد تكون غير محتملة في التحليل النهائي، ولكنها تستحق الاستكشاف.

الاتصال بالمقدس

كان كل فارس من فرسان الهيكل يرتدي حبلًا رفيعًا من الكتان خارج ملابسه[2] وكان قد تعهد بعدم إزالة هذا الحبل أبدًا. ويبدو أن معنى هذه الممارسة تغير عبر الأجيال. في البداية، كان مرتبطًا بالقيود المفروضة على العُري، ومرتبطًا بنذر العفة. وبينما كان الفارس يرتدي هذا الشريط من الكتان، كان يرتدي ملابس رمزية، وبالتالي كان يتم تذكيره بنذره للعفة (هكذا كان المنطق). وفي نهاية المطاف، تم نسيان هذا المعنى وأصبحت الخيوط بمثابة نوع من الآثار التي يُعتقد أنها مرتبطة بالأماكن المقدسة، والتي ترتبط عادةً بحياة يسوع. على سبيل المثال، كان يتم ضغط الكتان على العمود في الناصرة الذي يمثل المكان الذي تلقت فيه مريم البشارة من الملاك جبرائيل. أثناء محاكمة فرسان الهيكل، ادعى الشهود أن خيوط الكتان هذه كانت على اتصال بصنم فرسان الهيكل الملتحي الغامض. هل هذه الممارسة المزعومة تتطابق بالتأكيد في مبادئها مع ممارسة تقديس الكتان عن طريق ملامسته للأماكن المقدسة في المسيحية؟ الفرق الجوهري هو أن أحدهما كان يُنظر إليه على أنه مقبول، والآخر لم يكن كذلك.

كان فرسان الهيكل مهووسين بالآثار المقدسة، وهي تجارة تعود إلى العصور الوسطى تبدو الآن سخيفة بالنسبة لأولئك ذوي الميول العقلانية، أو حتى البروتستانتية؛ والواقع أن الروح الخالية من

روح الفكاهة هي التي لا تميل إلى السخرية من القُلَفٌ العديدة ليسوع التي تم حفظها في صناديق الآثار المقدسة في جميع أنحاء العالم المسيحي. ومع ذلك، فإن الآثار سخيفة ومقدسة في نفس الوقت.

وبطبيعة الحال، وعلى الرغم من الفساد والجشع والطمع وعدم الأمانة في تجارة الآثار في العصور الوسطى، كان هناك تقدير واسع النطاق للآثار وكان لها قوة حقيقية. وحتى يومنا هذا، لا يزال المتدينون ينظرون إلى الاتصال بالآثار على أنه أمر مقدس. أي شخص لديه تعويذة محظوظة أو تميمة واقية قد يفهم هذا الاعتقاد.

في جوهره، فإن التفاني في الآثار هو شكل من أشكال الممارسة السحرية. الفرق الوحيد بين عظم القديس المحفوظ في الكنيسة والتميمة الوثنية التي تُرتدى للحماية من اللعنة هو أن الأول معتمد من قبل الكنيسة بينما الثاني محظور من قبل نفس المؤسسة.

كان إيان ويلسون، في كتابه الشهير "كفن تورينو"، الذي نُشر لأول مرة عام 1978، هو من أقام الصلة بين كفن تورينو وفرسان الهيكل.

لا يوجد دليل مباشر على أن فرسان الهيكل كانوا يمتلكون في يوم من الأيام قطعة القماش الكتانية المعروفة الآن باسم كفن تورينو. ومع ذلك، هناك الكثير مما يوحي بذلك، على غرار أفضل قصص البوليسية التاريخية. كما هو الحال مع أفضل الألغاز، فإن الحقائق مغرية ولكنها غير حاسمة. ما لا يوجد خلاف عليه حقًا هو ما إذا كان فرسان الهيكل يمتلكون قطعًا أثرية غامضة وعناصر سحرية: لقد كانوا يمتلكونها بالفعل. ما هو مثير للجدل هو ما إذا كانت هذه العناصر هي التي وافقت عليها الكنيسة أم لا.

من المعروف أن فرسان الهيكل لديهم اهتمام قوي بجمع الآثار. كما هو الحال مع أقدم إشارة تاريخية إلى كفن تورينو، والذي تم عرضه لأول مرة في عام 1357 من قبل أرملة فارس فرنسي في منطقة تروا - المعروفة بأنها مركز لنشاط فرسان الهيكل. يشير اسم الفارس الذي عرضت أرملته الكفن إلى الرابط مع فرسان الهيكل: جيفري دي شارني. تم حرق جيفري دي شارني آخر على الوتد مع جاك دي مولاي، آخر رئيس لفرسان الهيكل، في عام 1314. وقد قيل أن جيفري الأخير كان ابن أخ الأول. وهكذا فإن الاقتراح هو أنه بعد قمع فرسان الهيكل، كان دي شارني هو الذي ورث الكفن.

نُهبت قطعة أثرية من "الكتان الذي لُفَّ به ربنا يسوع المسيح بعد موته وقبل قيامته" من القسطنطينية خلال الحملة الصليبية الرابعة عام 1204. ليس من المؤكد أن هذا الكفن هو نفسه كفن تورينو لأنه كان هناك العديد من الأكفان المفترضة ليسوع المسيح كآثار خلال العصور الوسطى. ومع ذلك، من بين الوثائق التي تفصل اعترافات فرسان الهيكل شهادة أرنو ساباتير. تم نقله إلى غرفة سرية لا يمكن الوصول إليها إلا من قبل فرسان الهيكل. هناك رأى "قطعة قماش طويلة من الكتان مطبوع عليها صورة رجل" وأمر بتقبيل قدميها ثلاث مرات. ربما كان هذا أحد الآثار الأخرى في المجموعات الكبيرة التي نشرها فرسان الهيكل في جميع أنحاء أوروبا الغربية، أو ربما كان كفن تورينو نفسه.

كفن مندائي؟

مرة أخرى قد يتساءل القارئ ما علاقة كل هذه المواد بالمندائيين؟ ومن المثير للدهشة أنه قيل إن كفن تورينو هو كفن دفن مندائي. اقترحت المرحومة نورما ويلر، التي كانت محاضرة فنية في جامعة برايتون، أن الكفن كان عبارة عن قطعة قماش دفن مندائية. لكنها لم ترضَ بفكرة أن هذا كان مجرد كفن دفن وجد طريقه إلى سوق الآثار، إما من خلال هوية خاطئة أو من خلال تحريف متعمد. اعتقدت نورما ويلر أن هذا كان كفنًا مندائيًا وكفنًا ليسوع - لأن يسوع كان مندائيًا.

حجتها تتعلق بكون يسوع ناصريًا والمندائيين ناصريين. سننظر لاحقًا إلى الشبكة المعقدة من الناصريين والناذريين والناصوريين. كان ويلر يجادل بأن الكفن حقيقي وأن يسوع كان مندائيًا.

وهذا بالطبع مثير للجدل إلى حد كبير. حتى المندائيون لن يقبلوا هذا. إنهم يؤمنون أن يسوع كان في الواقع واحداً منهم ولكنه أصبح مرتداً. ومن اتهاماتهم له أنه لم يلتزم بنظامهم الصارم في الطقوس والطهارة. إذا كان يسوع حقا مندائيا مرتدا - وهم لا ينكرون أنه أسس المسيحية - فلماذا يتم دفنه بالطريقة المندائية التقليدية والمطلوبة؟ [3] بغض النظر عن ذلك للحظة، لماذا اعتقد ويلر في المقام الأول أن الكفن يشبه قماش الدفن المندائي؟ الكفن يحمل علامات تشير إلى وجود تاج من الشوك. يعتقد ويلر أن هذا هو في الواقع تاج الآس، الكليلة، الذي يرتديه المندائيون:

> كان الآس يستخدم في جميع مراسم الميلاد والزواج والوفاة، وعلى حد تعبير هيلين فرينكلي، مديرة محمية نيوت كيدومين، المحمية الطبيعية التوراتية في إسرائيل، "في التقاليد اليهودية التي يعود تاريخها على الأقل إلى فترة المشناء، يرمز الآس إلى الخلود والنجاح، بسبب قدرته على تحمل فترات طويلة من الجفاف والبقاء أخضرًا وعطريًا طوال العام. كانت العرائس يحملن أغصان الآس تحت مظلة الزفاف، ويضعنها على كفن المتوفى قبل دفنه.

ينمو الآس بريًا في يهودا والمناطق المجاورة، ويُستخدم النبات في الطقوس بعدة طرق مختلفة من قبل المندائيين. ومن أهم استخداماته الطقسية هي الكليلة، وهو تاج الآس الذي يوضع على رأس المندائي، وغصن الآس الذي يلتف حول قمة راية الدرابشا التي ترفرف عند إقامة معمودية المندائي. يعتبر الآس جزءًا من مجموعة واسعة من التقاليد الشرق أوسطية. وقد زُعم أنها مقدسة لأفروديت بسبب أوراقها التي تشبه شكل اليوني.[4]

هل يمكن أن يكون هناك رابط بين الآس وحران؟ كانت حران مركزًا لصناعة النحاس القديمة وكان النحاس مقدسًا لأفروديت/فينوس/إشترا، التي كانت، كما سنرى، واحدة من الآلهة الكوكبية التي كانت تُعبد في حران. ويحتل الآس أيضًا مكانته في التقاليد اليهودية، وخاصة خلال عيد المشكن، الذي يُشار إلى طقوسه في سفر اللاويين 23: 40، الذي ينص على التلويح بـ "الأنواع الأربعة": الصفصاف، وأغصان النخيل، والآس، وثمار الليمون. وفقًا للتلمود، الذي كان نتاجًا للأكاديميات اليهودية البابلية، قال الحاخام يوحنان: "من يدرس التوراة ولا يعلمها يشبه الآس في البرية". [5] كما ألقت نورما ويلر محاضرات في دراسات الألوان في معهد برايتون بوليتكنيك، وطبقت شكلًا من

أشكال تكثيف الألوان على صور الكفن بالأبيض والأسود:

> إن خصائص هذا المقياس الذي لا يستخدم أي تعديلات، بل يستخدم طيف الضوء فقط، لها تأثير عند استخدامه بشكل منهجي فيما يتعلق بصورة أحادية اللون، في تكثيف النغمات بحيث تجعل الوجه يبدو "حاضرًا" و"حيًا"...

> وقد تبين أن هناك ما يبدو أنه إكليل من أوراق الشجر حول الحاجب، وخاصة على الجانب الأيسر من الجبهة. وبمحض الصدفة، قمت أيضًا، لأغراضي الخاصة، بأبحاث موسعة حول الناصريين وتقاليدهم، ووجدت بعض الحقائق الرائعة للغاية حول عاداتهم في الدفن، وخاصة فيما يتعلق بالتسلسل الهرمي لمجتمعهم وتفاصيل طقوسهم، التي كانت في ذلك الوقت مقدسة تمامًا وأسرارًا محمية بعناية.
>
> كان يتم التعرف على القادة الكهنة الأكثر رفعة من خلال مجموعة محددة من الملابس: *(أ)* بادان، أو باداما الكهنوتية، وهي قطعة قماش مربعة توضع مباشرة على الوجه، تذكرنا بمانديليون/فيرونيكا؛ *(ب)* الكفن نفسه، يوضع على الجسم كله؛ *(ج)* وأخيرًا، وهو أمر غير مسجل حتى الآن، وهو مهم للغاية لاعتباراتنا، إكليل من الآس يوضع على جبين المتوفى بحيث يسقط على الجانب الأيسر من الجبين.[6] كما جرب ويلر محاولة إنتاج صورة تشبه الكفن باستخدام وسائل التصوير الفوتوغرافي:

> ومع ذلك، فإنني أدين بمنهجيتي لويليام هنري فوكس تالبوت (1800-1877)، أحد آباء التصوير الفوتوغرافي، حيث أن تجاربه في طلاء الورق بمادة نترات الفضة ومواد أخرى لتسجيل الصورة، أعطتني رؤيتي الأولى حول كيفية عمل الكفن.
>
> من خلال وضع أغصان الآس على ورق مطلي بمحلول فوتوغرافي بسيط وتركها في ضوء الشمس، ظهرت صور خافتة متطابقة تقريبًا مع تلك المسجلة على الكفن. ما حدث هو أن الخلفية الزرقاء الداكنة للورقة أصبحت أفتح، مما ترك أثرًا للصورة واضحًا تمامًا.
>
> والآن، من المؤكد أن صورة الكفن لم تتشكل بعملية تصويرية، بل بالضوء ووجود جسم صلب ثلاثي الأبعاد يطبع شكله على قطعة قماش من الكتان. [7]

كان ويلر متحمسًا لفكرة اختبار هذه المنطقة من الكفن لحبوب اللقاح، ولكن لسوء الحظ لم يكن متاحًا سوى محيط الكفن لاختبارات حبوب اللقاح. "للأسف، سيظل كل هذا غير مؤكد ما لم يتم فحص علامات الحاجب على الجزء الأمامي والخلفي من الكفن بحثًا عن آثار الآس". [8] كانت تعتقد أن الحل الحاسم هو:

> ... التعليق على حبل من حلقة حديدية متصلة بإكليل الآس وتتدلى على جانب الرأس *(يسارًا في صورة سيكوندو بيا الإيجابية وعلى اليمين على الكفن)*. كان هذا الخاتم يُربط غالبًا بأجساد المتوفى كرمز للطائفة وكحماية للنفس في رحلتها إلى ما هو أبعد من ذلك. كان يحمل رمز الأسد والنحلة والعقرب والثعبان الأبدي الذي يلتهم ذيله وكان يُعرف باسم سكاندولا.

لدى الكهنة المندائيين حلقتان: السكاندولا والشوم. يتكون الاسكاندولا من الحديد مع رموز الأسد والعقرب والنحلة (أو الدبور) والثعبان الذي يبتلع ذيله (أو بالأحرى، من الفم إلى الذيل). أما الآخر، فهو الشوم، وهو من الذهب، وقد نقش عليه اسم روح النور العظيمة. يقول البعض أن الأسد هو كروم والعقرب هو هاج. هذه الرموز تشبه إلى حد ما تلك الموجودة في الميثراية ولكنها تفتقر إلى الثور، الذي يشكل محور قصة ميثرا، والكلب. إن أي إشارة إلى ذلك في صورة الكفن هي بالطبع في نظر الناظر. إن وجود "بعض النتائج غير المفسرة ذات الطبيعة المعدنية لجزيئات الحديد على الكفن والتي وصفت بأنها "نقية للغاية" في كتاب سابق لإيان ويلسون" هو، بالنسبة لويلر، تأكيد على أن حلقة سكاندولا الحديدية كانت موجودة. إن تعليقات بيكنيت وبرينس على نظريتها حادة إلى حد ما ولكنها ذات صلة (انظر الصفحة 64). [9]

وبالرغم من أن كل هذه المعلومات مثيرة للاهتمام، ومغرية لفكرة أن يسوع المندائي قد حُفظ كفنه وتم تناقله عبر القرون، إلا أنني لا أستطيع أن أجدها في قلبي لأقتنع بها، ناهيك عن عقلي. وفقًا للإجماع العام، لدينا كفن غامض لا يوجد دليل على أنه أقدم من العصور الوسطى ولا يوجد دليل على أنه كان في حوزة فرسان الهيكل، وبالتالي لا يمكن أن يكون منتجًا من الشرق الأوسط في القرن الأول. ولا يوجد أي دليل على أنه يشبه كفن الدفن المندائي، ولا أن الأكفان المندائية كانت تُحفظ كآثار على الإطلاق. قد يكون أي مما سبق محل نزاع، ولكن بالنسبة لي يبدو أن احتمالية حفظ كفن دفن المسيح من قبل المندائيين واستحواذ فرسان الهيكل عليه أرق حتى من قماش الكتان البالي للكفن نفسه.

رأس الهيكل

حتى لو كان من غير المرجح أن يكون الكفن رابطًا بين فرسان الهيكل والمندائيين، فلا أحد يستطيع أن ينكر أن كلا المجموعتين تشتركان في تبجيل شخصية معينة: يوحنا المعمدان. ومع ذلك، وفي واحدة من تلك المصادفات الغريبة، تم تكريس كاتدرائية تورينو ليوحنا المعمدان.

وقد انجذب بعض الحجاج إلى الأراضي المقدسة بشكل خاص إلى المعمودية في نهر الأردن، حيث عاشوا تجربة معمودية يسوع على يد يوحنا. وكان الحجاج يربطون بين هذه المعمودية في نهر الأردن وشفاءات يسوع، وكان المرضى يلجأون إلى الأردن. [10]

إن اهتمام فرسان الهيكل بيوحنا المعمدان غير مفهوم إلى حد كبير، بل وحتى تم التقليل من أهميته. لم يكن هناك أي شيء هرطقي في جوهره في تخصيص الوصايا والكنائس ليوحنا، الذي كان قديسًا من قديسي الكنيسة، وشخصية رئيسية - وإن كانت فريدة - في العهد الجديد.

كانت الجماجم المقدسة جزءًا من مجموعة الآثار في العصور الوسطى، حيث يُزعم أن جماجم العديد من القديسين معروضة في الأضرحة في جميع أنحاء العالم المسيحي، لذا فإن إحدى الآثار التي يمكن لكل من فرسان الهيكل والمندائيين تقديرها هي جمجمة يوحنا المعمدان في دمشق. ويُعتقد أنها كانت مكانًا للحج للصابئة المندائيين حتى العصور الحديثة. ومع ذلك، كما سنرى، لم يكن لدى المندائيين تقليد قطع رأس يوحنا المعمدان. وفقًا للمندائيين، عندما مات يوحنا كان رأسه على كتفيه، وبدلًا من إلقائه للكلاب خارج قلعة هيرودس، كما قد نفترض أنه كان سيحدث لو تم إعدام المعمدان، اعتقد المندائيون أن يوحنا حصل على جنازة مندائية كاملة حضرها زوجته وأطفاله. ومن ناحية أخرى، رأينا أن المندائية قادرة على احتواء مناهج مختلفة لمختلف الأمور دون الاهتمام بالتناقض. قد يقدر المندائيون وجود ضريح مخصص لنبيهم على الرغم من وجود فهم مختلف لطريقة وفاته في كتبهم المقدسة.

لو كان لفرسان الهيكل اتصال بالمندائيين، أين كان من الممكن أن يحدث ذلك؟ ويقال أن إحدى نقاط توقف المندائيين في هجرتهم كانت دمشق. حاول الصليبيون الاستيلاء على دمشق خلال الحملة الصليبية الثانية عام 1148، لكنهم باءوا بالفشل. وبعد مرور ما يقرب من قرن من الزمان، كانت سياسة فرسان الهيكل هي دعم دمشق ضد عدوهم المشترك مصر، وفي عام 1244 دعم بارونات أوتريمر سيد دمشق المسلم ضد القوات القادمة من القاهرة. لقد تبين أن الأمر كان بمثابة كارثة بالنسبة لفرسان الهيكل والسكان المسيحيين - إحدى الخسائر الكبرى في سلسلة الحروب الصليبية.[11] ومع ذلك، فإن هذه اللقاءات توضح أنه إذا كان من المحتمل أن يلتقي المندائيون وفرسان الهيكل مع بعضهم البعض، فإن دمشق أو محيطها هي المكان المحتمل. أما بالنسبة لحصول فرسان الهيكل على المعرفة الباطنية من المندائيين، فإن الاقتراح يبدو غامضًا. من المؤكد أن المندائيين كان لديهم معرفة باطنية. وكانوا أيضًا مترددين في أن يحصل حتى الغرباء الودودون على الكثير من المعلومات حول دينهم. ومع ذلك فإننا نرى من خلال لقاءاتهم الموثقة مع الغربيين أنهم كانوا حريصين على ترك انطباع جيد لدى المسيحيين الذين قد يحمونهم من الاضطهاد الدوري من يد الإسلام الثقيلة عمومًا. مرة أخرى، لا يمكننا إلا التكهن.

مصافحة طقسية

إذا افترضنا أن المجموعتين اجتمعتا، وأن هذا أثر إما على الممارسات الدينية أو الشعائرية، فما الشكل الذي يمكن أن يكون قد اتخذه ذلك ؟ لقد رأينا أن أهمية يوحنا المعمدان هي أحد هذه الأسباب. الكفن، إذا كنا نشعر بالكرم الشديد، يمكن اعتباره بديلاً آخر.

وقد أُشير إلى أن المصافحة الطقسية شائعة بين كل من المندائيين والماسونيين. من أو ما الذي يوفر أرضية مشتركة بين المنظمتين المتباعدتين، بخلاف فرسان الهيكل؟ يدعي الماسونيون أنهم ينتمون إلى فرسان الهيكل، ويتم تفسير ذلك حرفيًا أو أسطوريًا وفقًا لمعتقداتهم.

يجب أن نذكر أن المصافحة هي شكل شائع جدًا من أشكال التحية. أتذكر أنني شاهدت الانقلاب الروسي عام 1991 على شاشة التلفزيون في لندن مع صديقي الصربي. نزل بوريس يلتسين من الدبابة التي كان يقف عليها لمصافحة أحد أفراد الحشد، في صورة رمزية. لقد شرح لي صديقي أن المصافحة هي عادة سلافية مميزة، ويبدو أنه لا يدرك أن المصافحة متأصلة بعمق في الثقافة البريطانية أيضًا. والنقطة هي أن الممارسات الإنسانية المشتركة لا يمكن بالضرورة إثبات ارتباطها تاريخيًا.

ومع ذلك، ترتبط المصافحات بشكل خاص بالطقوس، وهناك عدة إصدارات منها. الكوشتا المندائية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالأسطورة. على سبيل المثال، يتلقى ماندا دي هايي الكوشتا من الحياة العظيمة ويمد الأوثري الكوشتا لبعضهم البعض. إنه رمز للوفاء والحقيقة والمجتمع. وكان معروفًا أيضًا فقط لأعضاء المجتمع المندائي. وفقًا لأحد العلماء: "هذه الكوستا [كذا وردت] مطابقة تمامًا للمشبك الماسوني الأول". كما أنها تذكرنا بالدكسيوزيس [المصافحة] الموجود في الفن الجنائزي اليوناني والروماني، والفن المرتبط بأسرار إليوسينيان، والسجلات المحفوظة المتعلقة بطقوس الميثراية. [12] ومع ذلك، يبدو من المبالغة القول بأن المندائيين أثروا على فرسان الهيكل وأنهم أثروا على الماسونيين ونقلوا سر المصافحة بشكل مباشر عبر القرون. أقدم دليل على المصافحة اليونانية القديمة موجود على لوحة جنائزية من القرن الخامس قبل الميلاد، حيث يظهر جنديان يتصافحان. وتظهر أمثلة أخرى معاصرة تقريبًا أزواجًا يتصافحون. صورة الجنود مثيرة للاهتمام لأن أتباع الديانة الميثراية الغامضة، التي كانت شائعة بين الجنود في الإمبراطورية الرومانية، مارسوا المصافحات الطقسية وكانوا يُعرفون باسم "أولئك الذين توحدهم المصافحة". [13]

كانت الميثرائية تعتمد على عبادة ميثرا، إله الشمس في إيران

ما قبل الزرادشتية. استمر هذا العنصر من الديانة الفارسية خلال الإمبراطورية الساسانية ما قبل الإسلام، والتي عاش المندائيون في ظلها منذ القرن الثالث الميلادي. يزعم جيرارد راسل أن المصافحة اليزيدية مستمدة من المصافحة الميثراية، أو كانت لها بعض الصلة بها. ويعتقد أيضًا أن الإيزيديين ورثوا المصافحة للغرب، وبالتالي فهي مساهمتهم الثقافية الأكثر شهرة وانتشارًا: "على عكس المندائيين، الذين عاشوا في عزلة نسبية في الأهوار العراقية، تعرض الإيزيديون وتأثروا

بالعديد من الديانات والثقافات المختلفة على مدى الألفي عام الماضية".

يرى راسل أن التأثير البابلي أكثر من التأثير اليهودي في الممارسات الدينية المندائية، لذا ربما يكون استنتاجه متأثرًا بذلك. ولكن لم يقضِ المندائيون كل حياتهم في الأهوار العراقية. وقد عاشوا أيضًا في خوزستان في إيران، وفي بغداد والبصرة، ولا يزالون يعيشون هناك. وكما سنرى، فإن تقليدهم في الهجرة يضعهم في مجموعة متنوعة من المواقع. كانوا ماهرين في صناعة الفضة والذهب - وهي المهن التي ارتبطت بالمسافرين والتجار على مر القرون. لا يوجد دليل قاطع على أن الإيزيديين أعطوا المصافحة للغرب. ولعل المندائيين هم مرشحون جيدون بنفس القدر.

وقد ارتبطت العديد من الديانات القديمة الأقلية في الشرق الأوسط بشكل مبدئي بفرسان الهيكل. إن المنطق وراء هذا يأتي من بدعة فرسان الهيكل المزعومة، والتي لابد أنها انتقلت إليهم من مكان ما - ولأنهم كانوا في الشرق الأوسط فلا بد أنهم أصيبوا بالتلوث من قبل مجموعة من المنطقة (بما أن "بدعتهم" ليست إسلامية بشكل واضح، باستثناء احتمال أن يكون بافومت هو محمد).

نظرية بدعة يوحنا

تقترح لين بيكنيت وكليف برينس، وهما باحثان جيدان، أطروحة مثيرة للاهتمام، حيث زعما أن شبكة من الروابط بين فرسان الهيكل والكاثار ومجموعات غامضة أخرى تشكل كنيسة سرية هرطوقية تتركز حول شخصية مريم المجدلية وتشمل يوحنا المعمدان باعتباره المسيح. لقد امتد التأثير الناجم عن الصابئة المندائيين إلى هذه المنظمة الرائعة ولكن الافتراضية إلى حد ما.

في كثير من النواحي، يتبين أن الروابط بين المندائيين وفرسان الهيكل مجرد خيوط كاذبة وبيانات مضللة. المادة في حد ذاتها مثيرة للاهتمام، حتى وإن كان هناك حل أفضل لكل ارتباط مفترض بين فرسان الهيكل والمندائيين. إذا سمحنا لأنفسنا - ولو للحظة - بتعليق عدم التصديق، فما الصورة التي يعطيها لنا هذا عن المندائيين؟ شعب مسالم أثر على أعظم الرهبان المحاربين في المسيحية. دين كان العالم المادي والجسد بمثابة سجن بالنسبة له، ومع ذلك كان يقدس رأس يوحنا المعمدان المقطوع. الدين الذي ارتد عنه يسوع، لكنه بطريقة ما منحه دفنًا طقسيًا كاملاً وحافظ على كفن يتمتع بخصائص عجيبة. شعب لا يوجد له أي أثر في أوروبا قبل القرن العشرين ومع ذلك يزعم أنهم وراء كنيسة سرية تقدس يوحنا المعمدان.

وهناك ما يكفي من الأسرار في بقية المسائل المتعلقة بالمندائيين. ومع ذلك فإن فرسان الهيكل قادرون على قيادتنا إلى اللغز التالي. في 7 مايو 1104، وقعت معركة مهمة في وادي نهر البليخ في ما يعرف الآن بجنوب شرق تركيا. خلال المعركة، وقع كونت الرها، بالدوين من بورك، في الأسر على يد جنود السلاجقة. تم دفع فدية وتم إطلاق سراح بالدوين. تحسنت أحواله وأصبح بالدوين ملكًا على القدس، وهو الدور الذي منح به فرسان الهيكل الحق في التمركز في جبل الهيكل. كانت المواجهة معركة حران، وهي المدينة التي كانت معروفة لعدة قرون بأنها معقل الصابئة، وهو اللقب الذي نال به

المندائيون بعض التسامح في ظل حكم الإسلام.

ستُدمر مدينة حران في منتصف القرن التالي على يد الغزاة المغول. ومن المعروف أن بعض اللاجئين من حران استقروا في دمشق. ربما تكون الأحداث مترابطة أكثر مما ندرك؟ في بعض الأحيان لا يسمح التاريخ إلا بأن يُرسم بخطوط عريضة.

الفصل الخامس.

حران، المدينة الحصينة للصابئة

إذا كانت هناك مدينة مقدر لها أن تكون مركزًا للباطنية الرومانسية فهي حران. لقد كانت هذه القرية عبارة عن خراب مهجور لعدة قرون، يسكنها عدد قليل من القرويين البدو، الذين تم نقلهم في السنوات الأخيرة إلى قرية قريبة. معظم البقايا هي مجرد منازل عادية، ولكن حتى هذه المنازل تفوح منها رائحة الغموض: منازل على شكل خلية نحل، مصنوعة بالكامل من الطين لعزل فعال ضد أشعة الشمس الحارقة، على شكل مزيج من المخروط والبيضة الممدودة. كانت حران مدينة قديمة ومركزًا مزدهرًا للحضارة حتى في زمن الآباء التوراتيين. وكان إبراهيم هناك عندما كان لا يزال يُدعى أبرام، بعد أن هاجر شمالاً من أور الكلدانيين إلى أسفل نهر الفرات بالقرب من الخليج. وعاش مع أبيه تارح وزوجته ساراي وابن أخيه لوط، حتى توفي والده وتلقى تعليمات بالذهاب إلى كنعان، حيث سيجعل الرب منه أمة عظيمة (تكوين 12: 2). تحافظ بيوت خلايا النحل على درجات حرارة باردة نسبيًا في الداخل على الرغم من الحرارة الشديدة في الخارج. يُعتقد أن التصميم يعود إلى القرن الثالث أو الرابع قبل الميلاد تقريبًا، لذا فإن إبراهيم، لو كان موجودًا على الإطلاق، لكان قد رأى حران مختلفة. تم تدمير مدينة حران التاريخية على يد المغول في عام 1271.

ارتبطت حران بشكل خاص بعبادة إله القمر الذكر سين. بعد أن غزاها الآشوريون في القرن الثامن قبل الميلاد، أصبحت حران موقعًا لآخر بلاط ملكي للملوك الآشوريين. في القرن السابع قبل الميلاد كان مقر إقامة آشور بانيبال بعد أن فقد نينوى وخضع لاحقًا للسيطرة البابلية. كان نابونيدوس، آخر ملوك بابل، داعمًا جدًا لإله القمر سين. تُظهره ألواح الحجر المنحوتة وهو يعبد سين. هذه الحجارة استخدمها صلاح الدين الأيوبي - نفس صلاح الدين الذي استعاد القدس للإسلام - حين بنى مسجدًا في حران. وقد وضعت الألواح على الأرض ووجهها لأعلى حتى يتمكن المصلون الذين يقتربون من المسجد من السير فوق الصور الوثنية.[1] ومن وجهة نظر واحدة، أكد عمل صلاح الدين فتح الإسلام. ومن ناحية أخرى، فقد سمح ذلك لعبادة إله القمر بالاستمرار في السر لعدة قرون، بينما ظلت الحياة الوثنية القديمة للمدينة محفوظة تحت واجهة التوحيد الجديد. إن بقاء الحرانيين كشعب وثني حتى العصور الوسطى أمر مثير للإعجاب، كما هو الحال مع بقاء المندائيين حتى يومنا هذا.

الصابئة المراوغون

يعتمد ارتباط المندائيين بحران إلى حد كبير على هويتهم كصابئة، "أهل الكتاب". إن مصطلح الصابئة

هذا مرتبط بشكل جوهري بقدرة المندائيين على البقاء في ظل الإسلام. وقد ورد ذكر الصابئين ثلاث مرات في القرآن الكريم: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (القرآن 2: 62).

وفي المرجع الثاني، تم ذكر هذه الديانات الأخرى على وجه التحديد باسم "أهل الكتاب"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ..." "فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (القرآن 5: 69). في المرجع الثالث أضيف المجوس (الزرادشتيون) إلى القائمة، ولكن أيضًا عبدة الأصنام، حيث قال تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ" (القرآن 22: 17).[2] إن هوية الصابئة الأصليين [3] الذين كان محمد (أو الله، أو الملاك جبرائيل) في ذهنه غير معروفة، أو على الأقل غير مؤكدة. يعتقد بعض العلماء أن الأشخاص المشار إليهم كانوا سكان جنوب شبه الجزيرة العربية، أو ما يُعرف بمملكة سبأ، المشهورة بلقاء ملكتها مع سليمان في الكتاب المقدس، والتي حافظت على دين "عبادة النجوم" حتى ظهور الإسلام. ومع ذلك، فقد تم ذكر ملكة سبأ بشكل موجز في مكان آخر من القرآن الكريم، ولأن الصابئة يتم ذكرهم دائمًا برفقة اليهود والمسيحيين، فمن الواضح أنهم يعتبرون أن لديهم بعض الارتباط بهم كأديان توحيدية أو إبراهيمية.

التناقض الصابئي

في الآونة الأخيرة، كان يُعرف المندائيون في اللغة العربية باسم "صُبَّة" (المعمدانيين). يأتي جذر "s-b" من فعل آرامي موجود في كل من السريانية والمندائية، ويعني "غمر" أو "غمس" وما إلى ذلك. اللغات السامية لها جذور تتكون عادة من ثلاثة أو أربعة أحرف ساكنة. الاختلافات في هذه الجذور، المليئة بالحروف المتحركة المختلفة، تعطي كلمات مرتبطة اشتقاقيًا بطريقة غريبة عن اللغات الهندو أوروبية. ومن ثم فمن الممكن أن يكون الصابئة الأصليون معمدين معروفين لمحمد (أو الله، أو جبريل). ومن المحتمل تمامًا أن يكون المندائيون هم الصابئة المذكورين في القرآن.

إن دراسة ما كتبه الكتاب الإسلاميون الأوائل حول موضوع الصابئة تظهر خليطاً من الإشاعات غير المفهومة.[4] ومن بين الأشياء المتناقضة التي كتبت عن الصابئة أن دينهم يقع في منتصف الطريق بين اليهودية والزرادشتية؛ وأنهم يصلون خمس مرات يومياً، كما يفعل المسلمون؛ وأنهم طائفة مسيحية وأنهم دين منفصل. وفقًا لأحد الكُتّاب، فإنهم يعتبرون نوحًا نبيًا؛ أو يعبدون الملائكة أو يعبدون الشمس؛ ووفقًا لآخر، ليس لديهم طائفة أو كتاب مقدس أو نبي، ولكن إذا كان الأمر كذلك فإنهم لا يستطيعون أن يصنفوا على أنهم "أهل الكتاب" في المقام الأول. ومع ذلك، فإن بعض هذه النقاط تتطابق مع المندائيين: نوح هو شخصية في قصصهم؛ والشمس، شمش، غالبًا ما يكون لها دور إيجابي؛ والكلمة العربية التي تعني "ملاك" هي ملك، وهي نفس الكلمة المستخدمة في المندائية للأرواح الطيبة والشريرة على حد سواء، وفي شكل مماثل تستخدم مالكا لوصف الأوثري والإله الأعلى. ونظراً للطبيعة البدوية للحياة العربية وموقع المندائيين بشكل كبير في جنوب شرق العراق، فليس من المستحيل أن يكونوا حقاً الصابئة المذكورين في القرآن.

كانت حران جزءًا من الإمبراطورية البيزنطية قبل ظهور الإسلام، وفي عام 217 اغتيل الإمبراطور الروماني كاراكالا في حران.[5] وكانت مدينة الرها المجاورة لها مركزًا ديناميكيًا لنشاط المسيحية السورية لعدة قرون. وعلى النقيض من ذلك، كان آباء الكنيسة يطلقون على حران اسم هيلينوبوليس، أي "المدينة الوثنية".[6] زارت مسيحية تدعى إيجيريا حران في القرن الرابع أو الخامس، عندما كان بها أسقف مسيحي لأكثر من قرن، واشتكى قائلاً: "في المدينة نفسها، باستثناء عدد قليل من رجال الدين والرهبان المتواضعين، الذين، مع ذلك، يقيمون خارج أسوارها، لم أجد مسيحيًا واحدًا؛ كانوا جميعًا وثنيين".[7] زار جوليان المرتد، الذي أعاد مؤقتًا الوثنية الجديدة كدين رسمي للإمبراطورية الرومانية، في عام 363 وكان سعيدًا بتقديم الاحترام لإله القمر سين، كما كان كاراكالا يفعل عندما قُتل. كان من الواضح أن أهل حران كانوا متمرسون في التمسك بدينهم الوثني ومعابدهم.

مع الفتح العربي لسوريا وبلاد ما بين النهرين في القرن السابع (633-643) أصبحت حران جزءًا من الإمبراطورية العربية الإسلامية. في عام 744 م اتخذ الخليفة الأموي مروان الثاني حران عاصمة له بدلاً من دمشق. ومن المثير للدهشة أنه على الرغم من أن حران أصبحت الآن إلى حد ما مركزًا للعالم السياسي الإسلامي، إلا أن الوثنية القديمة استمرت. تبدأ المؤامرة الحقيقية في حوالي القرن التاسع عندما بدأ الكتاب المسلمون في ذكر الحرانيين باعتبارهم الصابئة. يعود هذا الإعلان إلى حادثة محددة مرتبطة، كما هو الحال في كثير من الأحيان في الشؤون الإنسانية، بالعنف. زار الخليفة العباسي المأمون حران وهدد سكانها الوثنيين بالقتل ما لم يعتنقوا الإسلام أو يثبتوا انتمائهم إلى دين آخر من الأديان المذكورة في القرآن.

كان المأمون في البداية غير راضٍ عن أسلوب لباسهم، الذي كان يتضمن فساتين قصيرة وشعرًا طويلًا مع تجعيدات. أي من الأشخاص المذكورين أنت؟ سأل.

"نحن حرانيون"، أجابوا. هل أنتم مسيحيون؟

"لا" أجابوا.

هل أنتم يهود؟ هل أنتم مجوس؟

"لا"، أجابوا على هذه الأسئلة أيضًا. وعندما سألهم هل عندكم كتاب أو نبي تلعثموا في الجواب وقالوا له أنهم كفار وعبيد للأصنام. وعندما قالوا إنهم على استعداد لدفع الجزية المفروضة على غير المسلمين، أخبرهم أن عليهم أن يقبلوا الإسلام أو يعتنقوا أحد الديانات الأخرى المقبولة. وبحسب القصة، غيّر البعض لباسهم التقليدي وتسريحات شعرهم، وأصبح آخرون مسيحيين، بينما اعتنق آخرون الإسلام. ولكن عدداً قليلاً منهم لم يرغبوا في التخلي عن تقاليدهم ودينهم، وبعد التشاور أعلنوا أنهم صابئة. [8]

لكي يتم تصنيف هؤلاء الحرانيين كـ"أهل الكتاب" كان عليهم أن

يثبتوا أن لديهم كتبًا مقدسة وأنهم موحدون. وقد قدّموا لنا كتاب "هيرميتيكا"، وهو مجموعة من

الكتابات المنسوبة إلى هرمس ترسميجيستوس الأسطوري، هرمس ثلاثي العظيمة. إن هذا المزيج من الأفلاطونية والوثنية التوفيقية والتصوف العملي، والذي يعد نتاجًا لنهاية الحضارة المصرية الأصلية، هو أحد المنتجات المميزة لمدينة الإسكندرية. من حيث محتواها وأصولها، تشترك الفلسفة الهرمسية في تداخل معين مع الغنوصية، وغالبًا ما تُعتبر قريبة من الغنوصية القديمة.

هيرمس ثلاثي العظيمة

المجموعة الأساسية من النصوص الهرمسية مليئة بالإشارات إلى الإله في صيغة المفرد: الله، الواحد، أبو الجميع، وحتى في الكتاب الحادي عشر هناك عبارة مفادها أن "تعدد الآلهة سيكون أمرًا سخيفًا".[9] تتكون المجموعة من عدة أعمال ذات وجهات نظر مختلفة قليلاً. وهذا، مرة أخرى، هو النص المثالي. إن الأعمال مثل الكتاب المقدس والقرآن مليئة بالتناقضات الداخلية التي تتطلب المناقشة والتدبر. التناقض الذاتي هو جزء أساسي من الكتاب المقدس. بدونها لن يكون للدين أي ديناميكية لمواصلة التقدم من خلال الحجج وإعادة التفسير. لذا فإن كتاب هرميتيكا كان مرشحًا مناسبًا لتصنيف الحرانيين على أنهم صابئة و"أهل الكتاب".

وبمجرد اختيار الكتب المقدسة، لم يعد من الصعب العثور على النبي. في التقاليد الإسلامية، يُعرف هرمس بأنه إدريس، المذكور في القرآن (19: 56-57)، حيث وُصف بأنه "رجل الحق، نبي".[10] لم يُربط إدريس بهرمس في القرآن قط، ولكن يُفهم تقليديًا على أنه أخنوخ. وهكذا يمكن التوصل إلى تعريف مفيد لهرمس ≈إدريس ≈أخنوخ، وهو التعريف الذي يؤكد أن هرمس ترسميجيستوس الحراني لم يكن في الحقيقة شخصية وثنية، على الرغم من أصوله النهائية باعتبارها اندماجًا بين هرمس اليوناني وتحوت المصري.

كان إله القمر سين يُعبد في حران منذ آلاف السنين، إلى جانب آلهة الكواكب الأخرى في بلاد ما بين النهرين. وكانت الكواكب، بطبيعة الحال، قوى أيضًا في علم التنجيم. الكواكب مهمة أيضًا في التقاليد المندائية، لكن أهميتها سلبية. الأسماء التي يستخدمها المندائيون هي أيضًا أسماء بلاد ما بين النهرين، وتمثل استمرارًا للتقاليد البابلية. لكن الكواكب مرتبطة بالقدر كقيود. هذه فكرة غنوصية جدًا. هيمارميني، الكلمة اليونانية التي تعني القدر، هي القوة التي تحد وتقيد الناس في هذا العالم. إنه شيء يجب الهروب منه. في بعض التقاليد الغنوصية فإن استخدام علم التنجيم لا يؤدي إلا إلى تقوية التأثير السلبي للقدر. ونستطيع أن نرى ذلك عمليًا اليوم. إن الاعتماد المفرط على علم التنجيم دون حذر قد يؤدي إلى وقوع الفرد في فخ الخوف من التأثيرات الخبيثة للدورات والتأثيرات الكونية: هذا هو علم التنجيم المبني على انعدام الأمان بدلاً من الفهم. ولكن لا بد من القول أن المندائيين في جميع العصور مارسوا علم التنجيم بشكل عام، على الرغم من رفضه في الدين الرسمي. (انظر الفصل الثامن، على أنهار بابل.) لم يكن المندائيون والحرانيون وحدهم من حافظوا على أهمية الكواكب: فحتى يومنا هذا، لا يزال لدى الإيزيديين والعلويين عناصر مماثلة تشير إلى استمرار تأثير حران.[11]

الحرانيون والمندائيون

لفترة من الزمن، هيمن الحرانيون على أي نقاش إسلامي حول الصابئة. أصبح مصطلح "الصابئة" مرادفًا للوثنيين، وانتشر على نطاق واسع في العالم العربي حتى أن الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون أشار إلى الوثنيين الصابئة. ولكن مع تدمير مدينتهم، اختفى الحرانيون من التاريخ. لقد تمكن المندائيون الهادئون، الذين نجوا بأفضل ما استطاعوا، من الحصول على لقب الصابئة لأنفسهم مرة أخرى. اليوم، مع وجود بعض أقل أشكال الإسلام الشعبي تسامحًا وثقافة في العراق، يؤكد المندائيون على هويتهم باعتبارهم "صابئة مندائيين" ويأملون أن يعرف أي معتدٍ محتمل القرآن جيدًا بما يكفي لتركهم وشأنهم. ومع ذلك، في إيران، مُنح الزرادشتيون، الذين ورد ذكرهم بشكل منفصل في القرآن الكريم، في السنوات الأخيرة وضعًا محميًا باعتبارهم "أهل الكتاب" على حساب المندائيين، الذين لم يعد لديهم وضع "أهل الكتاب" وفقدوا العديد من امتيازاتهم التي سمحت لهم، على سبيل المثال، بالانسحاب من التعليم المخصص للمسلمين.

ولعل الذين يزعمون أن المندائيين لا علاقة لهم إطلاقاً بصابئة حران يحتجون كثيراً. من المؤكد أن التقليدين ليسا نفس الشيء، ولكن في معاملة المندائيين للكواكب كشخصيات شيطانية، ربما نرى مثالاً على الانقلاب الغنوصي. لا يميز المندائيون أنفسهم عن الوثنيين فحسب، بل من خلال قلب آلهتهم وتحويلهم إلى شياطين، قد نرى في العمل نفس الموقف الذي حول يهوه في سفر التكوين إلى ديميورج السيثيين الجاهل، أو الذي حول يسوع إلى مرتد بدلاً من مخلص.

ومع ذلك، تزعم دراور أن الأرواح الكوكبية كان يُنظر إليها على أنها ذات أشكال فاتحة ومظلمة، وأن المندائيين كرموا الأرواح الفاتحة فقط لأنهم كانوا يدركون جيدًا التأثير الخبيث الذي يمكن أن تقدمه الكواكب والقدر. حتى لو لم تكن هناك روابط جوهرية بين الحرانيين والمندائيين، فقد كان كلا المجتمعين الدينيين موجودين في بغداد خلال عصرها الذهبي. من الصعب أن نصدق أن مجموعتين تسميان نفسيهما بالصابئة لا يمكن أن تكونا على علم ببعضهما البعض. يمكن القول إن المندائيين كانوا على أساس أكثر أمانًا فيما يتعلق بدينهم لأنه احتوى على عناصر مستمدة من التقاليد الإبراهيمية أو تفاعلت معها، في حين كان الحرانيون وثنيين. على الرغم من أنهم اعترفوا، من خلال هرميتيكا، بوحدة الله، إلا أنه في الممارسة العملية كانت معابدهم مخصصة لآلهة كوكبية مختلفة وآلهة بلاد ما بين النهرين القديمة. قد نتوقع أن المندائيين قد أكدوا على كراهيتهم للكواكب لتمييز أنفسهم عن الصابئة الوثنيين.

ربما توجد ذكريات عن حران محفوظة في التقاليد الشفهية. حكاية شعبية حُكِيت للسيدة دراور تصف مجتمعًا من الدراويش في الشمال الذين يزرعون الأرض ويحصدون ويصلون. هذا كل شيء.[12]يشكل الدراويش بشكل رئيسي جزءًا من التقاليد الصوفية في الإسلام، ولكن يبدو أن الاسم جاء إلى المندائيين للإشارة إلى أي متجول روحي مخلص. لم يكن لهؤلاء الدراويش زوجات، وربما كانوا نباتيين، وكان لديهم معرفة كبيرة بعلم التنجيم، وكانوا يتحدثون المندائية. تلتقي بهم قبيلة غريبة، ويتخلى ملك هذه القبيلة في النهاية عن كل شيء ويسافر إلى الأردن حيث يلتقي بيوحنا المعمدان (يحيى بالمندائية). وتشبه القصة إلى حد ما قصة يوحنا كما وردت في الكتب المندائية. تميل الليدي

دراور إلى ربط هؤلاء الدراويش الناطقين باللغة المندائية الشمالية بالحرانيين. يبدو أن هدف القصة يتضمن اندماج مجتمع الصابئة الحرانيين مع مجتمع المندائيين. عندما دمر المغول حران نعلم أنه كان هناك لاجئون: ذهب بعضهم إلى دمشق. ليس من المستبعد أن يسعى الصابئة الحرانيون اليائسون، الذين واجهوا خطر إبادة وطنهم، إلى البحث عن أولئك الذين أطلق عليهم أيضًا اسم الصابئة. من المؤكد أن هذه نسخة من القرن العشرين لحكاية شعبية تجمع في سردها بين عدة قصص. ولكن من الممكن تمامًا، كما رأينا، أن تبقى الذاكرة الثقافية حية لعدة قرون في الأساطير والحكايات الشعبية. بالنسبة للمؤرخين فإن السؤال هو ما إذا كان من الممكن التحقق من صحة هذه الادعاءات. لكن على الأقل فهي توحي بوجود رابط.

حتى أن هناك رواية موجودة لمسلم من القرن الحادي عشر يميز فيها بين الحرانيين وغيرهم من الصابئة، الذين من المرجح جدًا أنهم المندائيون:

> مرة أخرى، يزعم آخرون أن الحرانيين ليسوا الصابئة الحقيقيين، بل هم من يطلق عليهم في الكتب الوثنيون وعبدة الأصنام. لأن الصابئين هم بقية القبائل اليهودية التي بقيت في بابل، حين غادرتها القبائل الأخرى إلى أورشليم في أيام كورش وأرتحشستا.
>
> وأحست تلك القبائل الباقية بالانجذاب إلى طقوس المجوس، فمالت (مالت أي الصابئ) إلى دين نبوخذ نصر، واعتمدت نظاماً يمزج بين المجوسية واليهودية مثل نظام السامريين في سوريا.
>
> ويسكن أغلبهم في واسط، وسواد العراق، وفي نواحي جعفر، والجميدة، ونهر السيل. يتظاهرون بأنهم من نسل أنوش ابن سيث.
>
> وهم يخالفون الحرانيين، فيلومونهم على عقائدهم، ولا يتفقون معهم إلا في القليل. حتى أنهم في صلاتهم يتجهون نحو القطب الشمالي، بينما يتجه الحرانيون نحو القطب الجنوبي. [13]

هناك روابط صغيرة أخرى. في كتاب "كنزا الصحيح" نقرأ أن سفينة نوح مصنوعة من خشب الأرز من لبنان وخشب الأبنوس من حران، مما يدل على أن المندائيين عرفوا حران على الأرجح قبل مجيء الإسلام.[14]

من بعلبك إلى الجليل

وقد ذكر كاتب مسلم من القرن التاسع، يدعى أبو بكر [15]، أن الحرانيين كانوا ينوحون على تموز، إله الطعام السومري وزوج عشتار، إلهة الحب والخصوبة والحرب. لا يبدو أن عبادة عشتار وتموز كانت محورية في تركيزهم على الآلهة الكوكبية، على الرغم من أن عشتار، بالطبع، تعادل كوكب الزهرة. وقد شارك بعض المندائيين في احتفالات تموز، على الرغم من احتجاجات الكهنة المندائيين.[16] ولا بد من القول إن عبادة عشتار وتموز كانت منتشرة على نطاق واسع في بابل، وربما

استمرت حتى العصر الإسلامي.

لا تتحدد اللقاءات بين الأديان دائمًا بالخوف من السلطة والعنف، أو بالعداء بين المجتمعات. كان للحرانيين معبد في بعلبك في لبنان، ليس بعيدًا عن مستوطنات الدروز، مما يوفر إمكانية انتقال المعرفة بين الحرانيين والدروز.[17] إذا كان المسلمون قادرين على التسامح مع الحرانيين بما يكفي للسماح لبعضهم بالعيش في بغداد كعلماء - بعضهم من بين الأفضل في عصرهم - فمن المؤكد أن هناك مناسبات تمكن فيها الحرانيون والمندائيون من مشاركة فهمهم للإله المتعالي وتأثيره على الكواكب.

تشير الدلائل إلى وجود روابط بين الحرانيين و المندائيين. لكنهم لم يكونوا نفس الأشخاص ولم يكن أحدهما أصل الآخر. ويرى بعض العلماء أن المندائية لم تتخذ شكلها الحالي إلا بعد لقائها بالإسلام. إن الحاجة إلى تصنيفهم كـ "أهل الكتاب" دفعت المندائيين إلى تبني يوحنا المعمدان كشخصية قيادية وجعل دينهم يبدو وكأنه قد يكون مشتقًا من اليهودية. وقد قيل أيضًا إن المندائيين لم يكونوا موجودين قبل غزو العرب الإسلاميين للعراق، وهو ادعاء سنرى أنه تم دحضه.

لقد رفض أحد العلماء على الأقل حران باعتبارها مكانًا قاحلًا جدًا بالنسبة للمندائيين المعمدانيين. ولكن إذا كان البشر يعيشون هناك - وقد فعلوا ذلك - فلا بد من وجود كمية كافية من المياه الجارية، وإذا كانت هناك كمية كافية من المياه الجارية فإن المندائيين كانوا قادرين على إجراء المعمودية. اليوم، أصبحت حران مهجورة، والمياه الموجودة فيها تأتي من قنوات الري.

علاوة على ذلك، فإن حران لا تشير إلى المدينة نفسها فحسب، بل إلى المنطقة بأكملها. هناك عدة أماكن تسمى حران أو حرّان أو حوران. توصل الباحث إدوين ياموتشي إلى أن المندائيين لم يعودوا إلى حران، بل ربما إلى حوران، وهي منطقة جبلية تقع شرق بحر الجليل ونهر الأردن. كلا الشكلين من الاسم يظهران في الكتابات المندائية. قد تكون فكرة هذه الحوران الأخرى ذات جذور، لكن التشابه بين الأسماء لا يعني أن أحدهما أو الآخر لعب دورًا في التاريخ المندائي. لا يُستبعد في الجزء الأول من قصة المندائيين وجود إقامة مندائية بالقرب من سلسلة جبال حوران في شرق الأردن.

الفصل السادس

أهل الكتاب

ولا يقل إثارة للجدل في الكتب المندائية عن تصوير يسوع على أنه مندائي مرتد هو الإشارات القليلة إلى محمد. وهذه ليست موجهة تحديدًا إلى محمد نفسه، بل إلى الإسلام. تنتج ترجمات مختلفة "ابن الجزار"، أو "ابن الجزار العربي"، أو "ابن الذباح". من المؤكد أن المندائيين المعاصرين ليسوا ملزمين بقبول جميع جوانب الدين التقليدي أكثر من شعور جميع المسيحيين المعاصرين بأنه يجب أن يكونوا معادين للسامية، أو معادين للمثليين جنسياً، أو يجب أن يتسامحوا مع العبودية، وكل ذلك يمكن تبريره بمقاطع في العهد الجديد. إن التجارب الأخيرة المتمثلة في التحول القسري والعنف المتطرف في العراق وعدم التسامح في إيران ما بعد الثورة قد تدفع المندائيين المعاصرين إلى الاتفاق سراً مع أسلافهم.

لقد اعتاد المندائيون على مر القرون على التغييرات التعسفية في الحكومة المحلية والاضطرابات واسعة النطاق العرضية الناجمة عن تغيير الإمبراطورية والنظام. وباعتبارهم مجتمعًا صغيرًا متماسكًا، فقد أدركوا أن عليهم ركوب الموجة، بغض النظر عن الاتجاه الذي يتحول إليه المد. ولكن لم يحدث قط مثل هذا التغيير الكبير الذي لا رجعة فيه في ظروف حياتهم كما حدث مع ظهور الإسلام.

لقد كانت الفتوحات العربية رائعة حقا. تمكن خليفتا محمد، أبو بكر الصديق (632-634) وعمر (634-644)، من توحيد القبائل العربية بعد وفاة النبي. وفي غضون ثلاثة عقود من الزمن، استولوا على العراق وإيران، اللتين كانتا تحت حكم الإمبراطورية الساسانية، إلى جانب شمال بلاد ما بين النهرين وسوريا ومصر. عندما ضمت الإمبراطورية العربية الإسلامية بلاد ما بين النهرين إلى فتوحاتها في عام 636، فلا بد أن يكون هناك بعض العنف والقمع ضد المندائيين - على أقل تقدير - مما تسبب في رد فعلهم السلبي. ورغم أنه كان هناك، بطبيعة الحال، ضغط كبير على سكان البلدان التي تم فتحها حديثًا للتحول إلى الإسلام، فقد وجد العديد من الناس العاديين أنهم في حال أفضل مما كانوا عليه قبل الغزو، على الرغم من أنه ليس من الواضح أن هذا كان صحيحًا بالنسبة للمندائيين، الذين يبدو أنهم كانوا مستقرين إلى حد ما بحلول تلك النقطة، بالنظر إلى البيانات القليلة التي لدينا عنهم في القرون التي سبقت الإسلام. كانت العديد من المناطق خاضعة لحكم أنظمة غير مستجيبة واستبدادية، وكانت العديد منها بالفعل أجزاء من إمبراطوريات أخرى. إن طبيعة الإسلام، وخاصة الإسلام السني الذي يرتكز بشكل رئيسي على العلاقة بين الإنسان والله، والذي لا يتضمن كهنوتًا حقيقيًا، تضع كل مسلم على قدم المساواة.

كان الساسانيون والإمبراطورية البيزنطية المسيحية اليونانية، أو الإمبراطورية الرومانية الشرقية، في حالة حرب لعدة قرون. كانت سوريا ومصر في ذلك الوقت تحت سيطرة البيزنطيين، إلا أن الساسانيين حققوا نجاحات هائلة في التغلب على البيزنطيين في الحرب خلال العقود التي سبقت الفتوحات العربية مباشرة. بين عامي 608 و 619 استولى الساسانيون على المدن القديمة أنطاكية وطرسوس ودمشق والقدس. في عام 619م، غزا الساسانيون مصر، ليشهدوا انتعاش الإمبراطورية البيزنطية (الإمبراطورية الرومانية الشرقية). وفي نهاية المطاف، تمكن البيزنطيون من استعادة أرمينيا وبلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين بحلول عام 629. لقد خسر كل من الساسانيين والبيزنطيين معظم إمبراطورياتهم أمام العرب في العقود التالية. بحلول عام 649 كانت الإمبراطورية الساسانية في نهايتها.

بعد التقدم الإقليمي الهائل الذي حققه الإسلام في وقت مبكر، حكمت الأسرة الأموية العالم الإسلامي من عام 661 إلى عام 750 من دمشق ثم حران. تأسست بغداد عام 763م بالقرب من أطلال طيسفون. لقد كانت طيسفون مدينة مهمة للغاية عبر العديد من الإمبراطوريات المختلفة، ولكن في بغداد بدأت على الأرجح أعظم عصر ذهبي للثقافة بين العصور القديمة الكلاسيكية وعصر النهضة الأوروبية.

اختلاط الكتاب المقدس التقاليد و تسامح

تم بناء الجامع الأموي في دمشق على أنقاض كنيسة قديمة يقال إنها تضم قبر القديس يوحنا المعمدان الذي يحتوي على جمجمته. بعد الفتح الإسلامي لسوريا، كان المسلمون والمسيحيون يمارسون عبادتهم جنبًا إلى جنب بسلام، وكانوا يستخدمون المبنى في أيامهم المقدسة الخاصة: الجمعة للمسلمين، والأحد للمسيحيين. وفقًا لأحد المخبرين لدى لين بيكنيت، كان المندائيون يؤدون رحلة حج سنوية إلى ضريح جمجمة يوحنا في دمشق.[1]

لا يستخدم المندائيون القرآن الكريم، ولكن من المهم أن نفهم أنهم لا يستخدمون الكتاب المقدس أيضًا - لا العهد الجديد ولا الكتاب المقدس العبري ولا العهد القديم. لا يقوم الكهنة المندائيون باستخراج كنوز سفر التكوين وبقية التوراة والأنبياء من أجل إعادة تفسيرها بالطريقة التي فعلها الغنوصيون السيثيون، على سبيل المثال. ولم يقرأوا الأناجيل مجازيًا بالروح الباطنية للفالنتينيين. إنهم ببساطة لم يقرأوها على الإطلاق. إنهم يقرؤون كتاب كنزا وكتاب يوحنا، والقلستا وكتاب حران كويثا - وهي كتب مقدسة تشترك في العديد من الشخصيات والأحداث التوراتية مثل آدم وحواء وسيث وهابيل وأخنوخ، ونوح والطوفان، أو عبور بحر القصب.[2]

في قصة نو (نوح) المندائية، عندما جنحت السفينة على الجبل (كاردون) أرسل أولًا غرابًا. يجد الغراب جثة ليتغذى عليها وينسى مهمته، التي تذكرنا بالأمير في الكتابة الغنوصية المسماة "ترنيمة اللؤلؤة"، الذي بمجرد إرساله إلى مصر ينخرط في العالم المادي وينسى مهمته الخاصة لاستعادة اللؤلؤة. ثم يرسل نو حمامة تعود غصن زيتون، على الرغم من أنه كان من المتوقع أن يفضل

المندائيون الآس.[3] من الواضح أن محمدًا (أو الملاك الذي أملى عليه القرآن، أو الله نفسه) كان يعرف بعض التقاليد غير الموثوقة، وربما كانت من مصادر شفوية. القصص الواردة في القرآن الكريم، والتي تتحدث عن ولادة مريم لعيسى تحت نخلة، والتي يتحدث فيها عن صنع يسوع للطيور من الطين، موجودة أيضًا في أناجيل الطفولة المنحولة السابقة. إن الرأي القرآني بأن المسيح لم يصلب فعليًا موجود أيضًا في النص الغنوصي، الرسالة الثانية لسيث الأعظم.

لقد ورثنا من الثقافة المثقفة والفضولية فكريًا في العصر الذهبي الإسلامي بعضًا من أقدم رواياتنا عن المندائيين. تشير إحدى الوثائق المندائية التي قد يعود تاريخها إلى عامي 639-640 إلى كيف قاد زعيم المندائيين، أنوش بن دنقا، وفداً إلى السلطات الإسلامية، على الأرجح للدفاع عن قضية تصنيف المندائيين كصابئة، أو على الأقل لطلب سلامتهم.[4] في عام 924، سأل الخليفة العباسي القاهر بالله أحد العلماء، وهو الإصطخري، عن الصابئة في جنوب شرق العراق. فأخبروه أنهم دفعوا رشوة قدرها خمسين ألف دينار حتى يتركوا وشأنهم. بطريقة ما، لم يتم فرض ضريبة الجزية عليهم كأقليات دينية غير مسلمة، وهذا بالتأكيد شهادة على مهارات الدبلوماسية والتفاوض التي يتمتع بها المندائيون. كما هو الحال دائمًا، فإن اليقين الوحيد هو الموت والضرائب.

أقدم رواية عن المندائيين من شخص خارجي واضح تظهر في الفصل الأخير من كتاب السكوليون لثيودور باركوناي، وهو مسيحي سوري كتب أيضًا عن المانويين وغيرهم من الديانات الأقلية التي كانت لا تزال موجودة في ذلك الوقت. يقتبس من كتاب كنزا، لكنه يورد قصة مشوهة تمامًا عن أصولهم، حيث يذكر أنهم أسسهم متسولون، ويزعم أنهم ينتمون إلى بلاد ما بين النهرين العليا، حيث لا يزالون يُعرفون باسم "الناصريين".[5]

هناك سمات للمندائية حتى يومنا هذا كانت ضرورية بشكل واضح بسبب حقيقة أن الإسلام كان مسيطراً في المناطق المندائية. الأول هو بديل النبيذ المستخدم في المعمودية الأسبوعية. قد تكون هناك أسباب أخرى لذلك أيضًا، ولكن النبيذ الصناعي غير المخمر الذي يتم إنتاجه عن طريق نقع التمر في الماء سيكون أكثر قبولًا لدى المسلمين الذين يمتنعون عن شرب الكحوليات من النبيذ الحقيقي، سواء كان مصنوعًا من العنب أو التمر. والأمر الآخر، وهو أمر حاسم لبقاء المندائيين اليوم، هو رفض قبول المتحولين. أي مسلم يعتنق المندائية يعتبر مرتدًا وبالتالي محكومًا عليه بالموت، الأمر الذي من شأنه أن يعرض المجتمع المندائي للخطر. كما ترفض المجتمعات البارسية في الهند قبول المتحولين.

لكن هذه العلاقة الصعبة مع الإسلام تمتد إلى مجالات أخرى من الحياة أيضًا. لا ينبغي للمندائيين أن يقبلوا الطعام أو الشراب من المسلم، ولكن المندائيين لا يواجهون نفس الصعوبة في قبول الطعام من المسيحيين. ولا بد أن يعود هذا جزئياً إلى كون الإسلام هو الدين السائد والقوة الثقافية لفترة طويلة في العراق وإيران. ولكن من المؤكد أن الإسلام لديه قوانين دينية تتعلق بالطعام، والمعروفة عمومًا باسم الحلال، في حين أن المسيحية ليس لديها أي قوانين خاصة بالطعام.[6] وكان لأحد شيوخ المندائيين (المصطلح العام المستخدم للزعماء الدينيين في البلدان الناطقة بالعربية) مقابلة مع البابا يوحنا بولس الثاني في عام 1990. من بين الديانات الرئيسية الثلاث التي واجهها المندائيون، تعتبر المسيحية

بالتأكيد الأكثر قبولاً.

يبقى أن نرى ما إذا كان المندائيون، خارج البلدان الإسلامية، قد يغيرون قواعدهم. هناك بالفعل قدر معين من التكهنات بأن غير المندائيين الذين تزوجوا من المندائيين قد يتم قبولهم في المجتمع. لكن جوريون باكلي أخبرتني: "إن قضية التحول ليست شيئًا يجب التعامل معه علنًا على الإطلاق، إذا كنت من الخارج". [7]

ربما كان للقرآن الكريم، أو إعادة سرد القصص من القرآن الكريم، تأثير على حلقات مثل تلك الموجودة في اليمين كنزا حيث تم توجيه ملائكة النار للسجود أمام آدم وحواء. في سورة 38: 71 يخبر الله الملائكة أنه بمجرد أن يخلق الإنسان من الأرض فإنهم سوف يسجدون له ويعبدونه. [8]

كان لغزوات المغول تأثيرًا هائلاً على الإسلام في القرن الثالث عشر. كان المغول أول من أزعج القوة المريحة للإسلام العربي، والتي تمتعت بالاستقرار والثروة - ومن هذا النجاح المادي أنتج ثقافة عالية مجيدة. كان استيعاب المغول في العالم الإسلامي انتصارًا للدين، لكن تدفق الناس الذين يتحدثون لغة مختلفة وثقافة مختلفة جذريًا هز موازين القوى. ومن الغريب أنه لا يوجد دليل يذكر على أن المغول كان لهم تأثير كبير على المندائيين على الإطلاق، باستثناء الصلة الحرانية. ربما كان المندائيون قد تعلموا في ذلك الوقت البقاء خارج الطريق، والاختباء وراء وجوههم الباهتة باعتبارهم "أهل الكتاب"، والتظاهر كلما تطلبت حياتهم ذلك.

لقد عاش المندائيون في جوار الإسلام والمسيحية واليهودية لعدة قرون. وعلى الرغم من وجود روايات عن الاضطهادات من وقت لآخر، فإن هؤلاء الناس كانوا جميعًا يعيشون معًا بدرجة ما من النجاح لفترة طويلة. حتى القرن الحادي والعشرين، عاش المندائيون في العراق وإيران بدرجات متفاوتة من الراحة والسهولة. كما قال الباحث ناثانيال دويتش:

> إن وجهة نظري هي أن المندائية ربما نشأت من سياق يهودي في مرحلة ما، وأنهم على مر القرون في بلاد ما بين النهرين كانت لديهم علاقات وثيقة للغاية والتي كانت على الأرجح أكثر ودية مما تشير إليه النصوص. لا يقتصر الأمر على النصوص المندائية فحسب، بل إذا نظرت إلى كل التقاليد الدينية تقريبًا في الشرق الأوسط، وإذا نظرت جيدًا ستجد أشياء سلبية قيلت عن الآخرين. لكن على أرض الواقع، وخاصة إذا نظرت إلى ما يسمى بالتقاليد السحرية، والتي من الأمثلة عليها الأوعية السحرية، والتي لدينا عدد لا بأس به من الأمثلة التي نجت، والتي اكتشفها علماء الآثار، حيث يتضح من اللغة المستخدمة، من الكائنات الإلهية المختلفة، والكائنات الملائكية التي يتم استحضارها، وأسماء الكتبة، وأسماء العملاء التي تُنقش عليها أحيانًا، أن هناك الكثير من التواصل الثقافي المتبادل بين هذه الشعوب المختلفة. حتى لو كانوا رسميًا في نصوصهم النخبوية متعادين، فقد كانوا جيرانًا، وفي حالة اليهود، فإن النص مختلف ولكن اللهجة المنطوقة للغة الآرامية كانت متشابهة جدًا. على سبيل المثال، فإن اللغة المندائية واللهجة البابلية للتلمود متشابهتان إلى حد كبير. في بعض الحالات كانوا يعيشون في بلدات أو مناطق متداخلة مع بعضها البعض، لذا قد يكون هذا أحد تلك

الحالات التي يسودها قلق النفوذ، حيث يتفقون عمومًا مع جيرانهم، ولكن عندما يتشاجرون، يمكن أن يأخذ ذلك دلالة مختلفة عندما تقاتل جارًا ضد شخص غريب تمامًا. [9]

النصارى ونصيروتا والنزاريون

إن التشابه المؤسف بين الأسماء قد يربك القارئ غير الحذر الآن. كما رأينا، فإن الدائرة الداخلية للمندائيين تُعرف باسم النصارى. تشمل هذه المجموعة كل من رجال الدين والعلمانيين المتعلمين.[10] وتُطلق أسماء متشابهة على المسيحيين في جميع أنحاء الشرق الأدنى والشرق الأوسط وحتى في الهند، مع ظهور الترجمات الإنجليزية مثل الناصريين أو نصارى.

كانت الطائفة الإسلامية في العصور الوسطى التي تأسست في سوريا والمعروفة شعبياً باسم الحشاشين هي النزارية، والتي تسمى أيضاً النزاريين أو النصيريين.[11] وعلى الرغم من أنه سيكون من الأدق الإشارة إليهم باسم الشيعة الإسماعيلية النزارية، إلا أن اسم الحشاشين مألوف بشكل مفهوم أكثر للقراء الغربيين. ولكن هذا لا يعني أن النزاريين اليوم هم قتلة بالمعنى الحديث للكلمة.

الحشاشون هم جماعة محاربين ظهرت في بلاد فارس في القرن الحادي عشر. أسس زعيمهم الأول، حسن الصباح، معقلًا جبليًا في آلموت، والذي كان بمثابة مقر للطريقة. كان وادي جبلي يبلغ عرضه ثلاثة أميال وطوله 30 ميلاً يمنح مدينة آلموت إمكانيات دفاعية غير عادية. ويقال إن حسن الصباح كان العقل المدبر لاستراتيجيات الطريقة لعقود من الزمن دون أن يغادر هذا الحرم. تميزت مدينة آلموت أيضًا بالإبداعات التكنولوجية، مثل نظام الري المبتكر. اسم اساسن (قاتل) مشتق من كلمة حشيشين، وهو مصطلح مهين يشير إلى اعتقاد شائع بأن الحشيش كان يستخدمه النزاريون إما لجعل محاربيهم بلا خوف أو للمساعدة في تدريب القتلة وتجربة جنة خيالية لفترة وجيزة يعودون إليها بمجرد تنفيذ القتل المحدد (خلال الفعل الذي كان من المتوقع أن يُقتل فيه القاتل نفسه انتقامًا).

ربما تم استخدام المخدرات في نوع من الرؤية الصعودية. ومن الممكن أيضًا أن تكون تجربة رؤية كهذه قد ألهمت قاتلًا لتجاهل نجاته. لكن الاقتراح بأن الرؤى الناجمة عن المخدرات قد تعمل بطريقة ما على تنويم المحاربين مغناطيسيًا لإقناعهم ضد إرادتهم بتنفيذ عمليات اغتيال تبدو غير منطقية. وبالمثل، فإن فكرة أن هذا من شأنه أن يجعلهم غير خائفين تبدو ساذجة. يتخيل المرء قاتلًا ثملًا مصابًا بجنون العظمة ويعاني من مشاكل في الذاكرة قصيرة المدى وينسى مكان خنجره أو حتى ما إذا كان قد قتل ضحيته أم لا.

إن وضع الحشاشين في التراث الإسلامي يتطلب توضيحًا بسيطًا للتقسيمات الأساسية للإسلام. قد تكون مصطلحات السنة والشيعة مألوفة في نشرات الأخبار في الشرق الأوسط، ولكن العديد من الغربيين غير المسلمين ما زالوا غير متأكدين من معناها. بعد وفاة محمد، أصبح أبو بكر زعيمًا للعالم الإسلامي المتوسع بسرعة باعتباره الخليفة الأول. كان أبو بكر مستشارًا كبيرًا ورفيقًا مقربًا لمحمد، وكان يمثل ما أصبح يُعرف بالإسلام السني (تبعا للسنة، والتي تعني "التقليد"، في إشارة إلى التقاليد

التي تطورت). حتى يومنا هذا، حوالي 80-90 في المائة من المسلمين هم من السنة. قام أبو بكر بتوحيد أمة الإسلام وبدأ الفتوحات العسكرية في الجزيرة العربية، إلا أنه حكم كخليفة لمدة عامين فقط.

حكم عمر باعتباره الخليفة الثاني لمدة عشر سنوات، من عام 634 إلى عام 644. أما الخليفة الثالث فهو عثمان بن عفان من بني أمية. ومع ذلك، شعرت عشيرة محمد، هاشم، أن عثمان كان يفضل الأمويين، مما أدى إلى مقتله في عام 656 واندلاع حرب أهلية بين الفصائل المتنافسة. علي، ابن عم محمد، أصبح الخليفة الرابع، ولكن في عام 661 تم اغتياله أيضًا. كان خليفة علي، معاوية بن أبي سفيان، ذكيًا سياسيًا، حيث حافظ مؤقتًا على دعم فصيل علي. وبما أنه كان حاكماً لسوريا، فقد نقل العاصمة السياسية من المدينة المنورة إلى دمشق. أسس الخلافة الأموية التي كان لها تأثير كبير على العالم الإسلامي.

عندما توفي معاوية عام 680، تسبب خليفته يزيد في الانقسام الدائم في الإسلام من خلال ذبح ابن علي، الحسين، وعائلته. إذا كان من المقرر أن تنتقل قيادة الخلافة وراثيا، فإن أحفاد علي قالوا إنهم أصحاب الحق الأقوى. وهذا هو أساس الإسلام الشيعي، الذي يؤكد أن أحفاد علي، وبالتالي أولئك الذين هم أقارب دم محمد، هم الذين لديهم الحق في السلطة الروحية والدنيوية في الإسلام. يُعتبر علي هو الإمام الأول، ومن بعده تتابع عليه الأئمة. هناك انقسام آخر في الإسلام داخل الإسلام الشيعي نفسه. يعتقد غالبية الشيعة، المعروفين باسم الإثني عشرية، بوجود 12 إمامًا ويعتقدون أن الإمام الثاني عشر سيعود كشخصية رؤيوية تُعرف باسم المهدي. هناك وجهة نظر بديلة للإمامة عند الإسماعيليين، المعروفين بالسبعية.

يُعتبر النزاريون السوريون فرعًا من المذهب الشيعي الإسماعيلي أو السبعي. هناك أيضًا نظريات مفادها أن النزاريين السوريين كانوا نصارى - مندائيين. بعض هذه النظريات، بما في ذلك كونتي ونوربيرغ (انظر الصفحة 45)، نشأت على يد علماء هواة متحمسين في المراحل المبكرة من اللقاءات الغربية الحديثة مع المندائيين. نشر جيرمانو كونتي من حلب في سوريا رواية غير دقيقة عن النزاريين.

كان القاسم المشترك بين الحشاشين النزاريين والمندائيين هو الاستخدام الطقسي للآس، والمصافحات المتكررة، والاستخدام الطقسي للنبيذ البديل المصنوع من الأمطار والتين المجفف (التمر عند المندائيين) المنقوع في الماء. هذه التشابهات المحددة ولكن الجزئية بين المندائيين والطوائف الغامضة الأخرى ستصبح موضوعًا متكررًا في أبحاثنا، مما يشير إلى وجود روابط وعلاقات دون أي دليل قاطع يدعمها. بالإضافة إلى ذلك، يُعتَقَد أن بعض هؤلاء الكتاب قد شوهوا صورة الشعوب التي كتبوا عنها إلى حد كبير.[12] ومن الغريب أن النزاريين يعيدوننا إلى أصدقائنا القدامى فرسان الهيكل. النزاريون هم الأقلية الدينية الوحيدة التي لدينا أدلة مباشرة على وجود أي اتصال لهم مع فرسان الهيكل. كان فرسان الهيكل مشاركين بشكل كبير في دفاعات أوتريمر، المملكة الصليبية. كان فرسان الهيكل جيرانًا للنزاريين بفضل امتلاكهم القلاع الصليبية الضخمة المنتشرة على حدودها. بعد اغتيال الكونت ريموند من طرابلس في عام 1152، هاجم فرسان الهيكل النزاريين، الذين وافقوا على دفع

جزية قدرها 2000 بيسانتا سنويًا. وبعد عشرين عامًا، تم تجنيد النزاريين لدعم الملك أماليريك بدلاً من دفع الجزية السنوية لهم. فضّل فرسان الهيكل استلام الأموال، وغضبوا مما اعتبروه خيانة من جانب أماليريك، فهاجموا وفد النزاريين أثناء عودته من المؤتمر مع أماليريك. في نقطة أخرى، اعترض فرسان الهيكل على اقتراح تحويل النزاريين إلى المسيحية، مرة أخرى بشرط التوقف عن دفع الجزية. من الصعب أن نصدق أن النزاريين كانوا جادين.[13] لذا لدينا هنا أخيرًا رابط بين فرسان الهيكل والمندائيين، على الرغم من أنه رابط تكهناتي للغاية. لا شك أن فرسان الهيكل والنزاريين كانوا يعرفون بعضهم البعض، على الرغم من أن تفاعلاتهم المسجلة كانت عدائية. إن التشابه بين النزاريين والمندائيين يسمح لنا بالقول بأن المندائيين كانوا في جوار النزاريين - وبالتالي ربما التقى فرسان الهيكل أيضًا بالمندائيين. إنها فرصة ضئيلة، لكنها أفضل من لا شيء. [14]

محمد وماني

لقد تأثر المندائيون بالإسلام ولكن ليس في أي معتقدات دينية أو في الطريقة التي يمارس بها المندائيون طقوسهم. وباستثناء بعض الروابط التي يمكن أن تُعزى إلى تأثير الثقافة المشتركة للعراق القديم، فإن هناك أوجه تشابه قليلة. ولا يوجد ما يشير إلى أن الإسلام تأثر بالمندائية بأي شكل مهم، على الرغم من أن السلطات الإسلامية المحلية كانت حريصة بما يكفي على تلقي المدفوعات لضمان سلامتهم المستمرة. كان الإسلام هو السائد، وعلى الرغم من وجود رغبة هائلة في التعلم خلال العصر الذهبي للعلماء المسلمين في بغداد، إلا أن التأثير الأجنبي الكبير كان مستمدًا من الثقافة اليونانية التي أعيد اكتشافها. ولكن من المحتمل أن يكون هناك دين غير معترف به قد أثر على الإسلام وتأثر بدوره بالصابئة المندائيين. هذه كانت المانوية. كما سألت الباحث نيكولاس بيكر-برايان في مقابلة:

> أ. ف. س: أردت أن أسألك عن المانوية والإسلام، لأنهما كانا في مناطق متشابهة من العالم، وقد تم تشبيه ماني أحيانًا بمحمد في تأسيس دين متعمد وضم شخصيات من الديانات السابقة، على الرغم من أن نطاق شخصيات ماني كان أوسع بكثير. لقد تمت مقارنتهم في بعض الأحيان، أليس كذلك؟

> ن.ب.ب: من المؤكد أن هذه الفكرة القائلة بأن ماني هو خاتم، خاتم الأنبياء السابقين، واضحة في التمثيلات القرآنية والحديثية لمحمد، لذا فهناك تطابقات محددة هنا. عندما تفكر في الوقت وقرب المانوية فيما يتعلق بالإسلام المبكر، فمن غير المعقول حقًا ألا يكون هناك نوع من المراسلات والتأثير بين المانوية وأتباع محمد الأوائل. من الواضح أن الكتاب المسلمين الأوائل كانوا مهتمين جدًا بالمانويين، لأنهم رأوا تطابقات، على الرغم من أن التطابقات، مثل المسيحيين الكاثوليك في القرنين الرابع والخامس، ربما تحتاج إلى المبالغة فيها قليلاً. وهكذا في نهاية المطاف، وقع المانويون في خطأ كبير مع الكتاب الإسلاميين، وفي نهاية المطاف مع السلطات الإسلامية، حيث تم تصنيفهم كزنادقة. من المؤكد أن هناك عملاً يجب القيام به لفهم كيفية، على سبيل المثال، النصوص المانوية، وخاصة النص الشهير جدًا الذي ظهر للنور في أواخر القرن الثالث

> المسمى كيفالايا ، وهي كلمة يونانية تعني حرفيًا "الفصول"، وتمثيل ماني هناك كمعلم عظيم، كسلطة عظيمة، والطريقة التي يتم بها توصيل هذه السلطة من خلال سلسلة من المعلمين والسلطات المعترف بها، تشبه إلى حد كبير الطريقة التي يتطور بها الحديث في الإسلام، وهناك سلطات مقبولة ومعترف بها لنقل تعاليم النبي. لذا، هناك العديد من أنواع المراسلات التي تحتاج إلى مزيد من العمل. [15]

لقد عاش المندائيون جنبًا إلى جنب مع المسلمين لعدة قرون، ولا يزالون كذلك. من المستحيل ألا يكونوا متأثرين بالإسلام، إلا أن الجانب العلماني من الثقافة العراقية الناطقة بالعربية هو الذي يشكل الآن التأثير الأكثر وضوحاً على المندائيين. لقد عاش كل من المندائيين والمانويين جنبًا إلى جنب قبل ظهور الإسلام. ما هي العلاقة بين هاتين الديانتين، إحداهما متمسكة بجلدها، والأخرى اختفت منذ زمن طويل؟

الفصل السابع

ماني و الدين المفقود

يعتبر النبي ماني فريدًا من نوعه باعتباره مؤسس دين جديد تمامًا يتضمن عناصر غنوصية. لقد ورثت الديانة المانوية الغنوصية واستوعبتها، إلى جانب العديد من التأثيرات الأخرى، وبدورها تدفقت الأفكار المانوية عائدة إلى اتجاه الجماعات الغنوصية السابقة. يمكن رؤية التأثير المانوئي في الغنوصية التوفيقية (التي تتضمن أشكالاً سيثية وفالنتينية وأشكالاً أخرى) الموجودة في الكتابات الغنوصية المتأخرة مثل بيستيس صوفيا وكتب جو. هناك أيضًا أوجه تشابه بين المانوية والمندائية. أيهما الدجاجة وأيهما البيضة؟

ولعل أقدم إشارة أدبية إلى المندائيين هي في كتاب الفهرست الذي كتبه ابن النديم في القرن العاشر. ويذكر النديم الفرق الصابئة المختلفة التي يعرفها. إنها قائمة واسعة، تشمل المانويين والمارسيونيين. لم يكن للمانويين تأثير كبير في البلدان الإسلامية. ويبدو أن الدين كان في حالة تراجع بالفعل في الشرق الأوسط، حيث كان يعتمد في بقائه على أتباعه في آسيا الوسطى والصين. لم يكن المانويون صراحةً تحت مظلة الصابئة باعتبارهم "أهل الكتاب". ومع ذلك، وباعتبارها دينًا ليس مسلمًا ولا يهوديًا ولا مسيحيًا، ومع ذلك فقد استندت إلى عيسى وموسى باعتبارهما نبيين، فقد حظيت بقدر معين من الحماية في ظل الخلافة الأولى. كان المرقيونيون من أتباع نسخة مرقيون شبه الغنوصية للمسيحية. كانوا متمركزين في سوريا، وكانوا بمثابة بقاء مفاجئ آخر لطائفة مسيحية غير تقليدية مبكرة. في القرن الثاني الميلادي، أصبح مرقيون السينوبى ذو نفوذ هائل من خلال مذهبه المسيحي. لقد نظر إلى إله العهد القديم كشخصية مختلفة عن إله المسيحية. من المغري أن نقول "إله العهد الجديد"، لكن العهد الجديد كما نعرفه اليوم لم يكن موجودًا بعد.

لأن الشريعة المسيحية كانت لا تزال في طور الصياغة الرسمية. قام مرقيون بوضع قانون يعتمد على نسخة من إنجيل لوقا ورسائل بولس. وبذلك أسس قانونًا رسميًا للمرقيونيين في حين أن النصوص التي تشكل العهد الجديد كانت لا تزال تحظى بالاعتراف بها باعتبارها موثوقة من قبل آباء الكنيسة الذين سعوا إلى التوصل إلى إجماع حول ما يجب تضمينه. ولم يكن من المقرر أن تنتهي هذه العملية لبعض الوقت. إن حقيقة أن ابن النديم كان ينظر إلى المرقيونيين على أنهم صابئة وليسوا مسيحيين، تُظهر أنهم رفضوا من قبل أشكال أخرى من المسيحية وكان يُنظر إليهم على أنهم مختلفون إلى حد كبير. ومن الممكن أيضًا أن المسيحيين السوريين والبيزنطيين مارسوا ضغوطًا على السلطات الإسلامية للاعتراف بهم باعتبارهم الوحيدين الجديرين بفئة "المسيحيين" من "أهل الكتاب".

"أولئك الذين يغتسلون"

وهناك فرقة أخرى هي فرقة المغتسلة، وهم يسكنون مستنقعات الفرات. ويرى النديم أنهم من المانويين المنشقين الذين "وافقوا المانويين على العنصرين، ثم تفرقت مذهبهم فيما بعد". وحتى يومنا هذا، لا يزال بعضهم يقدس النجوم. وهكذا فهو يعترف بالجوانب الثنائية في المندائية، على الرغم من أن هذه الجوانب بالتأكيد ليست واضحة أو أساسية كما هي في المانوية. ووصف المغتسلة بقوله:

> وهؤلاء القوم كثيرون جداً في مناطق البطائح، وهم صابئة الأهوار. إنهم يتوضؤون كطقوس ويغسلون كل ما يأكلونه. وقائدهم معروف بالحاصح، وهو الذي أسس مذهبهم. ويزعمون أن الوجودين ذكر وأنثى، وأن الأعشاب من شبه الذكر، وأن النباتات الطفيلية من شبه الأنثى، والأشجار عروق *(جذور)*. ولهم سبعة أقوال على شكل خرافات. وكان تلميذه اسمه شمعون. واتفقوا مع المانويين في العنصرين، ولكنهم انفصلوا فيما بعد. [1]

دون تسمية الطائفة، يضيف مقطع لاحق: "تزعم مجموعة من الفلاسفة وخدم النجوم أن لديهم تعويذات، بناءً على الملاحظات [الفلكية]". وهذا يتوافق مع الجانب السحري العملي للثقافة المندائية. هناك عدة صفحات عن إنتاج التعويذات أو التمائم الفلكية في النص المندائي المعروف باسم كتاب البروج.[2] خليفة إبراهيم وزرادشت وبوذا كان ماني انتقائيًا للغاية في دينه، حيث لم يدمج فقط التقاليد الإبراهيمية (التي يجب أن يُحسب الغنوصية من بينها على أنها ذرية غريبة الأطوار) ولكن أيضًا عناصر من الزرادشتية والبوذية. إن دمج ماني للأديان الأخرى وإعلانه عن نفسه باعتباره تحقيقًا لسلسلة الأنبياء يثير أوجه التشابه مع محمد. وبما أن محمدًا عاش بعده بعدة قرون، فقد نتساءل عما إذا كان مؤسس الإسلام قد تأثر بالديانة المانوية المنتشرة على نطاق واسع. ولم يتفق المندائيون، بطبيعة الحال، على أن ماني أو محمداً هما صاحبا الكلمة الأخيرة في الدين. وعلى الرغم من وضعهم كضعفاء والضرورات السياسية التي تفرض عليهم احترام الديانات القوية ظاهريًا، إلا أنهم اعتقدوا أن معتقداتهم وممارساتهم الخاصة هي الطريق الحقيقي الوحيد إلى عالم النور.

وقد ورد وصف حياة ماني في كتاباته الخاصة وفي غيرها من الكتابات المقدسة المانوية، كما وردت بشكل غير مباشر في مصادر أخرى تعتمد على الكتابات والتقاليد المانوية. هناك، بطبيعة الحال، الصعوبات المعتادة في تحديد ما إذا كان أي جانب معين من حياته تاريخيًا، أو ما إذا كان قد تم وضعه في هذا الشكل تقليدًا ليسوع أو غيره من الأبطال المقدسين لدى المانويين.

وفقًا لجاك واردنبورغ، لا يوجد اعتراف في الإسلام بكتابات ماني باعتبارها كتابًا مقدسًا، على الرغم من الاعتراف بالأديان الأخرى، والتي وفقًا للمعايير الإسلامية لم تكن توحيدية تمامًا. ولم يعتبر المسلمون المانوية دينًا على الإطلاق، بل اعتبروها نظامًا فلسفيًا أو فرقة تشبه الإسلام؛ فكانت بذلك صورة كاريكاتورية للدين كما ينبغي أن يكون. ربما سمع محمد نفسه المانويين. كانت للجزيرة العربية علاقات تجارية وثيقة مع مصر وبلاد ما بين النهرين، حيث كانت توجد مراكز المانوية، وكان هناك مجتمع مانوي في شمال شرق الجزيرة العربية. وفي وقت لاحق، كتب المؤلفون المسلمون أنه بين قريش، التي كانت القبيلة الرائدة في مكة، كان هناك بعض الزنادقة (أي المانويين) الذين تعلموا عقيدة

الزندقة (المانوية) من المسيحيين في الحيرة في شمال شرق شبه الجزيرة العربية على حدود العراق الحالي. وقد افترض البعض أن سورة الأنعام: الآيات 1-3 ("وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ") تشير إلى العقيدة المانوية التي تقول إن النور والظلام مبدأان مستقلان.[3] وقد تنطبق هذه النقطة الأخيرة بسهولة على المندائيين، الذين يعتبرون عالم النور أمرًا أساسيًا للغاية. ولكن من الممكن أن يكون هذا إشارة إلى الخلق في سفر التكوين، لذا لا يمكن البناء عليه كإشارة إلى المانوية أو المندائية.

وفقًا لكتاب شاپورگان (وهو نص مقدس مانيكي كتبه ماني نفسه)، وُلد ماني في عام 216 م على المجرى العلوي لنهر "نهر كوتا". وكان مكان ولادته يحمل الاسم الآرامي ماردينو. يُترجم اسم والده بشكل مختلف إلى باتيق (سرياني/آرامي)، أو باتيج/باتيج (إيراني)، أو باتيكيوس (يوناني). كان والد ماني من سلالة نبيلة، رغم أنه ليس ملكيًا. أُطلقت على والدته أسماء مختلفة في التقليد المانويّ الفارسيّ، ويُرجع نسبها إلى بيت ملكيّ، وسُمّيت مريم نسبةً إلى والدة يسوع. هذا النسب الملكي وعوامل أخرى، مثل المنفى في الطفولة، الذي يشبه نفي العائلة المقدسة ليسوع في مصر، يعكس أحداثًا في حياة يسوع أو غيره من الأنبياء الذين يعتبرون أسلاف ماني.

كان والد ماني وثنيًا، وربما كان يعبد الآلهة البابلية التقليدية، قبل أن يعتنق طائفة تُعرف باسم "المطهرين". سمع باتيك صوتًا عندما كان في "بيت الأصنام" يأمره "بعدم أكل اللحوم، وعدم شرب الخمر، والامتناع عن جميع العلاقات الجنسية"، مما دفعه إلى التوجه إلى طائفة المطهرين. وقد أُطلق عليهم اسم "المُغْتَسِلَة" (أي الذين يغتسلون)، وهو ما يعادل "المعمدانيين". كان "المطهرون" يرتدون ملابس بيضاء ويستخدمون طقوس الوضوء في سياقات مختلفة في مجتمعهم. كان لديهم قوانين غذائية صارمة، سواء فيما يتعلق بالغسل الطقسي للخضراوات قبل أن تؤكل أو فيما يتعلق بالأصول، حيث اعتبروا الخضراوات المزروعة محليًا "ذكورية" وبالتالي طاهرة (على الرغم من أنها لا تزال بحاجة إلى الوضوء) والخضراوات من خارج المجتمع "أنثوية" ومحظورة. هذه الأنواع من القيم النسبية، مثل الذكر والأنثى، معروفة جيدًا الآن لعلماء الأنثروبولوجيا من خلال أعمال كلود ليفي شتراوس وعلم الأنثروبولوجيا البنيوي الخاص به. كان الخبز المحلي المسطح مسموحًا به ويُسمى "يهوديًا"، لكن الخبز الأجنبي كان ممنوعًا ويُسمى "يونانيًا".

لا بد أن بعض هذه التفاصيل تلفت انتباه القارئ. طائفة معمدانية بابلية. الملابس البيضاء والوضوء المنتظم في بلاد ما بين النهرين في القرن الثالث. هل من الممكن أن يكون والد ماني قد انضم إلى المندائيين؟ ورغم أنهم لم يقبلوا المتحولين منذ قرون، فمن المرجح أنهم فعلوا ذلك قبل الإسلام. كان يُعتقد لفترة طويلة أن ماني نشأ بين المندائيين. سألتُ خبيرًا في المانوية، نيكولاس بيكر-براين، عن هذا في مقابلة:

أ.ف.س: على الرغم من أن هذه المجموعة لم تكن من المندائيين، إلا أنه يبدو أن هناك بعض التداخلات بين النصوص المندائية والكتب المانوية، أليس كذلك؟

ن.ب.ب: نعم بالتأكيد. كان هذا في الواقع قبل ظهور مخطوطة كولونيا ماني لأول مرة في أواخر

الستينيات، ولكن تم نشرها في أوائل السبعينيات في سلسلة من المقالات. ما اعتقدنا أننا نعرفه عن الفترة المبكرة من حياة ماني كان متوافقًا إلى حد كبير مع الأفكار الموجودة في النصوص المندائية، على سبيل المثال كتاب كنزا. ويبدو أن بعض الأفكار الرئيسية هناك حول الله والوحي ترتبط بشكل وثيق بما قاله ماني نفسه. على حد علمي، فإن الأدب والدراسات حول المندائيين قد اكتسبت زخمًا كبيرًا منذ عشرينيات القرن العشرين فصاعدًا، ووصلت إلى حد وجود باحث سويدي يُدعى جيو فيدينجرين، الذي كتب كتابًا مهمًا للغاية عن ماني. لقد كان في المقام الأول عالماً مندائياً وكان في المقام الأول الشخص الذي طور هذه العلاقة أو العلاقة الظاهرة بين المعمدانيين الذين يبدو أن ماني نشأ معهم والأفكار والممارسات المندائية. كان ينظر إلى المراسلات في النصوص المندائية، لكنه كان ينظر أيضًا إلى المصادر الإسلامية المتأخرة، والتي كانت قبل وصول مخطوطة ماني في كولونيا، المصادر الرئيسية للأدلة الحقيقية للفترة المبكرة من حياة ماني. هناك نص مثير للاهتمام للغاية يسمى "الفهرست" لشخصية تُدعى ابن النديم، وهو كاتب إسلامي في القرن العاشر. وهذا في الواقع نوع من ويكيبيديا البدائية. إنها موسوعة لجميع المعارف الإنسانية وجميع الأنشطة الإنسانية. في الواقع، كان لدى ابن النديم مدخل عن ماني هناك، لذا كان فيدينجرين ينظر إلى تلك المدخلات باللغة العربية ويطابقها مع ما كان يجده أثناء تحريره للنصوص المندائية، لذا فمن المؤكد أن فكرة أن المعمدانيين في الفترة المبكرة من ماني كانوا من المندائيين قد فقدت شعبيتها حقًا. ومع ذلك، يبدو أنه لا يزال هناك شيء في الماء، الماء اللاهوتي. هناك تطابقات قوية جدًا بين هؤلاء المعمدانيين والمندائيين. [4]

في سن الثانية عشرة، ثم مرة أخرى في الرابعة والعشرين، رأى ماني رؤية لشخصيته المزدوجة - توأمه السماوي أو ذاته النورانية. لقد سبق لي أن علقت في كتابي "التاريخ السري للغنوصيين" بأن من غير المرجح أن يكون هذا حدثًا تاريخيًا مباشرًا. إنها تذكرنا بقصة لوقا عن يسوع في الهيكل عندما كان في الثانية عشرة من عمره، والتي تُقدَّم كإشارة إلى مجد يسوع المستقبلي، كما هو الحال بالنسبة لماني. ولكن في حالة ماني فإن التفاصيل أكثر من مجرد قصة عن مدى عظمته أو كيف كانت معرفته حتى في سن المراهقة تتجاوز معرفة كهنة الهيكل. كان ماني يختبر ذاته الحقيقية، والتي كشفت عن الطبيعة الحقيقية للكون.

ومن المحتمل أن يتمكن جميع المانويين من تجربة ذواتهم النورانية بهذه الطريقة ويفهمون طبيعة العالم. في المخطط الأكبر للغنوصية، نطلق على هذا الفهم المتزامن للذات وطبيعة الكون اسم "الغنوص".

في المندائية يوجد عالم مشونيا كوشتا، الذي يسكنه آدم وحواء السريان أو المخفيان. وقد استمر هذا حتى العصر الحديث، كما قال أحد الكهنة في القرن العشرين لليدي دراور، "من بين كل الأشياء هناك اثنان، الحقيقي ومبده (المثالي، أو النموذج الأصلي)".[5] ووفقًا لتفسير مندائي حديث آخر، فإن كل كائن حي، بما في ذلك النباتات والحيوانات، لديه جسد أثيري في العالم الآخر والذي سوف يسكنونه عندما يموت الجسد المادي. وهكذا فإن مفهوم التوأم السماوي يناسب المندائية بسهولة كما يناسب

المانوية.

حاول ماني إصلاح الطائفة الألكسية، الطائفة المسيحية المعمودية غير الأرثوذكسية التي نشأ فيها.[6] وقد أدى هذا إلى انشقاق داخل الطائفة، وتم طرده، ولم يتبعه سوى والده واثنين آخرين. تلقى دعوته ليكون "رسول النور" في سن الرابعة والعشرين في 19 أبريل 240. كان المجتمع المانوي الأول موجودًا في سلوقية طيسفون، على الجانب الشرقي من نهر دجلة. قام بالتدريس وجمع المتحولين في إيران، وأرسل المبشرين إلى الإمبراطورية الرومانية الشرقية وأبعد من ذلك إلى الغرب، وسافر إلى الهند بنفسه وقام بتحويل حاكم توران. لقد تجاوز الانتشار الجغرافي للمانوية التوسع المبكر للمسيحية، وجاء في المرتبة الثانية بعد التوسع الإسلامي في وقت لاحق، دون استخدام أي وسائل عسكرية. عادةً ما كان المانويون، مثل المندائيين، مسالمين للغاية. إن التقسيم المانوي إلى دائرة داخلية من المختارين والمستمعين، الذين كانوا من العلمانيين، سوف يكون الآن نمطًا مألوفًا للقارئ. وفي المانوية تم أخذ هذا الأمر إلى حد متطرف. لم يكن المانويون المختارون نباتيين فحسب، بل لم يُسمح لهم بإعداد أي طعام لأنفسهم واعتمدوا على المانويين العاديين لمساعدتهم في جميع أنواع المهام العملية الأساسية التي كانت ستؤدي بخلاف ذلك إلى أن تصبح أيديهم غير نظيفة طقسيًا. لم يكن المندائيون نباتيين أبدًا، على الرغم من أن الكهنة كانوا يخضعون لقيود الأكل في ظل ظروف معينة. هذه الطريقة لتطهير الطعام عن طريق الغسل وتحضير الخبز غير المخمر أو البيتا هي طقوس مندائية معروفة أن المانويين استخدموها. [7]

مخاطر الأفكار القوية

عندما عاد ماني إلى بابل، حيث أصبح ابن أردشير الأول ملكًا باسم شابور الأول، أصبح اثنان من إخوة الملك مانويين. واصل شابور توسيع الإمبراطورية الساسانية التي بدأها والده، وتوسعت شرقًا إلى باكتريا وشمالًا حتى حران. وعلى الرغم من الطبيعة الأخرى للمانوية، إلا أن ماني لم يكن يجهل بوضوح مزايا النفوذ السياسي.

اعترف دين ماني بزرادشت باعتباره نبيًا ومخلصًا سابقًا. ربما كان لهذا الأمر جانب من المصلحة السياسية، إلا أن الثنائية الزرادشتية كانت تتناسب بشكل جيد مع ثنائية النور والظلام الخاصة بماني، ولا شك أنها كانت مؤثرة على ماني. ولكن من خلال استيعاب الأفكار الزرادشتية الأساسية، أصبحت المانوية تشكل تهديدًا للدين القائم. في عهد الساسانيين، شهدت الزرادشتية تجديدًا وانتعاشًا. كان كهنة المجوس يتمتعون بسلطة خاصة بهم ولم يكونوا ليتقبلوا دين ماني الجديد، والذي قد يُنظر إليه على أنه يحل محل الزرادشتية أو يغتصبها.

بعد وفاة شابور الأول، أصبح أورمزد الأول ملكًا على بابل لفترة وجيزة وكان أيضًا متعاطفًا مع ماني. بالإضافة إلى اكتساب المتحولين وتأسيس المجتمعات، أنشأ ماني مجموعة من سبعة كتب مقدسة، كتبها باللغة الآرامية. كانت عناوينها المثيرة للاهتمام هي: الإنجيل الحي، وكنز الحياة، والبراغماتيا، وكتاب الأسرار، وكتاب العمالقة، والرسائل، والمزامير والصلوات. عنوان العمل الثاني

مثير للاهتمام بشكل خاص. المجموعة المركزية من الكتب المقدسة المندائية هي كنزا، والتي تعني "الخزانة"، واستخدام "الحياة" - الحياة العظيمة والحياة الأولى، والحياة الثانية، والحياة الثالثة والحياة الرابعة - سيكون مألوفًا للقارئ من الأساطير المندائية. فهل من الممكن أن ماني قد تبنى التعاليم المندائية كما تبنى التعاليم الزرادشتية؟

في عام 274 أصبح بهرام الأول ملكًا، وتزامن ذلك مع تزايد نفوذ المجوس الأقوياء، وهم الطبقة الكهنوتية القوية في الديانة الزرادشتية. كردير، رئيس المجوس، أصبح خصمًا شرسًا لماني وتعاليمه. سجن بهرام الأول ماني ثم أعدمه. تم سلخ جثته وعرض الجلد المحشو خارج أسوار المدينة. استمر اضطهاد المانويين لعقود من الزمن واستشهد العديد من تلاميذ ماني.

ورغم أن المانوية واجهت صعوبة في بلاد ما بين النهرين، إلا أنها انتشرت عبر عالم البحر الأبيض المتوسط، إلى سوريا وفلسطين ومصر وشمال أفريقيا وروما. كما توسعت بسرعة إلى آسيا، سواء من خلال بعثات ماني أثناء حياته أو تلاميذه بعد ذلك. كانت الهند وآسيا الوسطى متقبلتين إلى حد ما، فقد اعترف ماني ببوذا كأحد أسلافه، وصاغت المانوية نفسها حول التقاليد المحلية. لقد جاءت المانوية دون أي قيود لغوية، على النقيض تمامًا من الإسلام الذي جاء في وقت لاحق، والذي كان في وضع غير عادي حيث كانت كتبه المقدسة مكتوبة بلغة إمبراطوريته الأصلية، العربية. كان المانويون سعداء بترجمة كتبهم المقدسة إلى اللغات المحلية.

على مر القرون وصلت المانوية إلى الصين حيث تم تذكر ماني كشكل من أشكال بوذا، وتم الحفاظ على صورته في معبد صغير في مقاطعة فوجيان باعتباره بوذا النور. وعلى الرغم من انتشاره وتأثيره، فإنه لم يصبح دينًا للدولة إلا في حالة واحدة: إذ تبناه الأويغور في القرنين الثامن والتاسع (الذين عادوا إلى الظهور لفترة وجيزة في الوعي الغربي في القرن الحادي والعشرين عندما اصطدموا مع أسيادهم الصينيين).

المانوية مثيرة للاهتمام إلى حد كبير في حد ذاتها. لقد كانت ديانة أقلية ولكنها انتشرت على نطاق واسع جغرافيًا واستمرت لأكثر من ألف عام. من ينظر إلى المانوية لا يمكنه إلا أن يرى أوجه تشابه مع المندائية، مثل عالم النور وثنائية النور والظلام. على الرغم من أن الأدلة تشير إلى أن المندائية كانت ذات تأثير مبكر على المانوية، وليس العكس، فمن غير المرجح أننا نرى تأثيرًا أحادي الاتجاه فقط. ولعل جوانب ثنائية النور والظلام تعززت من خلال لقاء المندائية بدين النور الذي آمن به ماني. لقد حقق دين ماني نجاحًا لم يحققه المندائيون أبدًا، إلا أن شعبيته وجاذبيته - على الرغم من تجاوزه حواجز اللغة والعرق والجغرافيا - كانت ضئيلة مقارنة بنجاح الإسلام.

معضلة قبطية

من بين مجموعة النصوص القبطية التي عُثر عليها في مدينة ماضي في مصر عام 1929 كان كتاب المزامير المانوية.[8] يُطلق على أحد أقسام كتاب المزامير عنوان "مزامير توما"، وتحتوي بعض هذه

المزامير على عبارات أو آيات كاملة تشبه إلى حد كبير مقاطع من طقوس المندائيين. على سبيل المثال: المزمور المانوي لتوما:

إخوتي أحبوني بقلبكم. لا ترضيني بشفتيك، فإن أبناء الشفة قد مُحِيَوا، وأبناء القلب يثبتون. لا تكونوا كالرمانة التي قشرها ظاهرها طيب وباطنها رماد.

صلاة المندائيين:

إخوتي،
تكلم بالصدق، لا تكذب بشفاهك. لا تكونوا كالرمانة
التي ظاهرها سليم، ظاهرها سليم.

ولكن داخله مليء بالقشور الجافة.[9]

أجرى أكاديمي سويدي يُدعى تورغني سيف-سودربورغ دراسة دقيقة لـ "مزامير توما" واكتشف إعادة إنتاج حرفية تقريبًا لأجزاء ليس فقط من كنزا ولكن أيضًا من كتاب يوحنا. من الناحية اللغوية، الاحتمال الوحيد هو أن المانويين أخذوا أجزاء من هذه المزامير من أصل باللغة المندائية. يعود تاريخ "مزامير توما" إلى الجزء الأخير من حياة ماني. يُعتقد أن توما المذكور في العنوان هو تلميذ ماني، وليس الرسول المسيحي توما صاحب إنجيل توما الذي يحمل نفس الاسم، على الرغم من أن الرسول توما كان له صلات أسطورية قوية مع سوريا والهند. [10]

ربما كانت المانوية هي الديانة العالمية التي فقدناها. ربما كان دين النور، ولكن المندائية كذلك. لم يسبق المندائيون المانويين فحسب، بل أثروا عليهم - ونجوا.

الفصل الثامن

على ضفاف أنهار بابل

المزمور *137*

عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا. بَكَيْنَا أَيْضاً عِنْدَ مَا

تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ. عَلَى الصَّفْصَافِ فِي وَسَطِهَا عَلَّقْنَا أَعْوَادَنَا.

لأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلَنَا الَّذِينَ سَبُونَا كَلاَمَ تَرْنِيمَةٍ وَمُعَذِّبُونَا

سَأَلُونَا فَرَحاً: *[رَنِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهْيَوْنَ]*.

كَيْفَ نُرَنِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟

إِنْ نَسِيتُكِ يَا أُورُشَلِيمُ تَنْسَى يَمِينِي.

لِيَلْتَصِقْ لِسَانِي بِحَنَكِي إِنْ لَمْ أَذْكُرْكِ! إِنْ لَمْ أُفَضِّلْ أُورُشَلِيمَ عَلَى أَعْظَمِ فَرَحِي!

كتاب الصلوات الكنسية المندائية

> من منزل المجتمع العظيم فيه، أصبحتُ معالجًا للأرواح! لقد أصبحت معالجًا للأرواح التي تشفي ولكن لا تأخذ أي رسوم. انطلقت، وجئت ووصلت إلى أبواب بابل. ومن بني بابل كان هناك من أغلق أبوابه عند رؤيتي. وكان هناك من أغلق أبوابه. وكان هناك من فتحوا أبوابهم. أولئك الذين أغلقوا أبوابهم كرهوا الحياة وأحبوا الموت وسوف يتم احتجازهم في دار الظلام. أولئك الذين فتحوا أبوابهم أحبوا الحياة وكرهوا الموت، كرهوا الموت وأحبوا الحياة. "سيرتفعون في نقاء، وسينظرون إلى مكان النور." [1]

بحلول القرن العشرين، لم تعد "أنهار بابل" بالنسبة للمندائيين أنهارًا من أرض غريبة، بل أنهار وطنهم القديم. في القرن الحادي والعشرين، لم يكن نهرا دجلة والفرات، أو "أرض ما بين النهرين"، جزءًا من تذكير بالنفي، بل كانا المكان الذي سيتم نفي العديد منهم منه.

كان الإسرائيليون يتطلعون إلى سقوط الإمبراطورية البابلية ودينها: " وَهُوَذَا رُكَّابٌ مِنَ الرِّجَالِ.

أَزْوَاجٌ مِنَ الْفُرْسَانِ". فَأَجَابَ: "سَقَطَتْ سَقَطَتْ بَابِلُ وَجَمِيعُ تَمَاثِيلِ آلِهَتِهَا الْمَنْحُوتَةِ كَسَّرَهَا إِلَى الأَرْضِ". (إشعياء 21: 9). ومع ذلك، بقيت المجتمعات اليهودية في بابل لعدة قرون بعد عودة اليهود المنفيين إلى يهودا. مثل الصابئة المندائيين، صمدت هذه المجتمعات الراسخة والمتماسكة في وجه الإمبراطوريات المتعاقبة، وتحملت تقلبات الحكم من قبل أولئك الذين لم يكونوا من عرقهم ولا دينهم. وعندما طُرد اليهود بالقوة من يهودا والإسكندرية، توجهوا إلى الجليل وبابل. التلمود اليهودي، تلك المجموعة النصية من الشريعة الدينية والتقاليد والتعليقات، له نسختان: واحدة من الجليل (التي سميت خطأً بتلمود أورشليم)، والأخرى من بابل. كانت هناك أكاديميتان يهوديتان رئيسيتان، هما سورا وبومبيديتا، في بلاد ما بين النهرين لأكثر من 800 عام.

تعتبر بلاد ما بين النهرين من أقدم بلاد الحضارة الإنسانية. كانت الإمبراطوريات القديمة مثل سومر وأكاديا وبابل وآشور، إلى جانب مصر، القوى المهيمنة في العالم القديم. لقد كانت الإمبراطوريتان الغربية المتغطرستان، اليونانية والرومانية، هما اللتان تمكنتا في النهاية من إزاحتهما عن السلطة. ثم جاء الإسلام لاحقًا من الجنوب وجعل الشرق الأوسط مرة أخرى مركزًا رائدًا للحضارة غرب الصين.

بابل الساقطة

تثير مدينة بابل العظيمة مجموعة متنوعة من الاستجابات. تقع في قلب إحدى الحضارات العظيمة المبكرة في الشرق الأوسط، وهي تمثل نجاح الدولة المنظمة، والتقدم التكنولوجي والفكري، والأمن والازدهار وطول العمر. كما أنها تمثل قسوة الإمبراطورية، والتمييز الطبقي وتراكم الثروة، والعبودية والقمع. بالنسبة للراستافاريين، أصبحت "بابل" تمثل الإمبريالية الحديثة والمادية والرأسمالية؛ أو، بدلاً من ذلك، بالنسبة للعديد من الآخرين، فإنها تشير إلى فائض الثروة والمتعة المتاحة للأثرياء، كما هو الحال في "فندق بابل"، و"بابل هوليوود" والعديد من بابل الأخرى.

ظلت المدينة لمدة مئات السنين مجرد خراب، ولم تكن ذات أهمية كبيرة حتى بدأ علماء الآثار الغربيون في دراستها. في عام 1983، بدأ صدام حسين، بأسلوب جنون العظمة المناسب، في ترميم وإعادة بناء بابل تكريماً للإنجازات العربية ونفسه. وكانت النتيجة الكارثية إنشاء مدينة ديزني لاند تحمل اسم صدام حسين. تم التخطيط لبناء قصر زقورة ضخم، سيطلق عليه اسم تل صدام، إلى جانب عربات التلفريك العلوية. لقد طبع نبوخذنصر اسمه على أحجار بابل، ففعل صدام الشيء نفسه. كانت صورة ضخمة لنبوخذ نصر تزين المدخل، إلى جانب صورة لصدام. الغزو الغربي منع إكمال المشروع. ولكن أي شخص يستمتع برؤية تدنيس وتدمير المواقع القديمة لا ينبغي أن يشعر بخيبة الأمل. لقد أثبت الجيش الأمريكي أنه خليفة جدير لصدام حيث قام بتحويل أجزاء من بابل الأثرية إلى معسكر ألفا وأعاد استخدام مواد الآثار القديمة لبناء مهبط للطائرات العمودية. لقد تسببوا في تدمير أجزاء من المدينة الثمينة بشكل دائم. لكنهم لم يكونوا أول من فعل ذلك، وربما لن يكونوا الأخيرين.

التحول اللغات و الإمبراطوريات

لقد جمعت بلاد ما بين النهرين على مدى تاريخها بين الاستمرارية والدمار المتقطع واسع النطاق والتجديد. ومع اكتساب مجموعة عرقية تلو الأخرى للهيمنة ثم فقدانها لها، تغيرت اللغات من السومرية إلى اللغات السامية: أصناف من الآرامية، ولغات الأقليات المختلفة بما في ذلك العبرية، ثم استمرار اللغة العربية. مع اللغة العربية جاء تغيير كبير في الدين. قبل الإسلام كانت الآلهة والإلهات تتنقل ذهابًا وإيابًا وكانت الآلهة الأجنبية تأتي وتذهب. كان بإمكان معظم آلهة العالم القديم، أو ما يسمى بالآلهة الوثنية، أن تتعايش مع بعضها البعض. كانت معابدهم في نفس المدن؛ وكانت أساطيرهم تسكن نفس الأماكن الخيالية؛ وكانت طقوسهم ورموزهم تتداخل وتنتقل من إله ثانوي إلى آخر. ولكن الإسلام اجتاح كل ذلك.

ومع ذلك، فإن المعتقدات والممارسات لديها قدرة على الصمود والتي يمكن أن تفاجئنا دائمًا. يمكن للأساطير القديمة والثقافة الشعبية أن تبقى ولكنها تختفي تحت الأرض، وتعود إلى الظهور في أشكال متغيرة ولكن يمكن التعرف عليها. يروي عالم أفريقيا يان فانسينا قصة جُمعت عام 1954 من دليل قافلة في جنوب ليبيا:

وقال إن غرب التيدا (ليبيا/تشاد) يعيش أناس لا يعرفون كيفية إشعال النار. يُطلق عليهم اسم شعب الشمس والنار. إنهم يعيشون حول بئر كبير تغرب فيه الشمس كل ليلة. ثم يصبح الماء ساخنًا ويمكنهم طهي طعامهم. وهكذا فإنهم يأكلون مرة واحدة فقط في اليوم. وقد تم تأكيد ذلك من قبل مرشد آخر بعد ثلاثة أسابيع. أستشهد بهذه القصة بدلاً من قصة أخرى لأنها سبق أن رويت لنفس المنطقة العامة من قبل كل من هيرودوت وبليني. هذه القطعة من المعلومات عمرها 2500 عام، وهي تُبدد فكرة أن النميمة يجب أن تكون عابرة. [2]

وعلى نحو مماثل، فقد بقيت الديانة والسحر في بلاد ما بين النهرين القديمة على قيد الحياة من خلال المندائيين، على الرغم من اعتراضاتهم الرسمية على الآلهة الكوكبية والتنجيم والسحر.

كانت القرون التكوينية للمندائية بين القرن الأول والغزو العربي في القرن السابع. كان القرن الثالث، على وجه الخصوص، فترة مضطربة ومهمة في تاريخ بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس، سواء في السياسة أو الدين. وهي أيضًا فترة غامضة من التاريخ. وفي الغرب يبدو أن المتخصصين فقط، مع بعض الاستثناءات، هم من يهتمون بالفترة ما بين سقوط بابل ومجيء الإسلام، ولكن هذه الفترة كانت تمتد لنحو ألف عام. ولا يبدو أن المؤرخين المسلمين مهتمون بشكل خاص بالكثير مما حدث قبل ظهور الإسلام. بالنسبة لأولئك الذين لديهم فقط معرفة بالتاريخ الشعبي، فإن ذكر أسماء مثل السلوقيين، والأرساسيدية، والساسانيين، والأمويين، والعباسيين سوف يقابل بنظرة فارغة.

حافظ كورش الكبير (حوالي 590-529 قبل الميلاد) وخلفاؤه في سلالة الأخمينيين على الإمبراطورية الفارسية من حوالي عام 559 قبل الميلاد حتى الإطاحة بها على يد الإسكندر المقدوني، الذي هزم داريوس الثالث في عام 330 قبل الميلاد. بعد وفاة الإسكندر، أسس أحد جنرالاته، سلوقس، مملكة هيلينستية جديدة استمرت من عام 305 إلى عام 225، عندما تفوقت عليها الإمبراطورية

البارثية لسلالة أرساسيد، والتي حلت محلها بدورها بعد عدة قرون سلالة الساسانيين في عام 224 م. استمرت الدولة الساسانية حتى الغزو العربي. وسوف نلتقي بأسلافها عندما نتعمق أكثر في الزمن ونناقش هجرة المندائيين.

يهودي أم بابلي؟

تشير الكتب المندائية للباحث أنه ينبغي لنا أن نبحث عن أصولهم في اليهودية. لكن الدراسة المتأنية لممارساتهم قد تشير إلى نهج مختلف. في كتابه "ورثة الممالك المنسية"، يؤكد جيرارد راسل على العناصر البابلية للمندائيين:

> لقد ناقشت هذا الأمر مع عالم أو اثنين قبل كتابة الكتاب، فقط لأرى، وليس بالضرورة أنهم سيتفقون معي في التأكيد على التراث البابلي. ويرى البعض أن اليهودية لها تأثير أكثر أهمية. لكن الأمر قابل للنقاش... إنه تفسير صحيح. ولكن هناك أيضًا ما، كما تقول، يبدو أكثر جاذبية إذا نظرت إلى ممارسات الناس. الكثير من الدراسات، وخاصة في هذه الأيام، تتم في سياق بروتستانتي حيث ينظر المرء إلى الكتب المقدسة ويقول إن جوهر الدين يكمن في كتبه المقدسة وأن أصله يكمن في وقت كتابة تلك الكتب المقدسة. لكن إذا نظرت، على وجه الخصوص، إلى مجموعة مثل الإيزيديين، فليس من المنطقي أن نقول ذلك، في رأيي. أعتقد أنه من المنطقي أكثر أن نقول، دعونا ننظر إلى عاداتهم وممارساتهم ونسأل من أين أتت تلك العادات، ومنذ متى كانت موجودة؟ إنها طريقة مختلفة لقراءة تاريخ هؤلاء الناس. بالطبع، كلاهما صحيح، لكنهما يأتيان من تقاليد مختلفة. [3]

وفقًا لباحث واحد على الأقل، فإن الاستخدام المندائي الخاص لآلهة بلاد ما بين النهرين يُظهر تأثير فترات زمنية محددة: "عند تحليل النصوص المندائية، يمكن للمرء أن يجد أن آلهة بلاد ما بين النهرين الشيطانية، والتي ورد ذكرها أيضًا في مجموعة النصوص المندائية اللاحقة، تثبت بلا شك أنها مستعارة من بيئة ثقافية بارثية متأخرة في وسط بابل". [4]

ما هي العناصر البابلية في المندائية بالضبط؟ تشترك قصص الخلق المندائية والبابلية في بعض التفاصيل البسيطة ولكنها موحية، مثل "خلق المخلص ومحاربته لقوى الشر" الذي يظهر في الأدب المندائي باسم ماندا د-هايي أو هيبيل زيوا.[5] يقع مصدر المعمودية في بلاد ما بين النهرين الشهيرة "بين نهرين"، دجلة والفرات، وأساطير هذه الأرض القديمة غنية بحكايات المياه البدائية والآلهة المرتبطة بها. ولن يكون من المستغرب أن تتطور ممارسات المعمودية هناك بشكل مستقل عن الممارسات اليهودية. كما كتبت الليدي دراور:

> كان الغمر الطقسي قديمًا بالفعل في بابل، وخلال الهيمنة الإيرانية تم بناء أضرحة على نهري دجلة والفرات لإلهة الماء أناهيتا، التي لا تزال تُستحضر تحت اسمها السامي ناناي أو نانايا في كتب طرد الأرواح الشريرة المندائية. فهل وجد هؤلاء النصارى من حران وميديا على أنهار جنوب بلاد ما بين النهرين وخوزستان طائفة تعميدية تشبه

طائفتهم إلى حد أنهم استوعبوها وهيمنوا عليها؟ [6]

كانت أكواخ العبادة معروفة في العصر البابلي، مثل بيت ريمكي، والتي كانت مشابهة إلى حد ما للمندي والأكواخ الأخرى المطلوبة للطقوس المندائية.[7] لكن التعميد المتكرر كان سمة مشتركة بين الطوائف الغنوصية المختلفة في بابل مثل الإلكاسيين الذين تعرضوا للهجوم من قبل ماني بسبب حماماتهم اليومية.[8] وبالنسبة لدراور، فقد تبنى المندائيون طقوس المعمودية البابلية الموجودة وألحقوا بها تفسيرًا باطنيًا. [9]

إن العناية التي تُمارس بها طقوس المعمودية المندائية وغيرها من الطقوس تُضاهي الطقوس البابلية القديمة. إذا حدث خطأ بسيط، فيجب تكرار جزء الطقوس مرة أخرى بشكل صحيح. هناك أحداث معينة، مثل سقوط قطرة دم في مياه النهر، يمكن أن تجعل المعمودية مستحيلة. بعد أن وجدنا أدلة على ممارسات المعمودية التي تشبه إلى حد ما تلك التي كان يمارسها المندائيون في بابل القديمة، وهي الأرض الوحيدة باستثناء منطقة متجاورة في إيران حيث لدينا أدلة دامغة على أن المندائيين عاشوا قبل العصر الحديث، فهل يجب أن نتوقف عن البحث في أماكن أخرى؟ ألا ينبغي لنا أن نطبق مبدأ "نصل أوكام" الذي يمنعنا من مضاعفة الكيانات الافتراضية - أي إيجاد تفسيرات وأسباب إضافية عندما يبدو أن أبسطها قد يكون كافياً؟ إذا كان المندائيون قد حصلوا على ممارسات معموديتهم من العراق، فلماذا نحتاج إلى اقتراح أنهم كانوا بالقرب من نهر الأردن أو أن لديهم أي صلة بمعمدانيي يهودا في القرن الأول مثل يوحنا؟

لو كان المندائيون طائفة معمودية قبل وصولهم إلى بلاد ما بين النهرين، فقد كانوا يرغبون في الاستقرار في منطقة اعتبرت الأكثر ملاءمة لمثل هذه الممارسات. لا بد أن المعموديات التي أجراها يوحنا في نهر الأردن كانت في بعض الأحيان ارتجالية إلى حد ما. ربما كان لدى المندائيين الأوائل ممارسات معمودية غير متطورة أو كان من الصعب تنفيذها في بيئتهم الجديدة. وكان من الطبيعي أن يتم اعتماد التقنيات والاستخدامات الموجودة في المنطقة. ومع مرور العقود إلى قرون، كان من شبه المستحيل ألا تتأثر الممارسة المندائية بالممارسات المحلية القائمة. ينبغي لنا أن نتوقع رؤية سمات بابلية في الممارسات المندائية، سواء كان المندائيون من السكان الأصليين لبلاد ما بين النهرين أو مهاجرين من المنطقة المحيطة بنهر الأردن.

أثناء المعمودية المندائية يتم ذكر اسم بهرام (انظر الفصل الأول، الملاحظة 9). قد يُفهم منه أنه نسخة من إبراهيم، ولكن قد يكون له أيضًا روابط زرادشتية. اقترحت الليدي دراور: "اسمه إيراني ... وقد يكون بهرام المندائي هو العبقري الفارسي للنصر (بهرام الفارسي الجديد ... الفارسية الوسطى (فارهران) ... قد يكون وجود الراية في معمودية المندائيين مرتبطًا براية النصر التي رفعها بهرام. [10]

موطن علم التنجيم

لقد أصبح النظام البابلي الستيني لقياس الوقت، إلى جانب علم التنجيم، عالميًا في الغرب. وبعد أن استقروا في موطن علم التنجيم، فليس من المستغرب أن يكون له دور كبير، وإن كان غامضًا، في

المعتقدات المندائية. يُعتبر علم التنجيم عمومًا موضع استنكار في الديانة المندائية الرسمية. هذا الرفض هو في العادة غنوصي. لم ينكر الغنوصيون القدماء قوة الكواكب، لكنهم شعروا أن تأثيرها خبيث ويسجن. لقد كان القدر هو الشيء الذي حاصرك. كانت الكواكب تحيط بالعالم المادي. إن النفس، إما عند الموت أو من خلال صعود رؤيوي يمكن أن تعد الغنوصي مسبقًا، سوف تصعد إلى الأعلى من خلال هذه المجالات. إن نفس الغنوصي ستكون مسلحة بكلمات مرور تُعطى لحكام كل مجال والتي من شأنها أن تمكنها من المرور إلى الأعلى دائمًا. كان برديصان السوري في القرن الثالث، وهو مسيحي غير تقليدي لا ينتمي إلى أي فئة، يعتقد أن النجوم والأبراج والكواكب (التي أطلق عليها "السبعة") كانت قوى معادية.

ومع ذلك، كان الجذب الشعبي لعلم التنجيم كبيرًا لدرجة أن المندائيين العاديين كانوا يستشيرون الخرائط الميلادية ويلجأون إلى الآلهة والإلهات الكوكبية حتى في حين كان الموقف تجاههم في الدين الرسمي أكثر عدائية. ولا يزال علم التنجيم يستخدم حتى يومنا هذا لإعطاء كل مندائي اسمه الحقيقي. لكل مندائي أربعة أسماء. هناك اسم عربي شائع يستخدم في الحياة اليومية (أو ربما فارسي في إيران) ولا يميز الشخص بأنه مندائي. هناك أيضًا اسم عائلي واسم قبلي. لكن "الاسم الحقيقي"، المعروف باسم "المالواسا"، يُستخدم في جميع المراسم الدينية، وبشكل تقليدي، أثناء العلاج الطبي. تم بناء المالواسا فلكيًا باستخدام كتاب مقدس يُعرف باسم كتاب الأبراج.

بدءًا من علامة الشمس التي يولد فيها الطفل، يقوم الكاهن بحساب عدد الأبراج حسب عدد الساعات التي كانت في تلك العلامة الشمسية قبل الولادة. العلامة التي تم الوصول إليها تحتوي على رقم من 1 إلى 12. يتم بعد ذلك طرح هذا الرقم من القيمة العددية (أيضًا من 1 إلى 12) لاسم الأم. تم الرجوع إلى الرقم الأخير في كتاب الأبراج، حيث يتوافق كل رقم مع قائمة من الأسماء الذكورية والأنثوية.[11] في القوائم الواردة في ترجمة دراور لكتاب الأبراج،[12] وفي القائمة الأكثر حداثة التي قدمتها باكلي،[13] هناك عدد قليل بشكل مدهش من هذه الأسماء: لا يوجد رقم مرتبط بأكثر من ثمانية أسماء، وبعضها يحتوي على اثنين فقط. عادةً ما تُعطى الأسماء الفلكية مع اسم الأم بعد ذلك:

مثلاً، يحيى بن ياسمين. وهذا يسمح بالهندسة العكسية: يمكن إضافة الفئة الرقمية للاسم إلى فئة اسم الأم للحصول على الرقم، الوضع 12، الذي يشير، إن لم يكن بشكل فريد، إلى ساعة وعلامة الميلاد.

إن الأهمية الثقافية لكتاب الأبراج تكشف عن مكانة علم التنجيم في المندائية. يستخدم الكهنة الاسم الفلكي المالواسا في الطقوس، لكن كتاب الأبراج لا يُعتبر قانونيًا. في وقت إقامة الليدي دراور مع المندائيين، كان من الشائع صنع التمائم الفلكية وإنتاج الأبراج السنوية لكل فرد. كما مارس المندائيون علم التنجيم الدنيوي، حيث كانوا يتنبأون بأحداث واسعة النطاق أثرت على الطبيعة ودول بأكملها وزعماء. يُعتقد أن هذا النوع من التنجيم مشابه لما كان يُمارس في عهد الإمبراطورية الساسانية، مما يعني أنه من غير المرجح أن يكون قد نشأ في أي مكان آخر.

لذا، فإن الممارسة الفعلية للمندائيين هي استشارة الأبراج بانتظام لجميع الأسباب المعتادة. علم

التنجيم متأصل في الثقافة المندائية التقليدية. لكن وجهة نظر الدين الداخلي الأكثر غنوصية هي أن النجوم والكواكب ليست حميدة. كما قالت الليدي دراور:

> النجوم وعلامات الأبراج هي أعداء النفس. أعتقد أننا قد ننظر إلى هذا باعتباره دحضًا لفكرة أن الإنسان هو الضحية العاجزة للهيمارمين، اللعبة التي تملكها الكواكب والتي وُلد تحت تأثيرها. إن نصيروتا هو إنكار عاجل للقدر، وهو دعوة إلى روح الإنسان للاستماع إلى مانا الخاصة بها والتي هي في نفس الوقت صورة وجزء من المانا العظيم. إذا استمع الإنسان إلى هذا النداء من الداخل، فهو حجة على القدر والكواكب. [14]

دورة الزمن

الأشهر المندائية لها أسماء بابلية، ولكن قد يشار إليها أيضًا وفقًا لعلامات الأبراج. تم تحديد رأس السنة عند دخول الشمس إلى برج الحمل. يتم تسمية كل عام على اسم أول يوم عمل في السنة. كل يوم يحكمه كوكب معين، والـ 24 ساعة في اليوم تحكمها الكواكب أيضًا. وبالتالي فإن أي وقت معين من اليوم يخضع لمجموعة معقدة من العوامل الفلكية المتداخلة. التقويم المندائي وطريقة حساب الوقت يتبعان الأساليب الفارسية القديمة ولكن بأسماء سامية.

> يحسب المندائيون ساعات اليوم والليلة الأربع والعشرين بدءًا من الفجر، أي أن يوم الثلاثاء يتبعه ليلة الثلاثاء:
>
> "ليلة الثلاثاء" عند العرب تعني الليلة التي تسبق الثلاثاء. يتضمن التقويم المندائي تناقضًا إضافيًا يتمثل في بدء العام بموسم الشتاء، في حين يرتبط رأس السنة الفارسية الزرادشتية عادةً بالربيع. تزامن رأس السنة الفارسية الزرادشتية مع أوائل الشتاء في القرن الأول قبل الميلاد، لذا ربما تم تأسيس الأسماء الأساسية للأشهر المندائية في هذه الفترة. المندائيون هم الشعب الوحيد غير الإيراني الذي اعتمد التقويم الإيراني القديم، إلى جانب عدد كبير من المعتقدات الأخرى، من العصر الساساني المتأخر، أي في زمن كسرى الأكبر *(القرن السادس)* دون أدنى تغيير. ولكن المندائيين لم يستخدموا أسماء الأشهر الفارسية واحتفظوا بالأسماء السامية كما ذكرنا آنفاً. [15]

وكان للمندائيين أيضًا عصورهم الفلكية الخاصة. من خلق آدم إلى نهاية العالم يقدر بـ 480 ألف سنة. كل عصر يحكمه برج من الأبراج، يبدأ ببرج الحمل أو كما يطلق عليه المندائيون (البابليون) برج أومبارا. عمر أومبارا استمر 12,000 سنة، وتورا 11,000 سنة، وهكذا. على الرغم من أن أسماء الأبراج تختلف عن النسخ الغربية، إلا أن العديد من الرموز متشابهة - على الرغم من أن ما يعادل الجوزاء يرمز إليه بالميزان وليس التوأم، والعذراء (شومبولتا) بسنبلة الذرة، والميزان (قينة) بقصب، والقوس (هاتيا) بفرس، والدلو (دولا) بجمل. [16]

يعتمد علم التنجيم المندائي على نظام البيت، حيث يتم التحكم في جوانب الحياة.

من خلال كون كل منزل مشابهًا تقريبًا لمنازل علم التنجيم اليوناني والعربي، على الرغم من أن طريقة حساب المنازل أبسط من النماذج الهلنستية.[17] كما استخدم المندائيون أيضًا العشريات، التقسيم الفلكي لكل علامة إلى ثلاثة أقسام كل منها 10 درجات، والتي نشأت في مصر، على الرغم من أن هذه لم تكن مرتبطة عمومًا بالصور الحية التي رافقت العشريات في الأنظمة الفلكية الأخرى.

بالإضافة إلى دورات الأبراج، كان لدى المندائيين أربعة عصور عظيمة. العصر الأول بدأ مع آدم وحواء وانتهى بقوة السيف. أما الثاني فقد بدأ بالكبش والرود وانتهت بالنار. أما الطريق الثالث فقد بدأ بسورباي وسرهابيل وانتهى بالماء. العصر الرابع هو عصرنا، الذي بدأه سام بن نوح ونورايتا. سينتهي عصرنا بقوة الهواء.[18] إن نظام العصور يذكرنا على لفور بالعصور الكلاسيكية للذهب، الفضة والبرونز والحديد، كما وصفها هسيودوس (الذي كان له أيضًا عصر بطولي) و أوفيد. وتقدم اليوغا الهندية تقريبًا أقرب، لأن العصور المندائية تتناقص في الطول مع تقدم العالم من عصر إلى آخر. ومع ذلك، فإن إجمالي 480 ألف سنة أقصر بكثير من الفترات الشاسعة الحقيقية 1لليوغا1 - علاوة على ذلك، فإن النظام المندائي ليس دوريًا، في حين تتكرر 2اليوغات2 بلا نهاية. لليوغا - علاوة على ذلك، فإن النظام المندائي ليس دوريًا، في حين تتكرر اليوغات بلا نهاية. بعد عصرنا ينتهي العالم.

أسلاف بلاد ما بين النهرين

في الوقت الذي يبدو فيه أننا نسبح في التكهنات، أو نعيش في جو من الحجج المعقولة ولكن مع القليل من الأدلة، نجد القليل من الأدلة الأثرية التي تشير إلى وجود المندائيين في بلاد ما بين النهرين في بداية الإمبراطورية الساسانية.

ترك لنا الكاهن الساساني كردير، الذي عاش في القرن الثالث الميلادي، والذي يُرجَّح أنه كان رئيس المجوس المسؤولين عن استشهاد ماني، نقشًا في نقش رستم يُعلن الانتصار العنيف لدينه على غيره من الديان في المنطقة:

> في مملكة بعد مملكة ومكان بعد مكان في جميع أنحاء الإمبراطورية، أصبحت خدمات أهورا مزدا واليزد بارزة، وحصلت ديانة عبادة مزدا والمجوس في الإمبراطورية على كرامة عظيمة، وحصل اليزد والماء والنار والماشية الصغيرة في الإمبراطورية على رضا كبير، بينما عوقب أهريمان والشياطين وبخوا، وغادرت تعاليم أهريمان والشياطين الإمبراطورية وتم التخلي عنها. وضُرب اليهود والبوذيون والبراهمة والناصريون والمسيحيون والمعمدانيون والمانويون في الإمبراطورية، وتم التخلي عن تدمير الأصنام وتشتيت مخازن الشياطين ومقاعد الآلهة والأعشاش. [19]

هناك احتمالان للمندائيين في تلك القائمة التي تعود إلى أوائل القرن الثالث: الناصريون والمعمدانيون. هناك تقليد مندائي مفاده أن جميع المندائيين في الفترة المبكرة كانوا من النصارى؛ ولم يقتصر

المصطلح على الطبقة الكهنوتية (النصارى) كما هو الحال الآن. وقد يعني هذا أنه مع تطور الدين لم يعد استخدام كلمة "الناصريين" ينطبق على السكان المندائيين ككل، بل على الدائرة الكهنوتية الباطنية فقط. من الناحية الأسطورية، قد يعني هذا أنه في العصور القديمة كان يُعتقد أن جميع المندائيين يعملون على مستوى الكهنة؛ وبالتالي كان ذلك بمثابة العصر الذهبي. قد يشير مصطلح "المعمدانيين" إلى أي من الطوائف المعمودية التي كانت موجودة، بما في ذلك ليس فقط المندائيين ولكن أيضًا ربما الإلكاسيين. على أية حال، هناك مجال واسع للادعاء بأن المندائيين موجودون في هذه القائمة.

هناك أسباب أخرى للاعتقاد بأن المندائيين كانوا موجودين في بلاد ما بين النهرين لعدة قرون قبل الفتح الإسلامي. يصف كتاب كنزا الأيسر طقوس التطهير اللازمة لشخص دخل إلى بيت تموز، إله النباتات الذي حزنت عليه عشتار بعد نزوله إلى العالم السفلي.[20] يتناول النص أولئك الذين "يجلسون هناك ثمانية وعشرين يومًا، ويذبحون الأغنام، ويخلطون الأطباق، ويقدمون الكعك، ويجلسون في حداد في بيت ليبات".[21] من الواضح أن هذه الطقوس المندائية يجب أن تشير إلى فترة ما قبل الإسلام وكانت محاولة كهنوتية لتسييج مجتمع يمكنه أن يرى قيمة الآلهة الوثنية. رأت دراور أوجه تشابه بين شخصيات أور وكروم المندائية وتيامات بلاد ما بين النهرين، إلى جانب روابط محتملة مع التنانين أو الثعابين الفيدية. [22]

يُنسب إلى روحا إدخال الترانيم الشيطانية إلى المندائيين. لقد رفضها الكهنة ولم تلعب أي دور في الدين الرسمي. وقد ربطها بعض العلماء بأغاني الرثاء المستخدمة في المهرجانات المخصصة لوفاة تموز. ومع ذلك، فقد كانت ترانيم الحروف المتحركة تمارس من قبل مجموعات غنوصية مختلفة في أواخر العصور القديمة، وليس من المستبعد أن يستخدم المندائيون ترانيم مماثلة. ربما تم تبني المراثي البابلية، والتي اعترض عليها الكهنة في وقت أصبح من المهم فيه التمييز بين المندائيين والوثنيين البابليين. ربما تم الحفاظ على الترانيم الغنوصية، التي كانت مشابهة للترانيم البابلية، أو ربما تم استيعاب عناصر منها، ثم تم حظرها على المجتمع لأسباب مماثلة. نحن لا نعلم ببساطة.

فهل يمكن أن ينتهي المسار هنا؟ هل المندائيون في الأساس بقايا بابلية تحافظ على طقوس المعمودية القديمة في بلاد ما بين النهرين؟ هل الإشارة إلى يوحنا المعمدان مجرد تطور متأخر، يهدف إلى التقرب من السلطات الإسلامية وتأمين قدر من الأمن في حياتهم؟ إن إظهار التأثير البابلي لا يعني بالضرورة أن يكون لديك أصل بابلي في نهاية المطاف. وكان لليهود في العراق أيضًا طقوسًا ربما كانت مستمدة من التأثير البابلي لما بعد الكتاب المقدس، بما في ذلك وجبات الطقوس النباتية.

عرب الأهوار ومندائيو الأهوار

توصل الباحث إدوين ياموتشي إلى الاعتقاد بأن العناصر الغربية (اليهودية والفلسطينية) في المندائية تم التركيز عليها كثيرًا بسبب الثروة النسبية للمواد والمعلومات المتاحة. وكان اقتراحه أن المندائيين ربما كانوا "مجموعة آرامية أصلية تعيش في أهوار العراق السفلي وجنوب غرب إيران". وبحلول عهد الإمبراطورية الساسانية، كانوا قد انتشروا في الداخل حتى بغداد. وبعد وصول الإسلام إلى

العراق، تم تهجيرهم بشكل كبير من أراضيهم الأصلية على يد العرب الشيعة المسلمين في الأهوار. لكن المندائيين استمروا في العيش في الأهوار لعدة قرون، مستخدمين القصب لبناء أكواخ عبادتهم.

كانت أهوار العراق، التي تشكلت نتيجة الفيضانات التاريخية لنهر الفرات، تُعرف باسم "نعمة العراق" - فهي غنية بالحياة البرية وموطن للجاموس المائي ونقطة توقف للعديد من أنواع الطيور المهاجرة، مثل الغاق، والرفراف، والبط البري، وطيور النحام. تبلغ مساحة المنطقة حوالي مساحة ويلز، وقد تم تجفيفها في عهد صدام حسين في ثمانينيات القرن العشرين. كان هذا مشروعًا هندسيًا واسع النطاق بشبكة من القنوات والسدود يبلغ طولها 45 ميلاً وارتفاعها أكثر من 20 قدمًا. حولت القنوات المياه بعيدًا إلى الخليج الفارسي، على بعد 150 ميلًا. بعد تجفيف 12 ألف كيلومتر مربع، تحولت الأراضي الرطبة التي لا نهاية لها إلى صحراء. وانخفضت مساحة الأهوار إلى 10% من حجمها السابق، وانخفض عدد عرب الأهوار الذين كانوا يعيشون في المنطقة من 250 ألفاً إلى بضعة آلاف فقط.

بعد سقوط صدام حسين، نجحت جهود مختلفة جزئيا في استعادة الأهوار، واختراق أجزاء من السد، وإغراق أجزاء من المنطقة مرة أخرى. وبدأ بعض عرب الأهوار في العودة، وبدأت القصب ينمو من جديد في ما أصبح بقايا جافة ومتضررة من الجفاف من الأهوار السابقة.

الفصل التاسع

الحروف الهجائية والتعاويذ

على الرغم من إدانة الدين المندائي لعلم التنجيم، إلا أنه كان سمة مشتركة في حياة المندائيين. وعلى نحو مماثل، تلقت الممارسات السحرية الأخرى رفضًا رسميًا من الكهنة وفي الكتاب المقدس، لكنها ظلت جزءًا مهمًا من الحياة اليومية. يتمتع المندائيون بتقاليد سحرية متنوعة - وكما هو متوقع، فإن هذا السحر يحتوي على عنصر أصلي قوي من بلاد ما بين النهرين.

الأبجدية المندائية هي واحدة من السمات القديمة التي لا جدال فيها في الثقافة المندائية. إنها أبجدية مميزة ولكنها تشبه إلى حد كبير أبجدية قديمة غامضة أخرى، وهي أبجدية الأنباط، وهم شعب عربي سكن في العالم القديم وأواخر العصور القديمة منطقة واسعة شرق نهر الأردن. كانت الأبجدية المندائية نفسها خاضعة للتفسير الباطني وكانت تستخدم في الممارسات السحرية والعرافة.

السحر يقوض الهياكل الاستبدادية. من ناحية أخرى، يمكن للسحر في كثير من الأحيان أن يبقى على قيد الحياة وحتى أن يزدهر في ظل الدين. على سبيل المثال، كان السحر الشعبي جزءًا من نسيج المجتمع الفلاحي في جنوب فرنسا في العصور الوسطى على الرغم من أنه لم يحظى بموافقة الزنادقة الكاثاريين الذين كانوا يتمتعون بشعبية بين الفلاحين ولا بين الكنيسة الكاثوليكية الرومانية المهيمنة. وعلى نحو مماثل، أدانت كل من الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية الجديدة السحر في عصر النهضة وأوائل العصر الحديث - ومع ذلك فإن التقليد الأوروبي القائم على الكتب السحرية (مثل مفتاح سليمان الأصغر، وكتاب أبراملين ومجموعة أخرى) يقع ضمن إطار مسيحي أو يهودي.

كانت الليدي دراور مهتمة ببعض العادات التي بدت عالمية بين المندائيين في العراق خلال النصف الأول من القرن العشرين؛ وهي الأنشطة التي وصفها الكهنة بأنها غير دينية. عندما تم بناء منزل جديد، تم ذبح خروف ودفن رأسه تحت العتبة - وهي عادة شائعة.

تمارس هذه الممارسة في جميع أنحاء العالم بأشكال مختلفة، والتي شملت جماجم بشرية في بريطانيا. وكانت عتبة منزل المندائي محمية أيضًا بتعويذات مثل الخرز الأزرق المرصع أو الفخار (وهو أمر غريب، حيث كان ممنوعًا على المندائيين ارتداء اللون الأزرق) أو بواسطة دمية من القماش مغطاة بأزرار زرقاء وخرز وزخارف أخرى. كما تم دفن الأطباق المعدنية أو اللوحات التي تحمل تعويذات تحت العتبة، وخاصة عندما كان أحد أفراد الأسرة مريضًا. عندما تدخل العروس الجديدة إلى المنزل، يتم قتل ديك أو حمامة ويتم فرك الدم على قدم العروس العارية. كانت هذه ثقافة شعبية وليست جزءًا من الدين المندائي الرسمي، وقد تم قطع حلق الطائر على يد رجل عادي. من المحتمل أن تكون هذه جوانب من الدين المندائي تم استبعادها من الممارسة الرسمية عندما تم إصلاح الدين من قبل الكهنة ولكنها بقيت بين عامة الناس. [1]

تأثير عشتار

أحد أشكال العرافة المندائية يشبه إلى حد كبير لوحة الويجا الحديثة. يضع شخصان أصابعهما على كوب شاي مقلوب موضوع على لوح رخامي، يحتوي على حروف مرتبة في دائرة. عندما يتم طرح سؤال، يتحرك الكأس من حرف إلى حرف لتوضيح الإجابة. قد يكون من المغري أن نعزو هذا إلى التأثير الأوروبي المعاصر، لكن اسم الممارسة هو "علم ليوت". ليوت، أو ليبات، هي إلهة كوكب الزهرة وترتبط بالإلهة عشتار في بلاد ما بين النهرين القديمة. كانت روحا، مثل عشتار، تُعتبر أيضًا جميلة جدًا، وبسبب دورها كخصم، كان الكهنة يستخدمون حبلًا أزرق كعلامة مرجعية في الكتب المندائية لإرضائها.[2] ووفقًا لعالم واحد على الأقل، فإن الاستخدام المندائي الخاص لآلهة بلاد ما بين النهرين يُظهر تأثير فترة زمنية محددة: "عند تحليل النصوص المندائية، يمكن للمرء أن يجد أن آلهة بلاد ما بين النهرين الشيطانية، والتي ورد ذكرها أيضًا في مجموعة النصوص المندائية اللاحقة، تثبت بلا شك أنها مستعارة من بيئة ثقافية بارثية متأخرة في وسط بابل". ويختتم قائلاً: "لذلك، فإن التعاويذ المندائية ضرورية لدراسة أصل هذا الشعب". [3]

في السابق، كان يتم وضع الطفل خارج المدينة يوم الأحد حتى ينزل ليوت إليه.

ليوت سوف ينزل إليه أو إليها. ثم يقوم الطفل الممسوس بإعطاء إجابات على أسئلة العرافة. تعود ممارسة استخدام الأطفال كرائين إلى العالم القديم، وهناك العديد من الأمثلة الهلنستية الباقية من هذه الممارسة. في إحدى الحكايات الشعبية المندائية، يأخذ غانزيبرا ابنته إلى ملجأ سري في ليوت ويضع أمامها وعاءً من الماء. كان يقرأ التعاويذ باستمرار حتى يصبح زجاج الوعاء أحمر، ثم أبيض، ثم أخضر، ثم أزرق، ثم أخيرًا مثل كرة من الضوء. سقطت الفتاة في النوم ثم دخل ليوت في أفكارها وتحدث من خلال فمها. وتوسلت الغانزيبرا إلى ليوت أن تساعد المندائيين على التهرب من الجنود الأتراك القادمين. إنها تعرض عليهم أن تعميهم أو تحاصرهم بالماء، لكن الغانزيبرا، باعتباره مسالمًا جيدًا، يشعر بالقلق من تعرض الجنود العاديين للأذى. يكتفي بطلب المساعدة من روح أخرى تتأكد من دفع أذرع الجنود عندما يطلقون بنادقهم حتى لا تخطئ طلقاتهم الهدف. وفي وقت لاحق من القصة،

حصل أحد المنجمين المرافقين للجيش التركي على وعاء سحري يحمل نقوشًا مندائية. لا ينبغي أن يكون هذا في حوزته، لذا يقوم الغانزيبرا بترتيب اختفائه بطريقة سحرية. ويقال لنا أن الوعاء كان مدفونًا في جبال الشمال.[4] إن وجود وعاء في الكهانة المستوحاة من الروح في الحكاية الشعبية أمر جدير بالملاحظة. تم العثور على ما يقرب من 2,000 وعاء سحري، والمعروف أيضًا باسم أوعية التعويذة، في العراق، وتم اكتشافها بشكل رئيسي من خلال الحفريات الأثرية في القرن التاسع عشر. وكان يتم دفنها عادة أسفل مدخل المنازل أو تحت الغرف. معظمها لها قاعدة مستديرة، تشبه في الشكل والحجم وعاء الحبوب، على الرغم من أن بعضها صغير مثل منفضة السجائر والبعض الآخر على شكل أباريق. إنها منقوشة بتعاويذ ومقاطع من الكتاب المقدس، ويبدأ النص عادة من أسفل الجانب المقعر من الوعاء ويتجه نحو الحافة في اتجاه عقارب الساعة، على الرغم من وجود العديد من الاختلافات حول هذا الموضوع. الأوعية الآرامية اليهودية هي الأكثر شيوعًا، تليها الأوعية المندائية في المرتبة الثانية. يعود تاريخ معظم الأوعية إلى القرنين السادس والثامن الميلاديين. وفي بعض الأحيان، يكون لديهم أشكال كلاب، أو شياطين مألوفة من الفولكلور المندائي أو اليهودي، في وسط الوعاء. تحتوي العديد من أوعية التعويذات السحرية على تعاويذ تهدف إلى صد ليليث، الشيطانة التي كانت مسؤولة عن الإجهاض ووفيات الأطفال.[5] وكانت الأوعية تُستخدم بشكل عام إما للحماية أو للعنات. إن تلك التي دُفنت تحت المنازل أو عتباتها كانت ستحمي سكانها من التأثيرات الخبيثة. [6]

في العديد من الثقافات، يُعتبر السحر محظورًا، ويتجاوز الكهنوت والدين الرسمي، وكما رأينا، فإن هذا الموقف لا يختلف مع المندائيين.[7] حتى أن بعض الكهنة المندائيين ينكرون وجود أي ممارسة سحرية في المندائية. ومن غير المرجح أن يكون الكثير من هذا قد انتقل إلى الشتات المندائي، وربما لا يكونون متواجدين بشكل كبير في العراق أو إيران في الوقت الحاضر أيضًا. ومع ذلك، فهي جزء من التقليد التاريخي الشامل وتستحق الاهتمام. تلعب الممارسة السحرية دورًا في الغنوصية بشكل عام، وهو أمر أصبح معروفًا على نطاق واسع، وقد تغير موقفي من هذا أيضًا.

الأبجدية المندائية السحرية

على الرغم من أن المندائيين لديهم أبجدية مميزة لهم، إلا أن علماء اللغة قادرون من خلالها على تحديد أصول اللغة المندائية. يصف كتاب "حران كويثا" كيف تعلم يوحنا المعمدان الأبجدية المندائية: "عندما كان في السابعة من عمره، جاء أنوش أوثرا وكتب له الأبجدية (أباغا)، حتى بلغ الثانية والعشرين من عمره، وكان قد تعلم جميع الحرف الكهنوتية". [8] تُظهر هذه الحادثة الصغيرة أن الأبجدية المندائية كانت تُعتبر ذات أصل مقدس، وأنها كانت أساس المعرفة الكهنوتية والباطنية للمندائيين. علاوة على ذلك، فإن الحلقة نفسها تأتي على الأرجح من التقليد المسيحي غير القانوني. في إنجيل توما للطفولة، تعلم يسوع الصغير الأبجدية اليونانية، من ألفا إلى أوميغا، من رجل يُدعى زكا. ولكنه نظر إلى زكا المعلم وقال له: كيف تعلم الآخرين البيتا وأنت لا تعرف الألفا حسب طبيعتها؟ يا منافق، إذا كنت تعرف ذلك، فقم أولاً بتعليم الألفا، ثم نصدقك بشأن البيتا. [9] ثم يواصل يسوع تعليم زكا المعاني الباطنية للحروف الأبجدية.

تعتبر الحروف الـ 24 للأبجدية المندائية مقدسة وتمثل قوى الحياة والنور.[10] تظهر الكتابة المندائية بالكامل تقريبًا إما في الكتب المقدسة أو في التحف السحرية ولم يكن لها وظيفة دنيوية. يُعتقد أن كل من الكتب المقدسة والنقوش السحرية محمية بواسطة نبو (نابو البابلي)، إله الكتابة والحكمة، والذي تم ربطه مع كوكب عطارد، كما كان في نظرائه الرومانيين واليونانيين والمصريين. وهنا نرى النهج المتناقض وغير المتسق تجاه الآلهة البابلية القديمة: فباعتباره حاميًا للأبجدية، فإن نابو مقدس وحميد؛ وفي أماكن أخرى، يتحالف مع قوى خادعة، ويُعرف بأنه الروح التي تُمكّن يسوع.

وكانت الحروف المقدسة تستخدم أيضًا في الكهانة. كانت التقنية تتمثل في وضع الحروف الأربعة والعشرين، المنقوشة على قطع من الفضة أو الذهب (كان المندائيون في كثير من الأحيان صائغي فضة وذهب)، تحت وسادة الشخص الذي يحتاج إلى التوجيه الإلهي. في كل ليلة كان يتم إزالة إحدى الحروف عشوائيًا من الوسادة حتى يحصل السائل على حلم يتعلق بالموضوع المطلوب. الرسالة التي تم إزالتها بعد ذلك كانت تشير إلى الروح التي ساعدت في الكشف عن الحلم وتم ارتداؤها كتعويذة حول الرقبة. أقدم كتابة معروفة باقية باللغة المندائية هي تميمة من الرصاص تعود إلى النصف الأول من القرن الثالث الميلادي.

الأبجدية المندائية تُعرف باسم "أباغا" - وهي كلمة تشير أيضًا إلى تعويذة. تبدأ المخطوطات السحرية بالأبجدية بأكملها بالترتيب (وهي أيضًا طريقة مفيدة للكاتب لممارسة حروفه). الحروف الدائرية التي تبدأ وتنتهي بالأبجدية لها دلالات شمسية، كما هو الحال مع العلامات المستخدمة للحروف المتحركة. كل حرف يحتوي على كلمات أو عبارات مرتبطة به، ربما مشابهة للرموز المستخدمة مع الأحرف الرونية النوردية. على سبيل المثال، حرف التاء يعني "تاب" (جيد) أو "طير" (طائر)، وهو الطائر الذي يمثل النفس التي تترك الجسد لتعود إلى عالم النور. تشير كلمة "كا" إلى إكليل الآس أو التاج (كليله) أو الصواب أو التعامل الصحيح (كوشتا، وهو المصطلح المستخدم أيضًا للمصافحة الطقسية).

ولم يقتصر هذا النوع من الاستخدام الصوفي والباطني للأبجدية على المندائيين. في كل من اللغتين العبرية واليونانية (كان للاتينية نظام الأرقام الرومانية المعروف بدلاً من ذلك)، تم تمثيل الأرقام باستخدام الحروف. وبالتالي فإن أي كلمة يمكن أن تمثل رقمًا، وهي ميزة معروفة جيدًا اليوم في الكابالا ومعرفة الأسرار . تعتبر الأبجدية العبرية أساسية لجميع أشكال التصوف اليهودي. كان هناك على الأقل غنوصي واحد استخدم التصوف الأبجدي - وهو فالنتيني يدعى ماركوس، وكان نظامه العددي والحروفي متعددًا ومعقدًا.[11] رأى ماركوس في رؤية الحروف الأبجدية الأربعة والعشرين موضوعة في أزواج على أجزاء مختلفة من الحقيقة ككائن مجسد. يمكن متابعة الأبجدية بالتسلسل على طول أحد جانبي الجسم ثم العودة إلى الجانب الآخر. وبالتالي، ربما استُخدمت "رؤية ماركوس للحقيقة" في تقنيات التأمل الجسدي، وهو أمر مثير للاهتمام بشكل خاص لأن نهجًا مشابهًا كان موجودًا في المندائية. في النص المندائي "العالم الأول العظيم"، نُقش جسد بشري منمق بتسلسلات

أبجدية تمتد لأعلى ولأسفل على طول نصفي الجسم الأيمن والأيسر. [12]

في الأساطير المندائية، الأبجدية هي خلق زوج من الكيانات الإلهية:

المؤنث من هذه النباتات هو النبع الأصلي، والمذكر هو النخلة. يسبق الأباغا خلق البشرية والكون، كما تعتبر الأبجدية العبرية أو نصوص التوراة والقرآن أساسية للكون في اليهودية الباطنية والإسلام. في إحدى الأساطير، أعلن أوثرا يدعى ميلكا د-أنهورا (على غرار الديميورج الغيور)، "لا يوجد أحد أقوى مني". عندما رأى الأبجدية تمتد على وجه المياه مثل جسر، اعترف بأن الذي صنع الأبجدية كان أقوى منه. [13]

وفقًا لنسخة أخرى من أصل الأبجدية المندائية، فإن ب تنبثق من أ. ثم تمدح ب أ، ونتيجة لذلك ينبثق ج (الحرف الثالث من الأبجدية، كما هو الحال في العبرية) من ب. يتجه ج نحو ب وتستمر العملية. كل حرف ينبثق من الحرف السابق له واحدًا تلو الآخر. إن هذه العملية غنوصية تمامًا، ولها نظير في أوصاف تشكيل البليروما، العالم الإلهي، حيث ينبثق كل مستوى من المستوى السابق. في تطور غريب ومعقد وغنوصي للغاية للقصة، تصبح الأبجدية منتفخة بالكبرياء وبالتالي تسقط وتنهار و"تجهض". تنقسم الأبجدية إلى نصفين ويبدأ نصفها في الحرب على النصف الآخر. في النهاية، تدرك الحروف أن الكارثة ستلاحقها، لذا تأخذ بأيدي بعضها البعض، رمزًا لتكوين الكلمات. ثلاثة أحرف (ح، عين، د) تمثل الروح والجسد والنفس. يشبه تعقيد هذا النظام الكابالا ولكن على مبادئ مختلفة بعض الشيء. [14]

إن معرفة القراءة والكتابة باللغة المندائية هي في حد ذاتها صفة تحدد مكانة المندائي. كان الشغاندا يبدأون تقليديًا تعلم الأبجدية في سن الرابعة (أصغر حتى من يوحنا المعمدان الذي تعلمها في سن السابعة متأخرًا نسبيًا). بمجرد أن أصبح متعلمًا، كان يُعتبر يالوفا، وهو شخص عادي غير متعلم من رجال الدين، وكان بإمكانه الرجوع إلى كتاب البروج، وتلاوة الصلوات، وصنع التمائم المندائية. [15]

الأساطير العالمية مليئة بالوحوش الهجينة الرائعة المكونة من الديوك والسحالي والأسود؛ الآلهة ذات الأجساد البشرية ورؤوس الصقور والفيلة والذئاب أو طيور أبو منجل؛ الثعابين الناطقة والإلهات الزرقاء ذات الأذرع المتعددة، والنطاق يكاد يكون لا نهائيًا. تحتوي الأسطورة المندائية على شخصية مرتبطة بالأبجدية وهي أكثر غرابة من أي من هؤلاء: دينانخت هو كائن نصفه إنسان ونصفه كتاب وقادر على قراءة نفسه.[16] في قصة غريبة في كنزا اليمنى، واجه دينانخت كتابًا أصغر اسمه ديساي، وحاول دون جدوى إغراق ديساي وحرقه. يغفو دينانخت ويرى رؤية أعطتها له إيوات (نوع من روحا) حيث تعلن:

> أنا الحياة التي كانت منذ البداية. أنا الحقيقة... التي كانت موجودة حتى في وقت سابق من البداية. أنا إشعاع، أنا نور. أنا الموت، أنا الحياة. أنا الظلام، أنا النور. أنا الخطأ، أنا الحقيقة. أنا الدمار، أنا البناء. أنا النور، أنا الخطأ. أنا ضربة، أنا شفاء... [17]

ثم يقوم ديناnخت بصعود الروح، صاعدًا عبر عالم تعمل فيه روحا نفسها كمغوية، إلى مستوى يتميز بالتناقضات التي أعلنها إيوات في رؤية الحلم. ثم يكتشف ديناnخت أنه لم يعد قادرًا على الصعود إلى أبعد من ذلك ويجب عليه العودة إلى الأرض وإخبار الآخرين بما رآه دون أن يُسمح له بتجربة عالم النور نفسه. زوجته (ولم يتم إخبارنا ما إذا كانت نصف كتاب أيضًا) تعتقد أنه مجنون. من المحتمل أن يكون معنى القصة مرتبطًا بالعلاقة بين الكتاب المقدس والتجربة الرؤيوية. لا شك أنه لا توجد قصة أخرى في الأساطير كلها عن نصف رجل ونصف كتاب يقوم بصعود غير مكتمل للنفس!

الفصل العاشر

بين الغنوصيين

غالبًا ما يُعتبر المندائية شكلاً من أشكال الغنوصية. ولكن ماذا تعني الغنوصية؟ إن الغنوصية كفئة أكاديمية هي موضع خلاف كبير بين الأكاديميين حاليًا، لدرجة أن البعض رفضها باعتبارها مفهومًا عديم الفائدة. ولتوضيح ما أعنيه أنا والآخرون عندما نقول إن المندائيين غنوصيون، سيتعين عليّ تقديم بعض الخلفية. على مر السنين، قمت بصقل وتوضيح تعريفي الخاص للغنوصية حتى توصلت إلى الملخص المثالي: "أشياء مثل ما كان يفعله الغنوصيون القدماء".

يتم انتقاد الغنوصية باعتبارها مصطلحًا غير واضح التعريف وباعتبارها تسمية مستمدة من أعدائها، بدلاً من كونها تسمية ذاتية من قبل الغنوصيين أنفسهم. إن دليلنا على وجود الغنوصيين يأتي من مصدرين: من كتاباتهم الخاصة والكتب المقدسة، ومن الكتابات الجدلية لآباء الكنيسة. بالنسبة لآباء الكنيسة مثل إيرينيئوس (الذي أصبح قديسًا لاحقًا) في القرن الثاني - وأولئك الذين تبعوه، مثل ترتليان، وهيبوليتوس، وإبيفانيوس - فإن الطوائف المسيحية التي لم تتفق معهم في ما اعتقدوا أنه نقاط أساسية في العقيدة، أو الطوائف التي كانوا معادين لها، كانت هرطوقية.

وقد قام هؤلاء العلماء بسرد ومحاولة دحض عدد كبير من الأفراد والجماعات والكتب المقدسة. ومن بين المجموعات التي هاجمها إيرينيئوس الغنوصيون. يشتق الاسم من الكلمة اليونانية غنوص، والتي تشير إلى المعرفة الروحية - وهي شكل من أشكال المعرفة الصوفية والتجريبية أكثر من تلك المستمدة من الكتب. يمكن اعتبارها مزيجًا من المعرفة المباشرة بالإلهية والتقاليد والكتب المقدسة التي تصاحبها.

كان لدى هؤلاء الغنوصيين نهج معين يجمع بطريقة ثورية بين عناصر الفلسفة الأفلاطونية والتقاليد المسيحية أو اليهودية - الكتابية. إن علم الكونيات عند أفلاطون، والذي تم عرضه بشكل أساسي في محاورة تيمايوس، يتضمن شخصية تُعرف باسم الديميورج. كان الديميورج (الذي يعني الحرفي وليس نصف إله، أو حتى نصف صانع كما يُعتقد خطأً في كثير من الأحيان) نوعًا أدنى من الآلهة من الإله المتعالي المطلق. كان الديميورج هو الذي شكل العالم أو صنعه، مستخدمًا عالم الأشكال أو الصور كنموذج له. كانت هذه الخطوة التي قام بها أفلاطون مؤثرة للغاية على مر القرون (استمرت أكاديميته حتى عام 529 ميلادية، عندما تم إغلاقها بأمر الإمبراطور المسيحي جاستينيان). إن فكرة الديميورج باعتباره شخصية وسيطة في الخلق تعفي الإله المتعالي من مسؤولية كل عيوب ومشاكل

العالم المادي.

بعد فتوحات الإسكندر الأكبر، انتشرت الثقافة اليونانية في جميع أنحاء العالم المتوسطي وخارجه، متفاعلة مع التقاليد المحلية القائمة. كانت الإسكندرية على ساحل مصر هي المدينة الرئيسية للنشاط الفكري والروحي، وقد تم رسم تصميمها على الأرض باستخدام دقيق الشعير وفقًا لتعليمات الإسكندر نفسه، ولكن لم يتم بناؤها إلا بعد وفاته. هناك امتزجت الثقافة المصرية التي يعود تاريخها إلى آلاف السنين مع تعلم الإغريق والتقاليد العرقية والدينية الأخرى. ومن بين هذه التقاليد الأخرى كانت اليهودية. بحلول القرن الأول الميلادي، قام المفكرون اليهود المتدينون بدمج النهج الأفلاطوني مع نهج العهد القديم أو الكتاب المقدس العبري، مشيرين إلى أن خلق العالم كان متأثرًا بشخصية ديميورجية وليس بشكل مباشر من يهوه (يِهْوَڤَ).

لقد كانت ضربة العبقرية من جانب الغنوصيين هي فهمهم للديميورج باعتباره شخصية خبيثة أو جاهلة وليس الحرفي الخيري الذي صوره أفلاطون. كان الديميورج هو خالق العالم المادي. كان العالم المادي (وما زال) مليئًا بالألم والمعاناة والمرض والحرب والوحشية. وعلى النقيض من العالم المادي، كان العالم الروحي نقيًا وغير ملوث. وكان عالم الله عالم الروح.

ولكن ماذا عن يهوه، إله المسيحيين واليهود؟ وفقًا للغنوصيين، فإن الله تصرف في جميع أنحاء الكتاب المقدس مثل مستبد تافه - مثل الإله القبلي الذي كان عليه ذات يوم. لا يمكن أن يكون هذا الإله الغيور هو الإله المتعالي المحب للروح. لذلك فإن إله الكتاب المقدس لابد وأن يكون هو الديميورج الجاهل الخبيث. ومع ذلك، إذا كان البشر قادرين على فهم وتجربة شيء من الروح، فهذا يعني أنهم يمتلكون شرارة من الروح في أنفسهم. ومن خلال هذه التأملات، وربما الوحي، طور الغنوصيون أسطورة تشرح وضع البشرية والعالم.

الخلق الغنوصي...

في البداية لم يكن هناك سوى الإله الحقيقي، الواحد. لقد سعى إلى معرفة نفسه، وكنتيجة طبيعية لهذه العملية - لرؤية نفسه كما لو كان في مرآة أو بركة ماء - انبثق منه كائن إلهي ثان. ومن ذلك الكائن ظهرت المزيد من الانبعاثات الإلهية (التفاصيل كثيرة ومتنوعة) حتى ظهر عالم سماوي من الانبعاثات الإلهية يعرف باسم بليروما (الإمتلاء)، أي ملء الله. إن آخر هذه الانبعاثات، والتي غالبًا ما تسمى صوفيا ("الحكمة")، كانت تسعى إلى الاستكشاف خارج بليروما (الإمتلاء) (مرة أخرى، الخيارات كثيرة) ونتيجة لذلك سقطت. في سياق ذلك، أنجبت الديميورج، المعروف غالبًا باسم إلداباوث، الذي سعى إلى خلق العالم المادي، وبالتالي البشرية، في نوع من التقليد الأحمق لبليروما (الإمتلاء) السماوي الذي لم يره بشكل مباشر من قبل. نتيجة لسقوط صوفيا، أصبح جزء من بليروما (الإمتلاء) محاصرًا في العالم المادي. حاول إلداباوث خلق آدم، كما فعل يهوه في سفر التكوين، لكن آدم لم يتمكن من الوقوف منتصبًا حتى تم خداع الديميورج لإدخال شرارة من روح بليرومية (الإمتلاء) داخل كل إنسان.

الروح كانت محاصرة في المادة. ولكن كان هناك مخرج. لقد نزلت كائنات من البليروما (الإمتلاء) على مر التاريخ في أوقات حاسمة لتكشف الحقيقة للبشرية، وكان أشهرها يسوع. يمكن التعرف على الشرارة الموجودة داخل كل إنسان، واستعادتها وإعادتها في النهاية، عند الموت، إلى البليروما (الإمتلاء). ويتم ذلك من خلال معرفة حال الإنسان، ومعرفة الشرارة الإلهية في الإنسان، من خلال الغنوص.

هذه هي الخطوط العريضة للأسطورة الغنوصية النموذجية. لا توجد نسختان متطابقتان لهذه الأسطورة - لا في العشرات من الكتب المقدسة الغنوصية التي وجدت في مصر في نجع حمادي عام 1945 أو في الروايات التي تركها آباء الكنيسة. ومن هذه الحقيقة الأخيرة تنبع القضية الشائكة المتمثلة في الغنوصية. منذ منتصف تسعينيات القرن العشرين، بدأ الأكاديميون يشعرون بأن أقرانهم وأسلافهم قد اختلقوا دينًا مصطنعًا من هذه الكتب المقدسة والروايات الآبائية الجدلية وأطلقوا عليه اسم الغنوصية. كان من الممكن عزل عدد من خصائص هذا الدين - ديميورج جاهل أو شرير، انبعاثات، صوفيا، أركونات شيطانية ساعدوا الإله الكاذب، وما إلى ذلك. ولكن عند الفحص الدقيق لم نجد نصًا واحدًا يحتوي على كل هذه الميزات. ولم يشر المؤلفون في أي من هذه الكتب المقدسة إلى أنفسهم أو مجتمعاتهم باعتبارهم غنوصيين.

السيثيون والفالنتينيون

في الدراسات القديمة، كان هناك الكثير من الاختلافات بين الشرق والغرب.

الغنوصية الغربية. كان الأول من النوع "الإيراني"، وكان له تأثير زرادشتي واضح في ازدواجيته المطلقة. وكان الأخير هو الغنوصية الإسكندرانية التي نعرفها من آباء الكنيسة.

كانت المجموعتان الرئيسيتان من الغنوصيين معروفتين باسم السيثيين والفالنتينيين. كانت الشخصية المنقذة المركزية للسيثيين هي سيث، الابن الثالث الغامض لآدم وحواء، والذي ولد بعد قابيل وهابيل. كانوا يعتقدون أن يسوع هو مظهر من مظاهر سيث. كان السيثيون أكثر ثورية من المجموعتين، وكان لديهم موقف أكثر عدائية تجاه الكتب المقدسة اليهودية، وكانوا مختلفين بشكل ملحوظ عن المسيحية الكاثوليكية البدائية.

ومن ناحية أخرى، كان الفالنتينيون أكثر تصالحًا مع إخوانهم المسيحيين. إنهم يقرؤون الكتاب المقدس مجازيًا بدلاً من عكس المعنى المقبول لبعض المقاطع، كما فعل السيثيون. سُميت جماعة الفالنتينية على اسم مؤسسها فالنتينوس، وهو رجل إسكندراني متعلم يتحدث اليونانية ويُقال إنه ترشح لمنصب أسقف روما، وهو المنصب الذي يُعرف الآن باسم منصب البابا.

إن السيثيين هم الذين سيكونون محل اهتمامنا بشكل رئيسي فيما يتعلق بالمندائيين، ولكننا سوف نكتشف صلة فالنتينية واحدة، غريبة. سيتم مناقشة شخصيات ومجموعات أخرى قد تكون مرتبطة بالغنوصية، مثل سمعان الساحر ودوسيثيوس، فيما يتعلق ببيئة المعمودية للمندائيين في القرن الأول.

يبدو من غير المحتمل أن يكون الفالنتينيون قد أشاروا إلى أنفسهم على أنهم غنوصيون على وجه التحديد، في حين أن السيثيين ربما استخدموا هذا الوصف (على الرغم من عدم وجوده في أي من كتاباتهم التي نمتلكها: لا يزال هذا هو المصطلح الذي يستخدمه أعداؤهم إلى حد كبير). في أعقاب كل هذا التفكيك للفئات العلمية، هناك ميل متزايد لاستخدام الغنوصية فقط للسيثيين. ومع ذلك، لا يزال العديد من العلماء يجدون أن مصطلحي الغنوصيين والغنوصية لهما معنى. أنا لست أكاديميًا ولا أشعر بنفس الحاجة إلى التصنيف الدقيق. وهكذا، بالنسبة لي، فإن الغنوصية هي "أشياء كان الغنوصيون القدماء يفعلونها". أنا لا أطلب تكافؤًا دقيقًا للهوية بين الجماعات الغنوصية المختلفة، ولا أملك قائمة مرجعية بالسمات المطلوبة للعضوية في شراكة الكنائس الغنوصية. إن فكرتي عن الغنوصية تتميز بتشابه النموذج مع الغنوصيين القدماء، بالإضافة إلى إمكانية النقل التاريخي، ولكن قبل كل شيء بذوق معين، وموقف معين تجاه الدين والروحانية.

هل المندائية غنوصية؟

أرى أن الغنوصية ليست شيئًا منظمًا بشكل صارم لا يمكن اعتبار الغنوصية مجرد فئات، بل هي عبارة عن شبكة من العقد المترابطة، حيث تشترك كل عقدة في سمات مشتركة مع جيرانها، ولكنها لا تحتاج بالضرورة إلى تحديد عدد من المربعات المطلوبة للتأهل للحصول على علامة التعريف الغنوصية. ومع ذلك، هناك الكثير من التداخلات بين المندائيين والجماعات الغنوصية الأخرى، سواء في التوجه العام أو في التفاصيل، بحيث أنه ليس من غير المنطقي أو غير الدقيق أن نطلق على المندائيين لقب الغنوصيين وأن نقول إن الديانة المندائية هي شكل من أشكال الغنوصية. وأود أن أضيف أن أحد أبرز الخبراء في المندائية لا يجد صعوبة في تسمية المندائيين بالغنوصيين. عندما أجريت مقابلة عبر البريد الإلكتروني مع جورون باكلي، سألتها: "هل للتفكيك الأكاديمي المعاصر لفئة الغنوصية أي تأثير على كيفية إدراكك وتصنيفك للدين المندائي؟" وكان ردها ببساطة: "لا شيء على الإطلاق".

على الرغم من أن المندائية لديها تسلسل هرمي من الأوثريين الذين شاركوا في الخلق، إلا أنه لا توجد شخصية واحدة تعكس نوع الديميورج الجاهل الموجود في كتابات السيثيين. الحياة الثانية، والحياة الثالثة، والحياة الرابعة تجمع بين ميزات الأيونات الغنوصية مع ميزات الديميورج. روحا هي الشخصية الشريرة الأكثر شهرة، لكنها تنتمي إلى الظلام وليست مشاركة حقًا في تشكيل العالم. ولعل نسبة هذه الصفة إلى آدم تدل على نوع من الانزلاق في استيعاب الأفكار السيثية أو غيرها التي واجهها المندائيون واستوعبوها في مخططهم الأسطوري الخاص. مالكا دهشوكا هو ملك الظلام الذي يولد نفسه ويخرج من الماء ثم يخلق الشياطين والمخلوقات الشريرة الأخرى. يشير رأسه الأسدي إلى أصل مشترك مع الأسد إلداباوث، إلا أنه في الواقع ليس لديه مثل هذا الدور الديمورجي. لا يمكن أن يكون هناك تفسير منهجي لكل من هذه التفاصيل العرضية ولكنها تؤدي إلى تشابه عائلي.

ويظهر تشابه أكبر في رواية خلق الإنسان على يد بتاهيل في كتاب كنزا. يخلق بتاهيل آدم لكن آدم لا يستطيع الوقوف وبدلاً من ذلك يتلوى على الأرض مثل الدودة. توجد هذه الصورة الدقيقة في

عدد من الكتابات الغنوصية، كما استخدمها البوغوميليون والكاثاريون في العصور الوسطى.

من المفهوم أن الجوانب الغنوصية في المندائية كانت موجودة منذ وقت مبكر. باستثناء المانوية التي تناولناها، لم يكن التأثير الغنوصي واسع الانتشار بعد القرنين الثاني والثالث، وكان يتضاءل بشكل كبير في القرن الرابع، وفي منتصفه تقريبًا تم دفن اثني عشر جرارًا تحتوي على مخطوطات غنوصية في نجع حمادي في مصر. باستثناء المندائيين أنفسهم، لا يُعرف عن أي ناجين غنوصيين آخرين بعد تلك الفترة، باستثناء بعض الأمثلة الغريبة المعزولة.

علاوة على ذلك، هناك القليل مما يشير حاليًا إلى وجود علاقة تبعية بين السيثيين والمندائيين. من المرجح أن يكون أي تشابه ناتجًا عن أصول مشتركة. أو هكذا يبدو. وربما لو تقدمت الدراسات المندائية بشكل كبير فقد نكتشف أنها أصل الغنوصية القديمة. من يستطيع أن يجزم؟ إن تاريخ الطوائف الغنوصية غير معروف بشكل جيد ومعظمه مجرد تخمينات. كان المشاركون أكثر اهتمامًا بالسعي إلى فهم المعنى الداخلي للكتاب المقدس (فالنتينيون) أو فهم تاريخ خلاص البشرية (سيثيون) من تسجيل تطورهم التاريخي الخاص. عادةً ما تقدم لنا الكتابات الغنوصية قدرًا كبيرًا من المعلومات حول ما اعتقدوا أنه أهمية خلق الإنسان وجنة عدن، وقليلًا عن الآباء، وجزءًا كبيرًا عن التعاليم الباطنية ليسوع بين قيامته وصعوده.

تجاوز التاريخ

تم تسجيل الأسطورة الوطنية للمندائيين في كتاب "حران كويثا"، الذي يقدم تاريخًا خطيًا، وإن كان غريبًا، لتطور الشعب المندائي. إنه ليس تاريخًا بالمعنى الحديث للكلمة (ولم يكن ليفي أو تاسيتس أو سويتونيوس ليمنحوه هذه المكانة أيضًا). وفي حالة السيثيين والفالنتينيين وغيرهم، لدينا شهادات خارجية في صفحات آباء الكنيسة، ولكن هؤلاء الصيادين للبدعة لم يكونوا شهودًا محايدين؛ وكان هدفهم الرئيسي في كتابة أعمال مثل "ضد كل الهرطقات" (إيرينيئوس) هو تشويه سمعة الغنوصيين تمامًا.

ومن ناحية أخرى، كانت المسيحية السائدة الناشئة عازمة تمامًا على تحديد تاريخ أصولها. من بين كتب العهد الجديد، من المرجح أن تكون رسائل بولس الأصلية هي الأقدم بين كل الكتابات، كما أن مرقس هو الأناجيل الأقدم، يليه إنجيل متى، ثم إنجيل لوقا، ثم إنجيل أعمال الرسل، ثم إنجيل يوحنا. ولكنها ترد حسب الترتيب التالي: متى، مرقس، لوقا، يوحنا، أعمال الرسل، رسائل بولس، رسائل أخرى، رؤيا يوحنا. وهكذا يرسم الكتب المقدسة المسيحي صورة واضحة لتطور المسيحية - وهي صورة تتعارض مع تاريخ تطور الكتب المقدسة نفسها! وكما سنرى لاحقًا، فإن محاولات إثبات الهوية التاريخية ليسوع ومشاكل الأصول المسيحية أدت إلى نظريات متباينة إلى حد كبير، على الرغم من أن هذا لا يعني أن قصص الأناجيل نفسها - عن الرحلة من المهد إلى اللحد، أو من المذود إلى القبر الفارغ، أو من الكلمة السابقة (اللوغس) إلى صعود ابن الله - يمكن أخذها حرفيًا، إلا إذا كنت مسيحيًا إنجيليًا.

لذا فإن أي محاولة لتتبع تاريخ طائفة غنوصية من خلال نسخ القرن الرابع من كتبه المقدسة وخطب آباء الكنيسة التي يعود تاريخها إلى القرنين الثاني والثالث قد تساعد أو لا تساعد من خلال الدراسات اللاحقة، أو الأفضل من ذلك، من خلال اكتشاف الكتابات الغنوصية المفقودة وغيرها من الأدلة الوثائقية. ومع ذلك، وكما هو الحال مع المندائيين، فهذا لا يعني أنه لا ينبغي محاولة إعادة بناء تاريخ الغنوصيين.

لغز سيثياني

سيث شخصية غريبة. ربما لا يعرف معظم المسيحيين اليوم أن سيث كان موجودًا. إذا كان تعليمي الديني المبكر هو المعيار، فإذا سئل الناس من هم أبناء آدم وحواء، فإن معظم الناس سيجيبون "قابيل وهابيل". على الرغم من الإشارة القصيرة إلى سيث في الكتاب المقدس، إلا أنه ألهم تقليدًا تأمليًا وروحيًا واسع النطاق في اليهودية والمسيحية وأديان أخرى مثل الغنوصية والمانوية والمندائية الخاصة بنا. كان شخصية مهمة في الأدب اليهودي غير التقليدي في نفس الفترة تقريبًا (القرون الأولى الميلادية)، وتم تضخيم قصة حياته وأهميتها وتوسيعها في الأدبيات اليهودية غير التقليدية والحاخامية. تحتوي النصوص السيثية على عبارات تشير إلى "عرق" أو "جيل" سيث. أطلق السيثيون على أنفسهم اسم "العرق الثابت"، أو "نسل سيث"، أو "أبناء سيث".

في الأساطير السيثية، أول ظهور للإله الأب هو شخصية الأم باربيلو. ثم يأتي بعد ذلك ابن يُدعى أوتوغينس، "المولد ذاتيًا"، والذي يُنيره أربعة ملائكة - هارمزيل، و أورووييل، و داويثاي، وإيليليث. في الكتابات الشيثينية، غالبًا ما يُطلق على الخالق اسم إلداباوث أو ساكلس أو نبرويل وعادةً ما يتم التعرف عليه بالإله اليهودي.[1] في المندائية لا توجد شخصية إلهية أنثوية مماثلة: ربما كان الأوثري ذكرًا وأنثى، لكن كل من القوى المذكورة هي ذكورية. الشخصية الأنثوية الأكثر شهرة في الأساطير المندائية هي روحا، والوجود الشعبي لشخصيات وثنية مثل عشتار وليليث (الشياطين الإناث) ربما يشير إلى أن الجوع إلى الأنثى الإلهية أو الأسطورية كان لا بد من تلبيته في مكان آخر، من خلال الذكريات الشعبية للدين البابلي.

كان السيثيون يقيمون المعمودية وكانت أسرارهم تُعرف باسم الأختام الخمسة. اقترح جون تيرنر، وهو أكاديمي وخبير رائد في شؤون السيثيين، أنهم ربما نشأوا، مثل المندائيين، كـ"طائفة معمودية غير مسيحية في القرون الأولى قبل الميلاد وميلاد المسيح" على غرار تلاميذ يوحنا المعمدان، أو الإسينيين. تحتوي مخطوطات البحر الميت على أدلة على وجود طائفة يهودية (ربما ولكن ليس بالضرورة طائفة الأسينيين) ذات صفات ثنائية (الظلام مقابل النور) والتي سحبت دعمها من معبد أورشليم. من الممكن أن يكون العنصر العكسي في السيثيانية نشأ من عملية مماثلة قام بها اليهود الذين رفضوا ليس فقط الإيمان اليهودي المركزي، بل رأوا في اليهودية نفسها أداة للديميورج.

لا بد أن هؤلاء الشيثيين الأوائل قد نظروا إلى آدم وسيث باعتبارهما شخصيتين إلهيتين كاشفتين وكانوا يتطلعون إلى العودة الرؤيوية لسيث في المستقبل القريب. لا يحتوي نص السيثيين "رؤيا آدم"،

الذي يعود تاريخه إلى القرن الثاني أو قبل ذلك، على أي سمات مسيحية محددة على الإطلاق. في المرحلة الثانية من التطور، تم ربط سيث بالمسيح في العقود الأولى من المسيحية عندما اتصلت المجموعات المسيحية والسيثية مع بعضها البعض.

وهكذا تطور السيثيون إلى شكل من أشكال الغنوصية المسيحية وانضموا إلى الحركات المسيحية المتنوعة في ذلك الوقت، وفي هذا الوقت تعرضوا للهجوم من قبل إيرينيئوس. ولكن مع تزايد قوة الكنيسة الرسولية الأولى ومعاييرها، أُجبرت الجماعات غير التقليدية مثل السيثيين على الخروج، وربما رفض السيثيون أنفسهم العناصر المسيحية في أنظمتهم. يرى تيرنر مرحلة أخرى حيث ابتعد السيثيون عن مجتمع المسيحية السائدة، ثم تحولوا نحو التركيز الأفلاطوني وتماهوا مع التيار الفلسفي الكلاسيكي، مما أدى في النهاية إلى رفضهم مرة أخرى - ولكن هذه المرة من قبل الأفلاطونيين السائدين مثل الأفلاطونية المحدثة أفْلُوطين. يقترح تيرنر أن هذا الرفض الإضافي أدى إلى تجزئة السيثيانية إلى مجموعات مختلفة مثل الأوديانيين والبوربوريين والأركونيين والفيبونيين، والتي نجا بعضها حتى أوائل العصور الوسطى. على حد تعبير تيرنر:

> ولكن من الواضح في السيثيانية أن باربيلو كانت شخصية أم متعالية تقريبًا وتعمل بشكل أو بآخر كزوجة للإله الأعلى، الروح غير المرئية. ثم لإكمال الثالوث لدينا شخصية الطفل الذي يولد من تلقاء نفسه، وهو شخصية مثيرة للاهتمام للغاية لأن هذه هي الشخصية التي يتم فيها التعرف تدريجيًا على شكل غير تقليدي من التكهنات اليهودية مع المسيح مع تحول التقليد السيثي إلى مسيحي، أي أنه يدخل في الأساس في علاقة ما مع المسيحيين.

على أية حال، أحاول أن أقترح أن هذا ربما حدث على خمس أو ست مراحل تقريبًا، بحيث تبدأ إذن بهذه المجموعة، الذين - لست متأكدًا مما إذا كانوا على دراية تامة بهوية يهودية مميزة - لكنني أعتقد أنهم نشأوا بالتأكيد من تلك البيئة العامة للعبادة في الهيكل السماوي، والتي تفسر حدوث الكثير من أعمال الرؤية وأعمال التسبيح الديني الذي يحدث في وثائق شيثيان المختلفة. [2]

يمكن تلخيص المراحل التي يشير إليها تيرنر على النحو التالي:

1. نشأ السيثيون في القرن الثاني الميلادي كدمج بين مجموعتين متميزتين تم تحديدهما على أنهما البربلويون والسيثيون، ويمكن تسمية كل منهما بمجموعة يهودية غنوصية بدائية.

2. يأتي البربلويون لينظروا إلى المسيح باعتباره الابن الإلهي، أو أوتوغينس، وهكذا يدخلون في منتصف القرن الثاني الميلادي إلى حظيرة المسيحية، وإن كان ذلك على أوسع نطاق.

3. اندمج البربلويون والسيثيون في أواخر القرن الثاني. والآن يُنظر إلى كل من سيث والمسيح على أنهما "حاملان بديلان للصورة الحقيقية لله الذي ظهر مؤخرًا في العالم كـ لوغس لإنقاذ يسوع من الصليب". [3]

4. أصبحت هذه الحركة المسيحية السيثية منفصلة عن المسيحية تدريجيًا، وهو ما يشير إليه الجدل

ضد المسيحيين الآخرين والذي يمكن العثور عليه في أعمال السيثيين.

5. بحلول القرن الثالث الميلادي، تم رفض مذهب الشيثية من قبل علماء الهراطقة والكنيسة الرسولية أو ما يسمى بالكنيسة الكاثوليكية. تمسك السيثيون المرفوضون بالأفلاطونية، التي ساهمت بالفعل في بناء أسطورتهم.

6. انفصلت الشيثية في أواخر القرن الثالث عن أفلاطون بدورها عندما هاجمها فلوطين. تنقسم الحركة السيثية إلى عدة مجموعات، والتي ربما نجت لعدة قرون بأعداد صغيرة في مجموعة متنوعة من المناطق.

في حين أن فلسطين هي الموقع الواضح لأصل السيثيين، فإن مصر هي احتمالية أيضًا. كان سيث أو ست إلهًا مصريًا، وكان مرتبطًا أحيانًا بالشعب اليهودي. ومع ذلك، فإن سيث الغنوصي مشتق في المقام الأول من التقاليد اليهودية.

اعتبر السيثيون أنفسهم "عرقًا" منفصلًا. ولكن على عكس الشعب اليهودي أو العبري، الذي فسروا كتبه المقدسة بطريقة مختلفة تمامًا، فإن "نسل سيث" أو "الجنس الثابت" لم يكن مجموعة تحدد هويتها على أساس العرق. وكما هو الحال مع ما يسمى بالمسيحية السائدة، وخاصة في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني، فقد قامت بتجنيد أعضاء من خلفيات متنوعة. وقد اقترح بعض العلماء، مثل أبريل ديكونيك، أن السيثيين ربما نظموا أنفسهم كمحافل وليس كنائس - وهو شيء أشبه بأنشطة الماسونيين أو الثيوصوفيين وليس كنيسة كاملة مع تسلسلها الهرمي ومشاركتها الأكبر في الحياة الأسرية والشؤون اليومية.

يرى جون تيرنر أن البربلويين هم مؤسسو الأختام الخمسة للمعمودية. إن الأصل النهائي الذي يقترحه هو التطهيرات الكهنوتية لمعبد أورشليم. ولعل البربلويين، مثل مجموعة مخطوطات البحر الميت ومجموعات الحكمة اليهودية، انسحبوا من الهيكل في القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد. هل يمكن لهذه الحركات اللامركزية المستقلة أن يكون لها أي علاقة مشتركة مع الصابئة المندائيين؟ هناك في الواقع عدد من الروابط بين المندائيين والسيثيين.

الصلات السيثية-المندائية

ويشير تيرنر إلى التشابه بين تسلسل الأفعال في معمودية المندائيين والأختام الخمسة في نص نجع حمادي بروتينويا ثلاثية الأشكال. تتكون هذه من "الدخول إلى الأردن، والغمر الذاتي ثلاث مرات، والغمر الثلاثي من قبل الكاهن، والإشارة الثلاثية بالماء، والشرب الثلاثي، والتتويج، واستدعاء الأسماء الإلهية، والمصافحة الطقسية، والصعود من الأردن". [4] وفقًا للجغرافي المسلم ياقوت الذي عاش في القرن الثالث عشر، والذي كتب في حوالي عام 1223، كان هناك صابئة في مدينة تيب يتحدثون اللغة النبطية ويقدسون سيثًا، الذي قيل إنه عاش في المدينة في العصور القديمة. اعتبروا أنفسهم من نسله. لقد اعتنق هؤلاء الصابئة الإسلام. ترتبط تيب أيضًا بكاتبين مندائيين، راموي

القرن السابع وسغاندا في القرن السادس، والمعروفان من خلال بيانات مخطوطات المندائيين، مما يشهد على استمرار الوجود المندائي في المدينة. ذُكرت كلمة تيب في حران كويثا. [5]

في إنجيل يهوذا ونصوص سيثية أخرى، غالبًا ما يتم وصف الكيانات

كأنها داخل سحابة، وهو شكل من أشكال الوصف الذي له صدى في حران كويثا المندائية عندما يذهب أوثرا أنوش إلى أورشليم مرتديًا السحاب. يظهر إنجيل يهوذا نبرة ساخرة تجاه الهيكل، والتي لها نظيرتها في مخطوطات البحر الميت وفي الكتب المندائية يُقال أن الهيكل قد دُمر نتيجة لتأثير روحا و أدوناي.

يظهر الديميورج الذي يتفاخر بخلقه عدة مرات في الكتابات الغنوصية الباقية. إن سفر يوحنا المنحول هو مثال بارز، حيث يتكلم صموئيل بنسخة منحرفة من كلمات سفر التكوين ويقول: "أنا إله غيور" (إشعياء 56: 5-6 وأماكن أخرى). وهذا موجود أيضًا في كتاب مندائي، وهو "ألما ريشايا ربا"، لكن المتحدث هو آدم، الذي لم يكن على علم في البداية بوجود أي كائن سابق أو أعلى منه:

> ثم نهض وجلس عند نبع الأوهام الباطلة وقال: *"أنا ملك لا نظير له؛ أنا سيد العالم كله"*
> ... ثم سجد وألقى بنفسه على وجهه وقال: *(إن لم يكن هناك أحد أسمى أو أعظم مني فمن أين يأتي هذا النهر من الماء الحي، المياه البيضاء التي تأتي بلا حدود ولا عدد؟)* [6]

ولكن آدم افتدي بإدراكه أن الماء الحي يأتي من فوق. فيعترف بأن الذي يرسل الماء أعظم منه ويطلب أن ينظر إلى صورته.

روابط غنوصية أخرى

هناك أوجه تشابه أقل بين الفالنتينيين والمندائيين، على الرغم من أن صيغة الفالنتينيين "أنا إناء ثمين" يرى بعض العلماء أنها مرتبطة ارتباطًا قويًا بالصيغة المندائية "أنا مانا الحياة العظيمة"، والتي لها نفس المعنى وتستخدم لبدء العديد من الترانيم.[7] وعلى الرغم من أنه قد يبدو تشابهًا عرضيًا، إلا أنه نوع الصيغة التي تثير إعجاب العلماء. كانت هناك كنيسة فالنتينية في كالينيكوم بالقرب من نهر الفرات، مما يؤكد وجود فالنتينيين يعملون في بلاد ما بين النهرين. [8]

يحتوي كتاب يوحنا في عدة مواضع على عبارة "من بين الآلاف وجدت واحدًا، ومن بين الأجيال اثنين على الأكثر"، والتي قد تكون مألوفة لبعض القراء من إنجيل توما: "أختارك واحدًا من بين ألف واثنين من بين عشرة آلاف". [9] وفي هذه الحالة يبدو من الأرجح أن مؤلف كتاب يوحنا كان يعرف هذا القول من التقليد الشفوي أو من إنجيل توما نفسه، وليس أن المندائيين ورثوا هذه العبارة من مؤلف إنجيل توما. من غير المرجح أن يكون إنجيل توما غنوصيًا في حد ذاته، ولكنه كان موضع تقدير من قبل الغنوصيين، كما يشهد على ذلك وجوده في المخطوطة الثانية من مكتبة نجع حمادي، إلى جانب كتابات سيثية وفالنتينية. كان من الممكن أن يشعر المندائيون الأقلية بسهولة أنهم بالكاد يشكلون اثنين من أصل عشرة آلاف.

هناك أوجه تشابه عائلية أخرى مع الكتابات الغنوصية خارج عالم الشيثيين. تحكي "ترنيمة اللؤلؤة" قصة مهمة أمير شاب لاستعادة لؤلؤة يحرسها ثعبان في أرض بعيدة. يغادر قصر أبيه في بارثيا ويخلع رداءه النوراني ويسافر إلى مصر. ينسى الأمير مهمته وينغمس في حياة البلد الغريب، ويجب إرسال رسالة له لتذكيره بغرضه. ثم نجح في هزيمة الثعبان، واستعاد اللؤلؤة، وعاد إلى أرضه وارتدى ثوبه العجيب. وعندما تنتهي القصة - حيث تُروى بضمير المتكلم - فإنه على وشك مقابلة ملك الملوك. لأن بارثيا هي موطن الأمير ومصر هي العالم الساقط، ويبدو أن تعاطف المؤلف يكمن في الشرق، ربما قبل صعود الساسانيين إلى السلطة بعد سقوط الإمبراطورية البارثية. ولكن لا يوجد شيء صريح يتعلق بالزرادشتية في هذه القصيدة، مما يشير إلى أن "ترنيمة اللؤلؤة" قد كُتبت في سياق دين آخر. نحن نعرف "ترنيمة اللؤلؤة" بسبب إدراجها في أعمال توما، وهو عمل من القرن الثاني الميلادي له صلات قوية بالمسيحية السورية: بينما كان الرسول توما في السجن، كان يغني "ترنيمة اللؤلؤة". ولكن لا يوجد شيء مسيحي محدد فيها على الإطلاق.[10] وقد اقترح البعض أنه قد تكون مانويَّة، ولكن لا يوجد ما يوحي بذلك أيضًا. ولا يوجد فيها، للأسف، أي سمات مندائية أو شيثية أو فالنتينية. بغض النظر عن أصولها، فإن "ترنيمة اللؤلؤة" تعمل كأسطورة غنوصية ذات غرض عام. لفترة طويلة كان التركيز على "ترنيمة اللؤلؤة" غربيًا، بعد اكتشافها في أعمال توما غير القانونية، لكن الباحث الإسلامي كارل إرنست أظهر أنها كانت معروفة جيدًا في الإسلام، وقد نجت في عدة لغات، بما في ذلك العربية والفارسية والتركية والأردية. وهناك أيضًا أصداء لموضوع الترنيمة في الأدب الصوفي الإسلامي. تظهر عناصر مثل الرسالة من العالم الأعلى التي تستدعي البطل إلى التذكر (المعروفة باسم "الدعوة" في الغنوصية)، و"رداء المجد" و"اللؤلؤة" على نطاق واسع في الأدب المندائي.

ما الذي صنع المندائية؟

هناك عدد من العوامل التي ساهمت في التكوين الديني العام للمندائية. بعضها سهل الشرح. إن وجود الآلهة الكوكبية البابلية وعلم التنجيم في المندائية يرجع بشكل مباشر إلى تأثير الوثنية البابلية على المندائيين خلال قرونهم في بلاد ما بين النهرين قبل الفتح الإسلامي. وبالمثل، فإن أي عناصر زرادشتية ترجع إلى قرب المندائيين من الزرادشتية المتجددة التي كانت تمثل الديانة الساسانية الرسمية.

ويثار الجدل حول وجود العناصر المعمودية واليهودية من جهة، والغنوصية من جهة أخرى. إن المعمودية، كما رأينا، لها مصدران محتملان: الأول هو الممارسة البابلية، والثاني هو الطوائف اليهودية المعمودية في القرن الأول، والتي يدعي المندائيون أنهم ينتمون إليها، وإن كان ذلك في كثير من الأحيان بطريقة عدائية. في الأساطير والتاريخ المندائيين كان يوحنا المعمدان هو الذي قام بإصلاح وتجديد ممارسات المعمودية هذه، لكن وجودها يعود إلى آدم.

ومن الغريب أن العنصر الغنوصي هو الذي يعتبر الجانب الأكثر غموضاً، على الرغم من قبوله على

نطاق واسع. لقد رأينا أن هناك تشابهاً بين معتقدات المندائيين ومعتقدات الغنوصيين، كما ورد في نصوص مكتبة نجع حمادي وآباء الكنيسة، ولكن ما هي طبيعة تلك التشابهات؟ لا يظهر يوحنا المعمدان على نطاق واسع في مكتبة نجع حمادي، باستثناء عدد قليل فقط. ما هي العلاقة المحتملة بين الغنوصيين ويوحنا المعمدان؟

الفصل الحادي عشر

طوائف، طوائف، طوائف

إن أثر الكتبة المذكور في قوائم النساخ في نهاية المخطوطات المندائية قد توقف في أواخر القرن الثاني. ولا توجد أيضًا أي روايات معادية عن المندائيين الذين يعود تاريخهم إلى القرن الثاني الميلادي، على الرغم من أننا لا نستطيع استبعاد إمكانية اكتشافات جديدة تنتظرنا. ومن المثير للدهشة أن آباء الكنيسة، الذين انتقدوا أي طائفة أو حركة أعلنت هرطقتها، لم يذكروا المندائيين. ربما كان هذا إغفالاً، ولكن ربما يشير إلى أنهم في تلك المرحلة أصبحوا غير مرئيين لآباء الكنيسة الغربية.

ومع ذلك فقد رأينا أن المخططات والتكهنات الأسطورية للمندائيين تتناسب بسهولة مع بيئة الغنوصيين. وهكذا أيضًا يؤكدون على أهمية المعمودية باعتبارها سرًا مقدسًا. على الرغم من أن الأدلة على الغنوصية الحقيقية تبدأ في أوائل القرن الثاني، فقد رأينا أيضًا أنه من المحتمل جدًا، وحتى من المرجح، وجود جماعات غنوصية في القرن الأول. فهل يمكننا أن نرجع تاريخ المندائيين إلى القرن الأول الميلادي؟ الجواب نعم. تعتبر ممارسات المعمودية المندائية نموذجية تمامًا للطوائف المعمودية اليهودية في القرن الأول.

من القوقيين إلى الإلكاسيين

يمكن اعتبار المندائيين جزءًا من عالم ديني يهودي متباين يضم العديد من الطوائف غير التقليدية، ومن أبرزها الإسينيون. في عام 554 ارتكب رجل مندائي اسمه قيقل بدعة - بتحريض من روحا، حسب القصة. تميزت البدعة بالعودة إلى التقاليد اليهودية أو تبنيها.[1] وتعتقد باكلي أن البدع المنسوبة إلى قيقل هي ذكرى للتأثير القوقيتي. كان القوقيون طائفة يهودية مسيحية غامضة للغاية. مثل غيرهم من أمثالهم، فقد حافظوا على الشريعة اليهودية ولكنهم آمنوا بالمسيح باعتباره المسيا مع فهم متواضع للمسيح - أي أنهم فهموا يسوع باعتباره نبيًا أكثر منه ابن الله بأي معنى إلهي. كان اسم مؤسسهم المفترض في القرن الثاني الميلادي هو "قوق"، والذي يعني "إبريق" أو "وعاء". فضّل القوقيون العهد القديم على العهد الجديد، وركزوا كثيراً على التلاميذ الإثني عشر، حيث ارتبط كل واحد منهم بأحد الأنبياء الإثني عشر وإنجيل محدد. تشير الأدلة إلى أنهم كانوا لا يزالون موجودين في سوريا في القرن السادس.

لقد صادفنا الإلكاسيين من قبل، عندما نظرنا إلى التأثير المندائي على الديانة المانوية. لقد رأينا أن

العلماء اعتقدوا في البداية أن مؤسسهم ماني نشأ بين المندائيين (وهذا قد يكون صحيحًا، لأنه يوجد بالتأكيد دليل على تأثير المندائيين على المانويين، وربما على ماني أيضًا)، لكن ماني نشأ بين الإلكاسيين.

يرجع اسم الإلكاسيين إلى مؤسسهم إلكاساي، الذي بدأ التدريس في نهاية القرن الأول. وفقًا لأب الكنيسة هيبوليتوس الرومي، وهو عالم بدعة من القرن الثالث، أعلن إلكاساي نفسه نبيًا في عام 101 م، السنة الثالثة من حكم الإمبراطور تراجان. وقد أوضح أحد آباء الكنيسة اللاحقين، أبيفانيوس، أن اسم إلكاساي (الذي يُهجَّأ أيضًا إلكاساي وإلكساي) يأتي من الكلمة الآرامية "هيل كيساي"، والتي تعني "القوة الخفية". وهذا يشير إلى نوع من الارتباط بسمعان الساحر الذي كان يُطلق عليه، وفقًا لسفر أعمال الرسل، لقب "قوة الله العظيمة" (أعمال الرسل 8: 10). (سوف نلتقي بسمعان مرة أخرى قريبًا لأنه قد يوفر حلقة مفقودة بين يوحنا المعمدان والطوائف الغنوصية.) قد يشير مصطلح "القوة الخفية" إلى أن إلكاساي رأى نفسه تجسيدًا أو مظهرًا لله أو أعلى قوة إلهية.

وكتب إبيفانيوس أن إلكاساي انضم إلى الأبيونيين[2] وأنه في عهد تراجان انضم إلى "الأوسينيين" أو "الأوسين". وفقًا لإبيفانيوس، كانت هذه طائفة معمودية يهودية مبكرة، ويبدو من المعقول أن نربطها مع الأسينيين. إن إبيفانيوس ليس متحيزًا وغير موثوق به فحسب، بل إنه يكتب أيضًا بعد قرنين من حياة إلكاساي. ولكن من الجدير بالملاحظة أن هذه التقاليد المتأخرة حول الطوائف اليهودية المعمودية في القرن الأول تستمر في الانزلاق إلى هذه الأخاديد المألوفة، مثل الجاذبات الغريبة لنظرية الفوضى.

ويخبرنا إبيفانيوس أيضًا أن إلكاساي جاء من منطقة شرق الأردن المحيطة بنهر الأردن، وهي المنطقة ذاتها التي يعتقد المندائيون أنهم هاجروا منها. ويضع هيبوليتوس الإلكاسيين أبعد شرقًا في بارثيا (إيران الحديثة بالإضافة إلى مناطق واسعة إلى الغرب)، وكل هذا قد يشير ببساطة إلى أنهم مثل المندائيين، هاجر بعض الإلكاسيين شرقًا.

كتب إلكاساي عملاً رؤيويًا، يُعرف ببساطة باسم كتاب إلكاساي، والذي اختفى. إن إشاراتنا الوحيدة إليه تأتي من آباء الكنيسة؛ ويبدو أنه قد كتب باللغة السريانية.[3] تنبأ الكتاب بحدوث حرب نهاية العالم أو حرب أخروية في عام 116م، والتي ستندلع بعد ثلاث سنوات من انتصار تراجان على البارثيين. لقد فعل تراجان ذلك في عام 113م، لذا يعتقد العلماء - الذين يترددون دائمًا في الاعتراف بإمكانية تحقق النبوءة عن طريق الصدفة - أن ذلك الجزء على الأقل من كتاب إلكاساي قد كُتب بعد عام 113م، وليس في عام 101م، وهو التاريخ الذي ذكره هيبوليتوس. تم الكشف عن الكتاب أو إملاؤه على إلكاساي من قبل ملاك ذكر ضخم يُدعى ابن الله، وكان طوله 96 ميلاً وعرضه 24 ميلاً. ويقال أن إلكاساي كان برفقته ملاك ضخم مماثل يُدعى الروح القدس. أو، بحسب هيبوليتوس، كان الملاك الذكر يُدعى المسيح، الملك العظيم. تتشابه هاتان الشخصيتان إلى حد ما مع ملاكين، الرب وملاك الروح، الموصوفين في صعود إشعياء، وهو نص يهودي مسيحي يشكل جزءًا مما يسمى بالكتابات الزائفة (الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية المكتوبة تحت أسماء شخصيات توراتية).

المخطوطات الزائفة هي كتابات غير قانونية أو منحولة من القرون المحيطة بالعصر المشترك. تشمل المخطوطات الزائفة مجموعة واسعة من المواد، من أناشيد سليمان الغنوصية الجميلة (والتي تختلف عن مزامير سليمان)، والتي، كما سنرى، لها بعض العلاقة بالكتابات المندائية، إلى كتاب اليوبيلات اليهودي، الذي يطور القصص من سفر التكوين. لا يُعرف الكثير عن كتاب إلكاساي، ولكنه كان محوريًا في ديانة الإلكاسيين.

رفض إلكاساي التضحية. وفقًا لهيبوليتوس، كان الإلكاسيون يمارسون السحر والتنجيم، ويزعمون معرفة المستقبل. كانوا طائفة باطنية ولم يكشفوا عن محتويات كتابهم المقدس للغرباء. إذا واجه الإلكاسيون الاضطهاد، فقد سُمح لهم بإنكار معتقداتهم وعضويتهم في الطائفة. وهذا يشبه إلى حد ما حال المندائيين الذين رضوا برؤية معتقداتهم وأصولهم محرفة إذا كان ذلك يساعد على بقائهم.

دوسيثيوس السامري المعمدان الغنوصي

على الرغم من أن السامريين لديهم أصل مشترك مع اليهود، واستخدموا نسخة مختلفة قليلاً من الأسفار الخمسة، إلا أنهم لم يُعتبروا يهودًا وكان يُعتقد أنهم من دم مختلط. في القرن الأول الميلادي، كان كون الشخص يهوديًا يعني كونه يهوديًا أو من أصل يهودي.

يعيش السامريون على قدر ضئيل من الحياة في إسرائيل في العصر الحديث، لكن تعدادهم السكاني الذي يبلغ نحو 750 نسمة يضعهم على أعتاب الانقراض. يُظهر السامريون أن المجتمعات الأقلية الصغيرة قادرة على الصمود بثبات في مواجهة كل الصعوبات. هناك روابط غريبة تبدو منتشرة في كل مكان بين السامريين والمندائيين: كلاهما يستخدم "الحياة" كاسم لله، وعبارتا "كلمة الحياة" و"كنز الحياة" مشتركتان بينهما.[4] وعلى الرغم من أن هذه التفاصيل صغيرة، إلا أنه من خلال هذه التشابهات غير المحتملة يتم إنشاء الروابط.

كان دوسيثيوس من السامرة، على الرغم من أن كل من إبيفانيوس ومؤرخ سامري لاحق من القرن الرابع عشر يصفانه بأنه يهودي. كتب أوريجانوس ويوسابيوس أن دوسيثيوس كان يُعتبر المسيح (المسيا) بالنسبة للسامريين. بحسب أوريجانوس، ادعى أنه ابن الله والمخلص. وقيل أيضًا إنه كان لا يزال على قيد الحياة في ذلك الوقت، مما قد يشير إلى بعض الاعتقاد بقيامته، لأنه يعود تاريخه إلى القرن الأول وكان أوريجانوس يكتب في القرن الثالث. كانت المعمودية جزءًا مهمًا من ممارسة أتباع دوسيثيوس - الدوسيثيين - وكانوا يحفظون السبت بدقة. وبحسب المؤرخ السامري، كان يُعتقد أيضًا أن دوسيثيوس هو مؤسس الإبيونية، على الرغم من أن هذا غير مرجح للغاية.

في أعمال الرسل 8: 20 ويوحنا 4: 10، ترتبط عبارة "هبة الله"، والتي هي المعنى الحرفي لكلمة دوسيثيوس، بالسامرة. وقد ارتبطت معتقدات الدوسيثيين أيضًا بالمعتقدات الإبيونية اليهودية المسيحية. كان الأبيونيون مسيحيين يهود. يأتي اسم الأبيونيين من كلمة "فقير"، والتي سخر منها يوسابيوس في إشارة إلى مفهومهم الفقير عن يسوع، الذي كان رجلاً وليس إلهًا في نظرتهم اليهودية

المسيحية للعالم. وزعم ترتليان، وهو من آباء الجدل، أن اسم إبيون هو اسم مؤسسهم، مما أدى إلى إبعادهم عن يسوع. في بعض الأحيان، يرتبط اسمهم بإشارة بولس إلى "فقراء أورشليم". [5]

كان الأبيونيون نباتيين وكانوا يرفضون أن يأكل يوحنا المعمدان الجراد. إنجيل الأبيونيين، المحفوظ فقط في الاقتباسات، يذكر أن يوحنا يأكل الفطائر والعسل - وهو اقتراح أكثر جاذبية بكثير من الجراد. إن الكلمتين اليونانيتين اللتين تعنيان "فطائر" و"عسل" تختلفان في حرف واحد فقط، لذا فإن هذا المرجع الإنجيلي الإبيوني لا يُظهر لنا فقط تكييفًا ذكيًا للمواد الموجودة، بل يُظهر أيضًا أن الإبيونيين استخدموا اليونانية على الرغم من كونهم يهودًا عرقيًا.[6] ويُعتقد أن الإبيونيين هربوا إلى شرق نهر الأردن بعد تدمير أورشليم، وهي المنطقة التي لابد أن يكون المندائيون قد ينتمون إليها في طفولتهم.

من المحتمل جدًا أن يكون الدوسيثيون من المندائيين في الأصل. أو العكس بالعكس. أو على الأقل أن لديهم جذور مشتركة. مثل المندائيين، كان الدوسيثيون يُعرفون أيضًا باسم الناصريين - وهذا ما ذكره ثيودور بار كوناي، الراهب المسيحي السوري الذي كان أول من كتب بشكل لا لبس فيه عن المندائيين. وهو يساوي بين الدوسيثيين والمندائيين والناصوريين (الدائرة الداخلية المندائية). يقول وصفه غير الممتع لأصولهم أنهم أسسوا على يد آدو (آدم)، وهو متسول كسول انتقل مع عائلته من أديابين في شمال بلاد ما بين النهرين إلى ميسيني على ضفاف نهر الكارون. كان يتسول من كوخ على جانب الطريق أعطاه له شخص يُدعى بابا. اجتمع التلاميذ حوله ومن هنا ظهرت الصابئة المندائيون.[7] إن الصابئة المندائيون يعيشون بالفعل على نهر الكارون في العراق. [8]

من هذه الرواية الأولى، وإن كانت خبيثة، عن المندائيين، يمكن تمييز بعض الحقيقة. من الواضح أن آدو هو آدم، أول مندائي. لا بد أن الكوخ الموجود على جانب الطريق يسخر من كوخ الطائفة. ومن الواضح أن الانتقال من أديابين إلى ميسيني هو أيضًا سرد مشوه لتقاليد المندائيين في ترحالهم. كما قارنهم ثيودور بار كوناي بالمرقيونيين، الذين سميوا على اسم مرقيون، وهو مسيحي من القرن الثاني، والذي كان يعتقد أن إله العهد القديم كان شخصية مختلفة عن إله العهد الجديد وأن هناك نوعًا من التعارض المتبادل الثنائي بينهما. ولكن مرقيون لم يذهب إلى الحد الذي ذهبت إليه الجماعات الغنوصية الحقيقية، ويبدو أنه لم يخلق أساطيره الخاصة، بل استخدم في كتابه المقدس مجموعة محدودة من إنجيل لوقا ورسائل بولس. نجت مجموعات المرقيونية لعدة قرون.

سمعان الساحر

كان يعتقد العديد من آباء الكنيسة أن سمعان الساحر هو رئيس الكهنة والهرطقة (مؤسس البدعة)، وأحد أوائل الغنوصيين. على الرغم من وجود مجموعات غنوصية على ما يبدو في القرنين الثاني والثالث ادعت النسب إلى سمعان - وسميت سمعانيين باسمه - إلا أن أيًا من النصوص الموجودة في مكتبة نجع حمادي ليس سمعانية بالفعل، وليس لدينا أي سرد كامل لتعاليم السمعانيين.

يظهر سمعان لأول مرة في سفر أعمال الرسل، والذي يعود تاريخه تقليديًا إلى أواخر القرن الأول، على الرغم من أنه قد يكون بعد عقد أو عقدين من الزمان، ويعتبر عمومًا أقل موثوقية تاريخيًا من رسائل بولس. يُقال إن "سمعان الساحر" كان له بالفعل أتباع كثيرون في السامرة، لكنه كان معجبًا جدًا ("مُذهولًا" أو "مُفقودًا من عقله") بـ "العجائب والمعجزات العظيمة" التي أظهرها الرسول فيليب لدرجة أنه تبع فيليب بعد أن تتم تعميده مسيحيًا. أما الإشارة الثانية، الأكثر إثارة للشكوك من الناحية التاريخية، في سفر أعمال الرسل، فتشير إلى أن بطرس ويوحنا جاءا من أورشليم للصلاة من أجل شعب السامرة لكي ينالوا الروح القدس، الذي لم ينزل عليهم بعد. ولما رأى سمعان أن ذلك يتم بوضع الأيدي عرض على بطرس المال حتى يتمكن من القيام بنفس الشيء. يُلقي بطرس خطابًا لاذعًا ضد سمعان، ويطلب منه أن يصلي من أجل نفسه، فيطلب سمعان الساحر من بطرس أن يُعلّمهم الصلاة. من غير المرجح أن يسافر بطرس ويوحنا كل هذه المسافة من أورشليم لدعم فيليب: إنها ببساطة محاولة أخرى لإثبات أن الكنيسة الأولى كانت موحدة وأن بطرس كان على رأسها مع يعقوب ويوحنا. وبطبيعة الحال، فإن رسائل بولس تظهر أنه كانت هناك نزاعات وصراعات شخصية داخل الكنيسة الأولى.

وتظهر تقاليد أخرى حول سمعان في أعمال آباء الكنيسة. ويذكر جوستن الشهيد، وهو أيضًا من السامرة، في كتابه حوالي عام 150م، أن قرية جيتا في السامرة هي مسقط رأس سمعان. يروي إيرينيئوس، الذي كتب في حوالي عام 180 بعد الميلاد، قصة غريبة عن سمعان. أثناء زيارته لبيت دعارة في مدينة صور في فينيقيا (لبنان الحديث)، أدرك سمعان أن عاهرة تدعى هيلين كانت تجسيدًا لـ "إنويا"، الفكر الأول، وهو شكل غنوصي للمبدأ الأنثوي الإلهي الأعلى. كان سمعان نفسه تجسيدًا للقوة العليا التي كانت "الأب فوق الجميع". كانت هيلين سجينة في جسد عانت فيه من العديد من الأمراض ثم انتقلت من جسد إلى آخر عبر العصور حتى وجدت نفسها متجسدة في صورة هيلين طروادة. وبعد قرون من الزمان، وُلدت من جديد كعاهرة تُدعى هيلين. وبدوره، نزل سمعان إلى العالم المادي ليخوض حياة بشرية من أجل إنقاذها. تلخص هذه القصة نسخة من الأسطورة الغنوصية التي تنحدر فيها الروح إلى المادة ثم تتحرر بعد ذلك. وهذا يشير إلى وجود روابط حقيقية بين شخصية سمعان الساحر والغنوصية، وليس أن القصة مجرد افتراء من آباء الكنيسة.

في تقليد لاحق، تضيف كتابات كليمنت تفصيلاً مهماً مفاده أن كلاً من سمعان وهيلين كانا من تلاميذ يوحنا المعمدان، كما كان دوسيثيوس الذي حل محل سمعان كخليفة ليوحنا.[9] إذا كان هناك أي شيء موثوق به في العلاقة بين يوحنا المعمدان وسمعان الساحر، فقد يكون لدينا رابط بين المندائيين وغيرهم من الغنوصيين. إن الروابط بين سمعان الساحر ودوسيثيوس ويوحنا المعمدان تعطي ارتباطًا بين يوحنا المعمدان والغنوصية يوازي ارتباط المندائيين، ولكنه مستقل. المندائية هي ديانة غنوصية مرتبطة بيوحنا المعمدان. السمعانية هي شكل من أشكال الغنوصية المرتبطة بيوحنا المعمدان.

المغاريون والأسينيون

ويقال إن هذه الطائفة شبه اليهودية التي ذكرها الكتاب العرب في القرنين العاشر والحادي عشر كانت تفسر الكتاب المقدس مجازيًا، وتقرأ أي فقرة يُشار فيها إلى الله بشكل مجسم على أنها تشير إلى ملاك خالق وليس إلى الله نفسه. هذه الممارسة تضعها إلى حد ما في تقليد الغنوصية. اسم الطائفة مشتق من الكلمة العربية "مغار" والتي تعني "كهف"، وذلك لأن كتاباتهم - على غرار مخطوطات البحر الميت - تم اكتشافها في كهف.

من الصعب عمل خليط من كل هذه القطع الصغيرة من المعلومات. المندائيون لم يتم ذكر أسمائهم مطلقًا. لا يُعرف يوحنا المعمدان بأنه غنوصي، ولكن لا بد من القول أنه مرتبط بالغنوصية من خلال أتباعه مثل سمعان وميناندر. ليس هناك شيء مؤكد، ولكن يمكننا أن نتوقع أن المندائيين القدماء ربما شعروا بأنهم في وطنهم وسط هذه الدوامة من الطوائف الغنوصية والمعمودية.

كان الإسينيون طائفة يهودية منشقة نشطت من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي. لقد أدى اكتشاف مخطوطات البحر الميت إلى شهرتهم في جميع أنحاء العالم، على الرغم من أن هناك جدلاً لا يزال قائماً بين العلماء حول مدى اعتبار مجتمع مخطوطات البحر الميت في قمران من الأسينيين. بالإضافة إلى كتب الكتاب المقدس العبري التي تم اكتشافها (التي يعود تاريخها إلى عام 300 قبل الميلاد وتمثل أقدم المخطوطات المعروفة لأي جزء من الكتاب المقدس)، هناك وثائق تفصل انضباطات مجتمع ما (قاعدة المجتمع)، والتي قد تكون طائفة قمران، وكتب نهاية العالم مثل حرب أبناء النور وأبناء الظلام، وغرائب مثل مخطوطة النحاس، والتي قد تصف موقع الكنز المدفون.

كان الأسينيون يمارسون طقوس تنقية المياه، وهناك علاقة محتملة، وإن لم يتم التحقق منها، بين مجتمع قمران أو الأسينيين ويوحنا المعمدان. ومن المحتمل أن يوحنا كان مرتبطًا بقمران أو بمجتمع مماثل في شبابه. ينكر العلماء التقليديون أي علاقة مباشرة بين يسوع وقمران أو الأسينيين، لكن بعضهم يعتقد أنهم يستطيعون رؤية إشارات مشفرة إلى يسوع في النصوص. ومن ثم فإن الأسئلة المتعلقة بهوية وعلاقة الإسينيين وقمران ومؤلفي المخطوطات هي أسئلة معقدة. ولغرض مناقشتي، سأفترض ببساطة أن طائفة البحر الميت كانت نوعًا من المجتمع الإسيني، دون وضع أي عبء إثبات معين عليها.

قد يمثل يوحنا المعمدان مصطلحًا وسطًا بين الإسينيين والمندائيين. من المؤكد أن هناك أوجه تشابه بين المجموعتين. تظهر عبارة "رب العظمة" في الكتابات المندائية، كما وجدت أيضًا في كتابات قمران المزيفة في سفر التكوين. في حران كويثا، أخذ يوحنا "الأردن وماء الشفاء (للحياة) وطهر المصابين بالجذام، وفتح (عيون) العمي ورفع المكسورين (المقعدين) ليمشوا على أقدامهم بقوة ملك النور العظيم - ليتبارك اسمه - وأعطى الكلام والسمع لكل من طلبه".[10] وتذكرنا هذه الفقرة على الفور بما جاء في إنجيل متى 11: 2-5 (ولوقا 7: 22) - " اَلْعُمْيُ يُبْصِرُونَ وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ.". تحتوي قطعة قمران 4Q521 على مقطع مشابه تمامًا، "سيكرم الأتقياء ويطلق سراح السجناء، ويفتح عيون العمي، ويرفع المنحنين...".

"فإنه يشفي الجرحى، ويحيي الموتى، ويبشر المنكوبين..." [11]

هل يدل الكلام في حران كويثا على معرفة

الأناجيل؟ أم أنه يشير إلى وجود رابط مع قمران، على الرغم من عدد الإزالة؟ أم أن الإصدارات الثلاثة لها مصدر مشترك؟ ولعل من المهم أن يوجه يسوع رده إلى يوحنا، وأن هذا المقطع مشترك بين متى ولوقا ولكن ليس مرقس. وفقًا للرأي الأكثر شيوعًا حول العلاقة بين الأناجيل الثلاثة الإزائية (من كلمة يونانية تعني "رُئيت معًا")، فإن المادة المشتركة بين الأناجيل الثلاثة نشأت مع مرقس وأعاد صياغتها متى ولوقا. المادة التي يتشاركها متى ولوقا فقط هي من مصدر مشترك افتراضي يُعرف باسم Q (من الكلمة الألمانية *quelle*، أو "المصدر"). لا بد أن هذه الوثيقة الإنجيلية الأولية (Q) قد كُتبت قبل إنجيل متى ولوقا، وربما قبل إنجيل مرقس، مما يدفعها إلى طبقات سابقة من المسيحية. فهل كان هذا تعليم يوحنا الذي كان يسوع يقتبسه منه في الواقع، مقدماً نفسه كمحقق لهذه النبوءة الخاصة المعروفة في قمران، ومثبتاً نفسه على أنه متفوق على يوحنا؟ إذا كان يوحنا المعمدان هو المصدر المباشر، فربما يكون الاستخدام المندائي له مستمدًا من تلك القناة وليس من لقاء لاحق مع المسيحيين.

لقد رأت دراور تشابهًا بين مشونيا كوشتا المندائيين وجنة الأسينيين كما ذكر يوسيفوس: "إن النفوس الطيبة لها مساكنها وراء المحيط، في منطقة لا تعاني من عواصف المطر أو الثلج، ولا من الحرارة الشديدة، ولكنها منتعشة بالتنفس اللطيف للرياح الغربية التي تهب باستمرار من المحيط." [12]

في حين أن هذا ليس مطابقًا بالتأكيد للعالم المثالي للمندائيين، والذي غالبًا ما يتم وضعه في الشمال، فإن كل من العالم الآخر للإسينيين والمندائيين ينتميان إلى نوع مشترك بين العديد من الثقافات ولكن ليس في المسيحية أو اليهودية: فهو يتمتع بموقع مادي ويتميز بالطقس المعتدل. يمكن بسهولة اعتبار النسخة المندائية ممتدة إلى الأساطير الأصلية في بلاد ما بين النهرين أو إيران، مثل عالم الكهف الآخر في ملحمة جلجامش. [13]

كان الأسينيون قد سحبوا دعمهم من الهيكل في أورشليم وأنشأوا بديلاً في البيئة القاسية للبحر الميت. في حين كان الهيكل في بعض الأحيان يشبه مسلخًا عملاقًا، كانت قنواته مليئة بدماء الحيوانات - الحمام والأغنام - التي تم التضحية بها ليهوه، فقد ركز الأسينيون دينهم على الماء واستبدلوا الماء مكان الدم. كانت الغمرات والتطهيرات والوضوء والتطهير والمعمودية أمورًا أساسية في الحياة الطقسية لسكان قمران.

تشمل أوجه التشابه الأخرى بين الإسينيين والمندائيين استخدام الملابس البيضاء (وهي ليست عالمية بأي حال من الأحوال)، ومفهوم النفس المحاصرة في الجسد، والاعتراف بالخطايا عند المعمودية، والإيمان بالصراع الأساسي بين النور والظلام، وعبارتي "الماء الحي" و"ينبوع الحياة" مشتركتان بينهما. [14]

وفقًا لفيلو الإسكندري، كانت هناك طائفة شبيهة بالأسينيين تدعى المعلاجون، وكانت تردد الترانيم في مجموعات منفصلة من الرجال والنساء، ثم في انسجام تام. التراتيل المندائية هي أيضًا متناغمة وتُعرف باسم "نيانا" (الاستجابات).

تشترك أكواخ ماندي للمندائيين في اتجاهها الشمالي الجنوبي مع الإسينيين. تقول باربرا ثيرينغ، وهي باحثة تعتقد أن الصراعات المسيحية المبكرة مُدونة في مخطوطات البحر الميت:

> تتميز المدافن في المقبرة الضخمة في قمران بوضعها في اتجاه الشمال والجنوب، حيث يكون الرأس في الجنوب، كما أن المزارات المندائية مبنية في اتجاه الشمال والجنوب، حيث يكون حوض الغسيل في الجنوب والمبنى في الشمال. كلاهما يختلفان عن الممارسة اليهودية المعتادة، التي فضلت الشرق، حيث يقع المعبد في اتجاه الشرق والغرب، ومدخله في الشرق.
>
> يوجد في قمران فناء طويل يمتد من الشمال إلى الجنوب، وله نفس أبعاد وشكل خيمة العبرانيين في البرية، مع صف من الحجارة عبر ثلثه الشمالي. وقد قيل في كتبي أن هذا كان الحرم البديل للأسينيين، الذي بُني عندما طُردوا من معبد أورشليم. وكان له أبعاد المشكن، وكان موضوعاً من الشمال إلى الجنوب، لكي يتضح أنه ليس هيكلاً حقيقياً، والذي لا يمكن أن يكون إلا في أورشليم. ومع مرور الوقت لم يتمكنوا من استعادة المعبد، وكان يُعتقد أن الاتجاه من الشمال إلى الجنوب هو الذي يعبر عن فكرة المعبد الروحي، الموجود في دليل الانضباط. علاوة على ذلك، في المبنى ذي الصلة في خربة ميرد (هيركانيا)، على بعد حوالي ستة أميال من قمران، هناك ترتيب في الوادي (الجدول الشتوي) شمال المبنى يشير إلى طقوس المعمودية. تم إنشاء نفقين طويلين تحت الأرض، أحدهما في الضفة الجنوبية للوادي، والآخر في الضفة الشمالية. من المحتمل أن يكون هذا شكلاً من أشكال التمثيل الدرامي لـ "الولادة"، مع الغسيل في مياه النهر. اقتراحي، بناءً على درجات العضوية، هو أن يتم إجراء معمودية من درجة أدنى على الضفة الجنوبية، ثم تليها معمودية أعلى على الضفة الشمالية، وبعد ذلك يمكن للمعمد أن ينزل إلى الوادي، الذي يؤدي مباشرة إلى قمران، من أجل التقدم إلى النوع الأعلى من التأهيل. [15]

هناك اقتراحات تشير إلى وجود أوجه تشابه بين ممارسة المندائيين للتنبؤ من خلال يوم الأسبوع ويوم الشهر القمري وتقويم إسيني موجود في كهف قمران رقم 4. ليس الاثنان متطابقين، بسبب استخدام أيام الأسبوع من قبل المندائيين، ولكن هناك أوجه تشابه. وأيضًا رسالة سام، وهو عمل قد يعود تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد ويُصنف ضمن المخطوطات الزائفة في العهد القديم. سام هو، وفقًا لبعض التقاليد المندائية، أول سلف ذكر للمندائيين بعد آدم. [16]

ومع ذلك، فمن السهل المبالغة في أهمية هذه التفاصيل. في قمران، قام الإسينيون ببناء مجمع من الصهاريج وقنوات التغذية التي مكنت من إجراء طقوسهم المائية في ظل الحرارة الجافة القاسية في منطقة البحر الميت. كما أنشأ المندائيون برِكًا لتسهيل معموديتهم، ولكن هناك فرق جوهري في الأساليب. في حين كان الإسينيون يخزنون مياههم في صهاريج، كان المندائيون يحتاجون إلى مياه

جارية، إما مباشرة في النهر أو باستخدام نظام يتدفق فيه الماء إلى الداخل والخارج ويبقى جزءًا من تدفق النهر. بالنسبة للمندائيين، فإن الصهاريج تحتوي على مياه ميتة بدلاً من المياه الحية.

يمكن اعتبار معموديات الأنهار مثل معمودية يوحنا المعمدان أو معمودية المندائيين بمثابة رد فعل على طائفية الأسينيين. لقد انسحب مجتمع البحر الميت من الحياة. في كهوفهم وغرفهم المنحوتة عاشوا منفصلين عن العالم. وقد زودتهم صهاريجهم وقنواتهم بالمياه التي لم تعتمد على الموارد الطبيعية للأنهار الكبيرة، ولا على قنوات المياه الضخمة والمعقدة وإمدادات المياه التي أنشأها الرومان. كان كل من استخدم مياه الأسينيين محصورًا في الحياة الجماعية الصارمة والمحدودة والعازبة للطائفة - كانت مياه قمران نظامًا مغلقًا واصطناعيًا. وكان الأردن مفتوحا للجميع.

الفصل الثاني عشر

وأخيراً يوحنا المعمدان

وقد تساءل العلماء أحيانًا: لماذا لا توجد لديهم أي معرفة تاريخية عن يوحنا المعمدان خارج ما قد يوجد في العهد الجديد، إذا لم يكن يوحنا المعمدان إضافة متأخرة إلى معتقدات المندائيين؟ على سبيل المثال، يسأل لوبيري:

> إذا كان المندائيون هم في الواقع من نسل تلاميذ يوحنا المباشرين، فلماذا لا يملكون أي تقاليد خاصة بهم تتعلق بمؤسسهم، بل يستمدون كل ما يقولونه عنه من التقاليد المسيحية، التي يعود تاريخها أحيانًا إلى عدة قرون بعد العهد الجديد؟ ومع ذلك، إذا كان المندائيون موجودين دائمًا حيث هم الآن وليسوا مرتبطين بشكل مباشر بيوحنا المعمدان، فلماذا ذهبوا "لإعادة تدوير" قديس *(وذلك الوحيد فقط!)* من دين منافس ومعادٍ؟ [1]

في التقليد المندائي كان ليوحنا المعمدان زوجة وأطفال. لم يتم ذكر عائلته مطلقًا في العهد الجديد. ومع ذلك، يُنظر إلى عائلته على أنها غير تاريخية لأنها لا تظهر إلا في النصوص المندائية، في حين أن حياة يوحنا على الجراد والعسل البري تعتبر تاريخية بطريقة ما من قبل هؤلاء العلماء الذين لديهم تحيز تجاه الأناجيل القانونية.

أنجب أطفالاً

إن مسألة صحة يوحنا التاريخية تثير مسألة أحفاد يوحنا. هل هناك سلالة ليوحنا المعمدان تنتظر أن يتم اكتشافها؟ كان يوحنا المعمدان المندائيّ متزوجًا وأنجب أطفالًا. لدى المندائيين إرشادات صارمة للغاية بشأن السلوك الجنسي، لكن العزوبة تعتبر لعنة بالنسبة لهم. هناك مواقف طقسية معينة يجب على الكهنة خلالها أن يكونوا عازبين، لكن العزوبة الدائمة تُعتبر رجسًا. من الجدير اقتباس مقطع واحد من إنجيل يوحنا المندائي بالكامل لتوضيح الفرق الواضح بين أسلوب الكتاب المقدس المندائي والمقاطع المألوفة عن يوحنا من العهد الجديد:

> فقال: يا يوحنا، أنت مثل جبل محترق لا ينبت في العالم أي زهور. أنت مثل جدول جاف لا يُزرع عليه نبات. أنت مثل بيت مهجور، كل من يراه يخاف. أصبحت أرضًا لا سيد لها، وبيتًا لا قوة فيه. لقد أصبحت نبيًا شريرًا، ولم يترك بعدك من يذكرك، ويجهزك ويعولك، يا يوحنا، الذي سيأتي بعدك إلى القبر.

فلما سمع يوحنا هذا، دمعت عيناه وقال: "ما أجمل أن أتخذ امرأة، وما أجمل أن أنجب بنين". ولكن إذا تزوجت، فربما تلهب الرغبة في داخلي عندما يأتي النوم، فأهمل عباداتي الليلية. ربما تشتعل فيني الرغبة فأنسى ربي من ذهني. ربما تشعلني الرغبة فأهمل عباداتي في كل مرة.

ولما قال يوحنا هذا، جاءت رسالة من بيت أباثور: "يا يوحنا، خذ زوجة وأسس عائلة، وتأكد من أن العالم لا يأتي إلى نهاية". في فجر اليوم الثاني وفي فجر اليوم الثالث انتبه إلى فراش زوجتك. في فجر اليوم الرابع وفجر اليوم الخامس، توجه إلى عباداتك السامية. [2]

يواصل سوحنا شرحه أنه يريد بشدة أن يكون له عائلة لكنه قلق من أن الرغبة سوف تبتلعه ولن يكون لديه وقت للعبادات. أُرسِلت إليه رسالة من بيت أباثور، الحياة الثالثة. يتم إعطاؤه نمطًا من الأيام لممارسة الجنس وأيام الامتناع عنه، مع الطقوس المصاحبة.

يستمر يوحنا في الزواج، وتدعى أنهار، وأنجب ما يصل إلى ثمانية أطفال: هاندان وشارّاث، ثم بيرهام ورحيمات-هيا، وأخيرًا نساب، وسام، وأنهار زيوا، وربما شارّاث آخر. ترتبط العديد من هذه الأسماء بكيانات من عالم النور. من الغريب أنه مع كل هذه التكهنات حول ما إذا كان يسوع متزوجًا وما إذا كان لديه أطفال، أن نجد مع يوحنا المعمدان اسم زوجته وقائمة بجميع أولاده. ربما لا يوجد شيء موثوق به في هذا، ولكن يمكن للمرء أن يبحث في كل التقاليد المسيحية غير القانونية عن اسم زوجة يسوع وأولاده فقط ليعثر على لا شيء. ومع ذلك، فإن حقيقة أن يوحنا يشعر بالقلق من أن وجود عائلة قد يعني أنه لن يكون قادرًا على الوفاء بالتزاماته الدينية تشير إلى أنه في مرحلة ما في الماضي البعيد كانت العزوبة متطلبًا روحيًا ولكنها لم تعد ضرورية.

الكهنة المندائيون متزوجون، وإنكار الجنس الموجود في المسيحية أمر بغيض بالنسبة للمندائيين. ومع ذلك، فإن الممارسة الجنسية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمراعاة الطقوس والحياة الأسرية. إن العزوبة مدى الحياة ليس لها أي دور في المندائية، وستكون بمثابة وصفة للانقراض في دين لا يقبل المتحولين.

الأردن الغامض

في كل من المندائية والمسيحية، يرتبط يوحنا ارتباطًا وثيقًا بنهر الأردن. هل من الممكن أن تتم المعمودية هناك؟ وكما قال أحد العلماء:

يصور تقليد طويل من الفن المسيحي يوحنا المعمدان واقفًا حتى خصره في مياه الأردن الصافية وهو يسكب الماء على رؤوس المتحولين (أو ربما يغمرهم)، ويراقبه حشود من المتفرجين. ومع ذلك، لا يمكن العثور على مثل هذا المشهد في الأناجيل، أو حتى في كتابات يوسيفوس. لم يُذكر شيء عن كيفية تعميد يوحنا. يشير القليل من التأمل إلى

أن مثل هذا المشهد هو خيال تقوي تم تصميمه دون وعي على غرار قرون من الممارسة المسيحية. [3]

كان التطهير الطقسي يمارس على نطاق واسع ويتخذ أشكالاً مختلفة، ولكن استخدام نهر الأردن لمثل هذه الأغراض أمر غريب وغير مسبوق تقريباً. تم اكتشاف حمامات طقسية يعود تاريخها إلى فترة الهيكل الثاني في العديد من الأماكن بما في ذلك قمران، وأريحا، ومسعدة، وصفورية، وأحياء العوفل والأسينيين في أورشليم، [4]ولكن لم يتم اكتشافها أبدًا على الأنهار. كما أن الأفراد عادة ما يستحمون ويتطهرون بشكل طقسي دون تدخل طرف ثالث. ولكن طقس يوحنا "التوبة لمغفرة الخطايا"، أيا كان شكله، كان يُمارسه "يوحنا المعمدان" نفسه (مرقس 1: 4).

لقد اعتدنا على سماع أو قراءة ما يتعلق بالأردن كمكان

للمعمودية، لذلك قد لا نشكك في ملاءمته. كتب كولن براون:

> إذا سقط أحد في الجزء الجنوبي من نهر الأردن، حيث يُعتقد تقليديًا أن يوحنا كان يعمد، فإن أول شيء يريده هو الاستحمام لشطف الأوساخ من الرواسب. باستثناء الأوقات التي تتضخم فيها المياه بسبب أمطار الشتاء، فإن تلك المساحات الجنوبية من نهر الأردن التي يمكن الوصول إليها غالبًا ما تكون ضحلة وبطيئة. في حين أن الاستحمام الديني في الماء غير النظيف ليس مجهولاً، وأن النية أهم من جودة الماء (كما يتضح من الاستحمام في نهر الغانج)، فإن الإصرار على نقاء الماء موثق جيدًا في الأدب اليهودي. لو كان التطهير الطقسي هو الاعتبار الرئيسي في معمودية يوحنا، لكان من الممكن استبعاد الأردن السفلي. ويبدو أن وثيقة دمشق تستبعد ذلك لسببين: "فيما يتعلق بمن يتطهر بالماء: لا يستحم أحد بماء قذر أو غير كافٍ لتغطية الإنسان". [5]

ربما لم يكن النهر مناسبًا طوال العام. في الإنجيل الرابع، يعمد يوحنا في عين نون قرب ساليم في السامرة "لأن الماء كان كثيراً" (يوحنا 3: 23). في بعض الأحيان يُنظر إلى هذا على أنه إقامة قصيرة ليوحنا في الأراضي السامرية نحو نهاية حياته، ربما عندما كانت الأمور تتجه نحو الأسوأ بالنسبة له في اليهودية بسبب علاقته المتوترة مع هيرودس أنتيباس. ومع ذلك، ربما كان ذلك مطلبًا موسميًا، لتجنب الحرارة الشديدة في وادي الأردن في فصل الصيف. [6]

يرتبط يوحنا بالمياه والصحراء، وهما منطقتان حدوديتان، حيث قد لا تنطبق عليهما قوانين وعادات المدن والأراضي الزراعية.

ولذلك يقترح كولن براون أن أهمية المعمودية في نهر الأردن لم تكن التطهير الطقسي، بل كانت خروجًا رمزيًا من إسرائيل الحالية، بكل خطاياها ونقائصها، إلى أرض مقدسة متجددة. إذا كان الأمر كذلك، فربما اختار تلاميذ يوحنا خروجهم الرمزي ولم يعودوا أبدًا.

على الرغم من ارتباطاته بالمعمودية، لا يُشار إلى يوحنا في الكتب المندائية إلا باسمه يوحنا، [7]دون لقب "المعمد" أو "المعمدان"، مع تحديد نسبه أحيانًا، وهو نفس ما ورد في إنجيل لوقا. ربما كانت النقطة واضحة جدًا بحيث لا يمكن التعليق عليها: كان يوحنا كاهنًا مندائيًا وكان كل كاهن معمدًا.

في الأناجيل، يُطلق عليه لقبه بشكل متكرر، مما قد يوفر دليلاً إضافيًا على أن التقاليد المندائية لم تكن تعتمد جميعها على المسيحية.

يوحنا الغنوصي

على الرغم من عدم وجود أي شيء غنوصي في جوهر شخصية يوحنا المعمدان في العهد الجديد، ولا يظهر على نطاق واسع في النصوص الغنوصية الباقية، فإن السؤال الذي يجب طرحه هو: هل كان يوحنا غنوصيًا؟ قارن الكاثاريون في العصور الوسطى بين معمودية يوحنا - التي كانت بالماء وكانت في نظر الكاثار معمودية زائفة للكنيسة الكاثوليكية - ومعموديتهم بالنار والروح التي تلقوها خلال طقوس التعزية. [8]

إذا كان من المرجح أن يكون للمندائيين صلة بيوحنا، فإن الإجابة على هذا السؤال قد تكون نعم. كان آباء الكنيسة حريصين على التأكيد على أن الغنوصيين الأوائل مثل سمعان الساحر وميناندر ودوسيثيوس كانوا تلاميذ يوحنا، ومع ذلك لا يبدو أنهم قادرون على الذهاب إلى أبعد من ذلك والقول بأن يوحنا كان غنوصيًا. إن دوافعهم للامتناع واضحة: إن يوحنا شخصية مثيرة للإعجاب إلى حد ما في الأناجيل. وإذا كان يوحنا غنوصيًا، فهل كان من الممكن أن يكون يسوع غنوصيًا أيضًا؟

وقد تم ذكر كل من يوحنا المعمدان ويسوع في كتاب يوسيفوس "آثار اليهود". على الرغم من أن كلا الروايتين وردتا في الكتاب 18 من الآثار، إلا أن الشخصيتين غير مرتبطتين ببعضهما البعض بأي شكل من الأشكال. وعلاوة على ذلك، ورغم أن معظم العلماء يعتقدون أن القسم الخاص بيوحنا المعمدان هو العمل الأصيل ليوسيفوس وجزء لا يتجزأ من النص، إلا أنه لا يمكن قول هذا عن المقطع الخاص بيسوع. وقد زعم العديد من العلماء النقاد أن عبارات مثل "كان المسيح" هي إضافات لاحقة أضافها الكتبة المسيحيون.

> وفي ذلك الوقت كان يعيش رجل حكيم، يسوع، إن كان ينبغي أن نسميه إنسانًا، لأنه كان يصنع العجائب، ومعلمًا لأولئك الرجال الذين يتقبلون الحقيقة بسرور. لقد كسب قلوب كثير من اليهود وكثير من اليونانيين. لقد كان المسيا. عندما سمع بيلاطس اتهامه من قبل رجال من أعلى مكانة بيننا [حرفيًا، "الرجال الرئيسيين"]، حكم عليه بالصلب، فإن أولئك الذين أحبوه في المقام الأول لم يتخلوا عنه. لأنه ظهر لهم حياً في اليوم الثالث، كما تنبأ عنه الأنبياء القديسون بهذه الأمور العجيبة وغيرها الكثير. "ولا تزال قبيلة المسيحيين، التي سميت باسمه، قائمة إلى يومنا هذا." [9]

إن أي إعادة بناء مقترحة لنص يوسيفوس الأصلي، دون إضافات مسيحية، يجعله شيئًا كان من المقبول تاريخيًا أن يتوصل إليه يهودي أرستقراطي مثل يوسيفوس، مستبعدًا أي شيء يبدو أنه ربما تم إدخاله من قبل مسيحي. إن أية شهادة مقبولة تاريخيًا هي افتراضية، ولا يوجد أي دليل في أي مكان على هذه النسخة الأبسط، والتي يُفترض أنها أكثر أصالة. أظهرت الأبحاث الحديثة أن هذا المقطع من غير المرجح أن يكون حقيقيًا على الإطلاق. [10]

لا يمكننا أن نفترض أن يوسيفوس يقدم لنا أي شيء يشبه المعرفة الموسوعية عن يهودا في القرن الأول. في الواقع، من الواضح أن هذا ليس هو الحال: العديد من الشخصيات الحاخامية في القرن الأول، والتي بقيت أسماؤها - مصحوبة بتعاليمها وتفاصيل سيرتها الذاتية وأساطيرها - في المشناه والتلمود وغيرهما من الكتابات الحاخامية، لم يتم ذكرها في يوسيفوس. والبعض الآخر كذلك. يوسيفوس هو كاتب متحيز بشكل واضح، ولا يحاول كثيرًا اتخاذ موقف محايد. كان يهوديًا مرتدًا، حيث دعم الجنرال الروماني تيتوس الذي أصبح فيما بعد إمبراطورًا.

يوحنا والأناجيل

يتفق معظم العلماء على أن الأناجيل كتبت حسب ترتيب مرقس، ومتى، ولوقا، ويوحنا. يُعتقد عمومًا أن متى ولوقا استخدما إنجيل مرقس كأساس لروايتهما الخاصة؛ ومن المحتمل أن يوحنا كان لديه بعض المعرفة بإنجيل مرقس أيضًا. على أية حال، يمكن قراءة الأناجيل الأربعة حسب ترتيبها الزمني باعتبارها توثيقًا لحركة كانت تتحرك بسرعة خارج جذورها اليهودية في يهودا. إن كون أناجيل مرقس ومتى ولوقا معروفة باسم الأناجيل الإزائية ('ترى معًا') يشير إلى حقيقة أنه عندما توضع نصوص كل إنجيل جنبًا إلى جنب فإن الأناجيل الثلاثة تتبع عادةً نفس تسلسل الأحداث وتظهر تشابهات حرفية وثيقة. وهذا ليس صحيحا بالنسبة لإنجيل يوحنا.

في مرقس (1: 7)، ومتى (3: 11)، ولوقا (3: 16)، ويوحنا (1: 27)، يعلن يوحنا المعمدان بالفعل أنه غير مستحق أن يحل حذاء الذي سيأتي. وفي وقت لاحق في إنجيل يوحنا (3: 27-36)، يُعطى يوحنا المعمدان خطابًا طويلًا يقلل فيه من أهميته ويمتدح يسوع بأعلى العبارات الممكنة، ويصرح أنه من خلال الابن (يسوع) فقط ستُمنح الحياة الأبدية.

في إنجيل يوحنا، قبل يسوع تلاميذ يوحنا المعمدان (أندراوس وفيليب) في الاثني عشر (يوحنا 1: 40-45)، مؤكدًا بذلك أن المستقبل ينتمي إلى يسوع وليس يوحنا. في سفر أعمال الرسل (18: 24-19: 7)، والذي يُعتقد عمومًا أنه كتبه مؤلف لوقا، نقرأ أن يهوديًا إسكندرانيًا يُدعى أبلوس كان على دراية بطريق الرب، وكان يكرز بقوة روحية، وكان لديه معلومات دقيقة عن يسوع، ومع ذلك لم يتلق سوى معمودية يوحنا، كما فعل التلاميذ الآخرون الذين اكتشفهم الرسول بولس في أفسس. فقط عندما يضع بولس يديه عليهم ينالون الروح القدس، الذي لم يعرفوا عنه شيئًا من قبل. الرسالة واضحة: كان يوحنا مهمًا فقط باعتباره السابق ليسوع. لن يختلف مع هذا الرأي سوى عدد قليل من المسيحيين، أو حتى يتساءلون عما إذا كان ينبغي النظر إلى يوحنا بطريقة أخرى.

كل هذا يشير إلى أن العهد الجديد، والمسيحية بشكل عام، يرفضون يوحنا المعمدان باعتباره شخصية مستقلة. كل هذا سيكون له صلة بمناقشة يوحنا ويسوع، ولكن في الوقت الحالي أود أن أسلط الضوء على مدى إساءة هذه النظرة إلى يوحنا المعمدان لأي دين ينحدر منه. من الجدير أن نضع هذا في الاعتبار. ما فائدة التسلل بحذر حول معتقدات المسيحيين والمسلمين واليهود والدوس على معتقدات الديانات الأقلية؟

أعتقد أنه يتعين علينا الحفاظ على التوازن بين احترام معتقدات الآخرين والنقد. ولكن أي شخص يجد وجهة النظر المندائية عن يسوع مسيئة قد يرغب في التفكير فيما إذا كانت وجهة النظر المسيحية عن يوحنا المعمدان مسيئة بنفس القدر للمندائي. لدى المندائيين المعاصرين آراء مختلفة حول يسوع. يُنظر إليه عادةً على أنه مندائي أصبح مرتدًا لأنه كان متساهلاً مع التقاليد المندائية، وهو ما لا يختلف كثيرًا عن الطريقة التي ينظر بها العديد من اليهود إلى يسوع.

قد يبدو من المدهش أن جانبًا مهمًا من حياة يوحنا، مثل مقتله على يد هيرودس، غائب في المندائية، ولكن هذا ليس بلا مثيل - ففي الإسلام من المفهوم عادةً أن يسوع لم يُصلب.

شاهد للنور وليس النور

> "كان هناك رجل مرسل من الله اسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور بل ليشهد للنور.' *(يوحنا 1: 6–8)*.

هناك عدد قليل من المندائيين في أي فترة زمنية يمكنهم الاختلاف مع هذا الأمر ظاهريًا، على الرغم من أن قراءتهم لهذا الأمر تختلف عن المسيحيين. بالنسبة للمسيحيين، لم يكن يوحنا هو النور لأن يسوع كان هو النور. بالنسبة للمندائيين، لم يكن يوحنا هو النور لأن عالم النور كان موجودًا قبل يوحنا بوقت طويل - كما كانت ديانتهم بأكملها.

في كتاب يوسيفوس، يعتبر المقطع الذي يذكر يوحنا المعمدان، على عكس المقطع الخاص بيسوع، على نطاق واسع أصيلاً، على الرغم من وجود بعض الأصوات المعارضة. دعونا نفكر في هذا الأمر كخيار: ما هي التداعيات إذا لم يذكر يوسيفوس يوحنا المعمدان أبدًا؟ وهذا يعني أنه باستثناء الروايات المندائية عن يوحنا المعمدان، فإن معرفتنا الوحيدة عنه تأتي من العهد الجديد والأسفار القانونية اللاحقة. كما رأينا بالفعل، فإن روايات الأناجيل مترابطة.

– استخدم متى ولوقا إنجيل مرقس كأساس – وقاما تدريجيا بتحريف روايتهما عن يوحنا حتى أصبح يوحنا مترددا حتى في تعميد يسوع. من الصعب، أو حتى من المستحيل، إظهار أي علاقة أدبية حقيقية بين إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا، ولكن من المحتمل تمامًا أن مؤلف إنجيل يوحنا قد سمع إنجيل مرقس يُقرأ بصوت عالٍ. يبدو أن هناك إجماعًا واضحًا قليلًا بشأن العلاقة بين إنجيل يوحنا والأناجيل الإزائية أو حول أصل المادة الموجودة في إنجيل يوحنا. إن الخطابات الطويلة التي ألقاها يسوع في الإنجيل الرابع، والتي تختلف كثيراً عن الأمثال القصيرة والأقوال الموجزة في الأناجيل الثلاثة الأخرى، قد لا تكون مستمدة من ذكريات خطاب يسوع نفسه. ولكن من المؤكد أن مؤلف الإنجيل الرابع لم يكن يختلق كل هذا على عجل. ربما كان لديه مصادر مكتوبة أعاد صياغتها، أو ربما كان قد استقى معلوماته من التقليد الشفهي. على الأقل كان لديه فكرة عن نوع الأشياء التي كان ينبغي على يسوع أن يقولها. وهكذا فإن العهد الجديد ليس رواية غير مهتمة تمامًا.

إذا كان المقطع الخاص بيوحنا في يوسيفوس هو تحريف آخر، فهل من الممكن أن يوحنا لم يُقطع

رأسه بالفعل؟ هل كان بإمكانه أن يقود المندائيين شرقي الأردن؟ ولكي يكون هذا ممكناً، فمن الضروري ألا يكون لدى متى أو لوقا أو يوحنا أي معرفة مستقلة عن يوحنا المعمدان. في هذه الحالة، من المحتمل أن يكون مرقس هو من اخترع قصة قطع رأس يوحنا المعمدان.

لماذا يفعل مرقس هذا؟ حسنًا، يعتقد بعض العلماء أن العديد من جوانب رواية مرقس تم بناؤها من أجل وضع أقوال يسوع في سياقها. يُعتقد في كثير من الأحيان أن تقاليد الأقوال أكثر موثوقية من تقاليد السرد. وهذا يعني أن مرقس واجه مشكلة كتابة رواية متماسكة عن حياة يسوع، وكان بحاجة إلى إدراج أقوال في تلك الرواية. ثم استنتج مرقس نوع البيئة التي نشأ فيها المثل (وربما كان مقتنعًا بأنه كان يتصرف من خلال الإلهام، أو تأثير الروح القدس، وليس مجرد اختلاق الأشياء) ثم نسج المثل في روايته.

يحتوي مرقس على جزء (6: 14-16) على الرغم من أنه ليس قولاً ليسوع، إلا أنه قد يكون له معنى آخر. إذا كان يسوع هو يوحنا المعمدان القائم من بين الأموات، فهذا قد لا يعني أنه ميت حرفيًا، بل ميت روحيًا، كما في بولس.

تفكيك موت يوحنا

في الأناجيل الإزائية متى (11: 7-11) ولوقا (7: 24-28)، وإنجيل توما (78)، يسأل يسوع: "مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا؟ أَقَصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟ لا يوجد رابط بين يوحنا المعمدان وهذا القول في إنجيل مرقس أو إنجيل توما أو في نسخة Q المعاد بناؤها. ولا يوجد موت يوحنا المعمدان في نسخة Q ولا في إنجيل توما. يُعتقد غالبًا أن تقاليد الأقوال المنسوبة إلى يسوع أكثر موثوقية من الناحية التاريخية من القصص المرتبطة بها. [11] ومن المحتمل جدًا أن هذا القول لم يكن له أي صلة بيوحنا المعمدان في الأصل، ولكنه أصبح مرتبطًا بوفاته لاحقًا. وهذا يوضح أن هناك جوانب قليلة من الأناجيل لا يمكن المساس بها.

ولكن، إذا كان يوحنا المعمدان قد قطع رأسه فعلاً على يد هيرودس، كما تشير الأناجيل ويوسيفوس الموثوق، فلماذا لا تشير الكتب المندائية إلى هذا؟ يتم توجيه كل أنواع الافتراءات ضد يهود أورشليم، وتتآمر كل أنواع الأحداث الإلهية لمساعدة المندائيين. إذا كان المندائيون يأخذون معرفتهم بيوحنا المعمدان من الأناجيل ويعتبرونه نبيًا يمكنهم من خلاله ربط دينهم بالأديان الإبراهيمية والحصول على مكانة مفضلة كـ "أهل الكتاب"، فلماذا لم يعتبروا قطع رأس يوحنا المعمدان حدثًا مركزيًا؟ سيكون ذلك مناسبًا تمامًا لعقدة الاضطهاد المبررة لديهم. من الصعب فهم لغز يوحنا غير الشهيد من أي منظور. ومع ذلك، كما ذكر ج.ر.س. ميد:

> إن هذا الإغفال لأي إشارة إلى وفاة يوحنا سيكون غير مفهوم، لولا أننا فكرنا في المقام الأول أنه لا توجد أي محاولة في الوثائق المندائية الموجودة لتقديم أي شيء يمكن أن يسمى "حياة" يوحنا، وتخميننا في المقام الثاني أنه على الأرجح لم يتم ربط أي شيء

ذي أهمية عقائدية بطريقة نهايته كما كان الحال في حالة يسوع. [12]

لقد اعتدنا على سيطرة حياة يسوع على الدين المسيحي (بما في ذلك السنة المسيحية، مع مهرجاناتها المركزية عيد الفصح وعيد الميلاد) لدرجة أنه من السهل أن ننسى أن هذا ليس هو الحال مع كل دين. اليهودية هي دين الشعب اليهودي وليست في المقام الأول الدين الذي أسسه إبراهيم أو موسى. إن القرآن الكريم هو الأساس والمرجع الرئيسي للإسلام، ولكن القليل جدًا من حياة محمد يمكن استخلاصه من القرآن وحده. حتى الأحاديث النبوية، وهي تقاليد النبي التي تناقلتها الأجيال شفويا ثم جمعت في النهاية، لا تعطي صورة كاملة عن حياة محمد. ولم يتم نشر السيرة التقليدية إلا بعد عدة قرون من وفاة محمد. لا يُعتبر يوحنا المعمدان مؤسس المندائية. وفي هذا السياق، ربما لا يكون من المستغرب أن المندائيين ليس لديهم تقليد حول وفاة يوحنا. ولكن لا يزال غريبا.

من رأس يوحنا إلى سفر يوحنا

وعلى الرغم من المكانة المتدنية التي كان يتمتع بها يوحنا المعمدان في العهد الجديد، إلا أن المسيحية اعتبرته قديسًا في وقت لاحق، وتمتع بشعبية واسعة في العالم المسيحي. بحسب التقاليد، يُعتقد أن يوحنا المعمدان دُفن في سبسطية في السامرة. بحلول القرن الرابع كان هناك ضريح هناك. لقد تم تدنيس القبر على يد يوليان المرتد كجزء من محاولته الكبرى، ولكن غير المجدية، لإخراج المسيحية من مكانتها المهيمنة واستعادة الديانات الوثنية القديمة في نسخة جديدة. (ربما كان يوليان قد حقق نتائج أفضل مع اختيار تكتيكي أكثر سخاءً.) عيد ميلاد يوحنا الرسمي هو 24 يونيو، وهو تاريخ تم التوصل إليه بطرح ستة أشهر من عيد الميلاد لأن يوحنا قيل أنه تم الحمل به قبل يسوع بستة أشهر. كان يوحنا راعيًا لفرسان الإسبتارية، والمعروفين رسميًا باسم فرسان القديس يوحنا في أورشليم. وفي إنجلترا تم تخصيص 496 كنيسة له. كاسم كنيسة، كان اسمه السادس من حيث الشعبية، مع مريم، وبطرس، وميكائيل، وأندراوس، وجميع القديسين في مرتبة أعلى في القائمة. [13]

في جميع أنحاء العالم المسيحي، هناك أماكن تدعي ملكيتها للآثار الجسدية ليوحنا المعمدان، بما في ذلك روما، وأميان، وميونيخ، وجيتينجي في الجبل الأسود، وإسطنبول، ودمشق، ووادي نطرون في مصر، وسوزوبول في بلغاريا، وسفيتي إيفان (جزيرة القديس يوحنا) على الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأسود.

يحتوي كتاب يعقوب السري على قسم مثير للاهتمام حيث يقول يسوع للتلاميذ: "لقد قُطِعَ رأس النبوة مع يوحنا". [14] عندما احتج يعقوب بأنه من المستحيل قطع رأس النبوة، أخبره يسوع أنه إذا فهم معنى "الرأس" فسوف يعلم أن النبوة تأتي من الرأس. إنها عبارة غامضة لا أدعي أنني أفهمها.

لا يلعب يوحنا المعمدان دورًا كبيرًا على الإطلاق في الكتابات الغنوصية الباقية. [15] في نص نجع حمادي "شهادة الحقيقة"، اعترف يوحنا المعمدان بقوة يسوع على الأردن، مما يعني أن "سيادة الإنجاب الجسدي قد انتهت".[16] يتم تفسير الأردن على أنه "وظيفة الجسد، وملذاته الحسية". ماء الأردن هو الرغبة في الجماع. "ويقصد بـ "يوحنا" [المعمدان] حاكم الرحم." [17]

يقدم كتاب شهادة الحقيقة تفسيرًا زاهدًا ومعاديًا للجنس لأهمية معمودية يوحنا ليسوع. وهذا يتعارض بشكل واضح مع فهم المندائيين لنهر الأردن باعتباره الماء الحي، وممثل العالم النوراني في عالمنا المادي. في نص نجع حمادي المعروف باسم شرح الفالنتينية، يبدو أن نهر الأردن يتوافق مع وجهة النظر المندائية: "معنى يوحنا [المعمدان] هو الأيون، ومعنى الأردن هو النزول أي الصعود، خروجنا من العالم إلى الأيون". [18] وبما أن الغنوصيين الآخرين لا ينسبون إلى يوحنا هذا النوع من المعنى المتسامي، أتساءل عما إذا كان مؤلف شرح الفالنتينية قد كان على اتصال بالمندائيين؟

ولعل النقص الملحوظ في الإشارة إلى يوحنا في الكتابات الغنوصية، على الرغم من كون المندائيين غنوصيين وأتباعًا ليوحنا، يرجع إلى غياب المندائيين عن المواقع الساحلية للبحر الأبيض المتوسط التي تم فيها تأليف الكثير من مواد نجع حمادي.

يوحنا المعمدان المندائيّ

إن تقاليد المندائيين الخاصة بيوحنا متباينة تمامًا. إن كتاب يوحنا المندائي بعيد كل البعد عن كونه سردًا منهجيًا لحياة وعمل المعمدان، ولا يحتوي على الكثير من تعاليم يوحنا. يحتوي قسم "تعليمات يوحنا" في كتاب "كنزا اليمنى " على ما قد يكون التعاليم الوحيدة المنسوبة إلى يوحنا المعمدان خارج العهد الجديد.[19] العديد منها عبارة عن اختلافات على موضوع واحد: "المؤمن مزارع ناجح"، "الشخص الحكيم فنان ماهر"، "الشخص الثابت مثل الجبل" وما إلى ذلك. بعضها مثير للاهتمام، مثل "الحكمة للجاهل مثل المرآة للأعمى"، والتي توحي بالتعاليم الغنوصية؛ وأخرى هي "قمة المعرفة هي عدم الخضوع لإغراءاتك". هناك مثال واحد يبرز بشكل خاص لأنه غير نمطي بالنسبة للأقوال والأمثال العامة لهذه المجموعة القصيرة، كما أنه يتماشى مع الكلمات المنسوبة إلى يوحنا في العهد الجديد: "أيها المختارون والصالحون، احفظوا أنفسكم من الغش والخطايا والكذب والباطل والشر". ابتعد عن الفتن والقسوة والجهل. لا تسبوا ولا تزنوا. تجنبوا الحسد والكراهية، والحقد والحسد، والوقاحة. هذه التعاليم ليست ملحوظة في حد ذاتها ولكنها تتفق مع التعاليم الصارمة المنسوبة إلى يوحنا في الأناجيل. هل يمكن أن يكون هذا الأخير قولاً ليوحنا الذي تناقلته العصور؟

كانت المعمودية المندائية تُستخدم لأغراض التطهير الطقسي وكممارسة دينية منتظمة قياسية للمجتمع لضمان اتصال مستمر مع عالم النور. كانت معمودية يوحنا من أجل مغفرة الخطايا، وهو هدف محدد يميزها في نظر العلماء عن أشكال المعمودية الأخرى. ومع ذلك، في كتاب كنزا اليمنى (11: 20-24) هناك معمودية لمغفرة الخطايا.[20] وهذا يوفر رابطًا لممارسات معمودية يوحنا كما هو موضح.

في العهد الجديد. هل هذا مؤشر على التأثير المسيحي اللاحق على المندائيين، والذي لا يبدو أنه كان كبيرًا على أي حال، أم أنه جزء متحجر من القرن الأول الميلادي مدمج في الكتب المندائية؟

يزعم لوبيري أن معظم العلماء مقتنعون الآن بأن معرفة المندائيين عن يوحنا المعمدان لا تنبع من

تقاليدهم الخاصة ولا من العهد الجديد، بل من الأناجيل المنحولة. ويشير أيضًا إلى أن المندائيين كانوا يعتقدون أن يوحنا كان يعلم لمدة 42 عامًا، [21]لكنه لم يذكر أي إنجيل غير قانوني جاءت منه هذه المعلومات. وقد نتساءل أيضًا لماذا لا يعرف معظم آباء الكنيسة شيئًا موثوقًا به عن يسوع باستثناء ما هو موجود في الأناجيل القانونية؟ وهذا أمر شائع بين علماء المسيحية. قليل منهم من يرغب في السؤال عن سبب قلة ما نعرف عن حياة يسوع وتعاليمه.

يروي كتاب حران كويثا كيف طارد هيرودس يوحنا المعمدان، وأُجبر على الفرار.

محميًا على جبل أبيض. وقد وُصِفَ شيء مشابه إلى حد كبير في إنجيل يعقوب الزائف عندما أخذت إليزابيث أم يوحنا المعمدان وحماته بجبل سحري.[22] والرابط بين القصتين تقريبي ولكنه يوحي بشيء من الغموض، يشبه إلى حد ما الرابط بين الأسفار القانونية غير القانونية والقرآن، كما هو موضح في الفصل السادس "أهل الكتاب". على سبيل المثال، من الواضح أن محمدًا (أو الملاك الذي أملى عليه القرآن، أو الله نفسه) كان يعرف بعض التقاليد الملفقة، ومن المرجح جدًا أنها جاءت من مصادر شفوية. القصص القرآنية التي فيها مريم تلد عيسى تحت نخلة، والتي فيها عيسى يصنع الطيور من الطين، موجودة أيضًا في أناجيل الطفولة المنحولة. إن الرأي القرآني بأن المسيح لم يصلب فعليًا موجود أيضًا في النص الغنوصي، الرسالة الثانية لسيث الأعظم. كلاهما يشير إلى روايات شفوية وجدت طريقها مرة أخرى إلى النصوص المكتوبة.

وكما يُنظر إلى يسوع باعتباره مرتدًا ومسيحًا كاذبًا لدى المندائيين، فقد كان يُنظر إلى يوحنا المعمدان باعتباره نبيًا كاذبًا في المسيحية اليهودية.

وبعد ذلك بكثير لدينا كتابات كليمنت. كُتبت الأدبيات شبه الكليمنتية باسم أحد آباء الكنيسة الأوائل، البابا كليمنت الأول. ويفهم العلماء أن الاعترافات كانت في شكل رواية رومانسية هيلينستية، كما كانت بعض الأمثلة الأخرى للأدب المنحول مثل الأعمال المعروفة مجتمعة باسم الأعمال المنحولة. يهتم هذا الكتاب بشكل خاص بتأثير سمعان الساحر وانتصار القديس بطرس عليه. عادة ما يُنظر إلى سمعان الساحر على أنه الشفرة السرية لبولس والبولينية المسيحية. على الرغم من كتابتها في القرن الثالث/الرابع (وفي وقت متأخر بما يكفي لاستبعادها حتى من العديد من المناقشات حول الأدب المسيحي غير القانوني)، وهي خيالية بشكل واضح في العديد من النواحي (بطريقة أكثر وضوحًا لنا من الأناجيل الكنسية وأعمال الرسل، التي اعتدنا على إسرافها ثقافيًا عبر قرون من الألفة)، إلا أنها تحتوي على جوانب مثيرة للاهتمام. تحتوي الاعترافات على حلقة يدعي فيها أتباع يوحنا أن يوحنا المعمدان هو المسيح وليس يسوع. وقد فسر بعض المعلقين هذا الأمر على أنه لقاء بين المجتمع المسؤول عن الاعترافات ومجموعة معاصرة (في القرن الثالث/الرابع) من أتباع يوحنا. المجموعة الوحيدة المعروفة في ذلك الوقت بأنها اتبعت يوحنا هم المندائيون. ربما لدينا لمحة مبكرة أخرى مثيرة للاهتمام عن المندائيين محفوظة في الاعترافات؟

البتراء والأنباط

لقد رأينا أن النص المندائي يشبه إلى حد كبير النص النبطي (انظر الفصل التاسع). هناك رابط غريب مع يوحنا المعمدان من الممكن أن يفتح الباب أمام كل أنواع الاحتمالات. ونقتبس من يوسابيوس، المؤرخ الرسمي للكنيسة في القرن الثالث:

> وبعد ذلك بفترة وجيزة، قام هيرودس الأصغر بقطع رأس يوحنا المعمدان، كما ورد في الأناجيل. ويسجل يوسيفوس نفس الحقيقة أيضًا، حيث يذكر هيروديا بالاسم، ويصرح أنه على الرغم من أنها كانت زوجة أخيه، إلا أن هيرودس جعلها زوجته بعد أن طلق زوجته الشرعية السابقة، التي كانت ابنة أريتاس، ملك البتراء، وفصل هيروديا عن زوجها وهو لا يزال على قيد الحياة.
>
> وكان ذلك بسببها أيضًا أنه قتل يوحنا، وخاض الحرب مع أريتاس، بسبب العار الذي لحق بابنة هذا الأخير. يروي يوسيفوس أنه في هذه الحرب، عندما وصلوا إلى المعركة، دُمر جيش هيرودس بأكمله، وأنه عانى من هذه الكارثة بسبب جريمته ضد يوحنا. [23]

وهكذا يستخدم المندائيون أبجدية من المحتمل جدًا أنها مشتقة من مملكة الأنباط. كانت زوجة هيرودس أنتيباس الأولى ابنة ملك الأنباط في البتراء. ثم انتقد يوحنا هيرودس بسبب زواجه من هيروديا زوجة أخيه. وبعد ذلك ذهب هيرودس إلى الحرب ضد الحارث ومملكة البتراء النبطية، وفي هذه العملية خسر هيرودس معظم جيشه.

هل يمكن أن تكون الأبجدية المندائية دليلاً على ارتباط المندائيين بيوحنا المعمدان؟ إن اعتراض يوحنا على زواج هيرودس يُفهم عادةً على أنه لأسباب أخلاقية، وهو ما قد يكون عاملاً مؤثراً. ولكن إذا كان يوحنا متحالفًا بطريقة ما مع الأنباط، أو على الأقل متعاطفًا مع المنطقة، فقد يكون هناك عنصر أكثر شخصية. وإذا كانت بلاد النبطية متعاطفة مع يوحنا، فربما كانت مكانًا طبيعيًا يلجأ إليه تلاميذه عندما أصبحت الظروف في يهودا أكثر صعوبة مع تقدم القرن.

كان الهيروديون من أصل أدومي، وهي منطقة تقع جنوب يهودا، حيث ينحدر شعبها، وفقًا للأسطورة، من عيسو، شقيق يعقوب. كانت والدة هيرودس نبطية، وربما عاش لفترة في البتراء عندما كان طفلاً. كانت الدولة النبطية تقع شرق وجنوب البحر الميت. تقع قمران على الشاطئ الشمالي الغربي للبحر الميت. وفي نهاية المطاف، تمكن تراجان من غزو الأنباط وضمها إلى الإمبراطورية الرومانية. وربما كان مثل هذا الحدث هو الذي دفع المندائيين إلى التحرك بعيدًا نحو الشرق. وكما رأينا، هناك أدلة تشير إلى أن تلاميذ يوحنا كانوا معروفين في أماكن بعيدة مثل الإسكندرية وأفسس، لذا فإن وجودهم جنوب شرق البحر الميت، وهو أقرب بكثير إلى نهر الأردن، لن يمثل أي مشكلة من حيث إمكانية تنفيذه. كما تقول دراور:

> هل كان يوحنا المعمدان مرتبطًا بهؤلاء /الناصريين من أبيفانيوس/؟ لم يترك وراءه كتابًا، ولكن هناك آثارًا لاختلافات خطيرة بين تلاميذه وتلاميذ يسوع. ومن المؤكد أن سمعان الساحر لم يكن نصرانيا قط، على الرغم من أن الإنسان الإلهي كان محور نظامه، وكان هو نفسه يدعي أنه المسيا. ولو كان كذلك، ربما كنا وجدنا اسمه، مثل اسم

> يوحنا المعمدان، في صلاة ذكرى النصارى. ... لم يكن يوحنا قط الناطق الرسمي باسم العقيدة النصرانية كما يظهر في المخطوطات السرية، وربما أُدرجت شخصية يوحنا في تاريخ لاحق، لأن اسم يحيى عربي وليس آراميًا. [24]

لكي تكون هناك صلة حقيقية، لن يكون من الضروري أن يكون جميع المندائيين الأوائل مرتبطين بيوحنا المعمدان. ربما كان عدد قليل منهم مرتبطًا بـ يوحنا، وربما أصبح تأثير يوحنا حاسمًا فقط عندما تعرض المجتمع للضغط واضطر إلى الهجرة. لو كانوا مجموعة عرقية من منطقة معينة، فقد يكون لديهم شكل من أشكال الدين السامي المحلي، المتأثر قليلاً بالحضارة الهلنستية. ولو اضطروا إلى الهجرة استجابة للضغوط اليهودية نتيجة للحرب اليهودية ضد الرومان، لكان من الممكن أن يجد المجتمع بأكمله نفسه مضطراً إلى الانتقال. تحتاج المجتمعات التي تتعرض للضغوط إلى عناصر مميزة لتجمع شملها. كما يمكنهم أيضًا تطوير مزيج من العناصر المحافظة العنيدة التي تمنحهم هويتهم، جنبًا إلى جنب مع أنواع الابتكار التي تظهر عندما تكون الثقافة تحت الضغط. وهكذا ظلت لغتهم آرامية وأبجديتهم نبطية، ولكن يوحنا المعمدان ظهر كشخصية جاءت لتمثل إحياء المندائية، التي ينظر إليها الآن على أنها تمتد إلى الوراء في الزمن إلى الإنسان الأول.

الفصل الثالث عشر

يسوع المرتد

"احفظني يا أخي من الإله الذي صنعه النجار!"

إذا كان النجار قد صنع إلهًا، فمن صنع النجار؟

من إنجيل يوحنا، ترجمة جيمس ماكغراث

لا يزال هناك قدر كبير من الاشمئزاز، وحتى المحرمات، فيما يتعلق بانتقاد يسوع، حتى خارج دائرة المسيحيين الذين يذهبون إلى الكنيسة. قد يتمكن العديد من القراء من استيعاب فكرة أن المندائيين يعودون إلى يوحنا المعمدان بسهولة، ولكنهم سيختنقون بعد ذلك بفكرة أن يسوع كان مندائيًا مرتدًا، وخاصة أنه كان شخصية سيئة السمعة إلى حد ما. بالطبع، في الأناجيل يعاشر العاهرات والخطاة وجباة الضرائب، وشاربي الخمر والنهمين، وينتهك السبت ويقوم بأعمال سحرية مثل طرد الأرواح الشريرة، والشفاء، وتكثير الخبز والسمك، وما إلى ذلك. لكن قليل من الناس يرغبون في النظر إلى حقيقة أن هذه كانت أفعالاً مشينة حقاً بالنسبة ليهودي من القرن الأول. وهذا أمر مفهوم. بالنسبة لمعظم المسيحيين، يوحنا المعمدان هو مجرد رجل. ربما اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية قديسًا، وربما تم الاعتراف به باعتباره سلف يسوع، أو حتى نبيًا، لكنه كان مجرد رجل - ليس ابن الله، وليس حتى مسيحيًا.

الجميع يحب يسوع. بالنسبة للمسيحيين فهو المسيا وابن الله. بالنسبة للمسلمين فهو آخر الأنبياء قبل محمد. ويرى العديد من اليهود الآن أنه أحد أصناف حاخامات القرن الأول. يجد الهندوس والبوذيون والطاويون الكثير مما هو مثير للإعجاب في تعاليم يسوع. أبدى جون لينون رأيًا بسيطًا لا يزال يتردد صداه لدى الغربيين ما بعد الدينيين: "بالطريقة التي أراها بها، كان يسوع صالحا، لكن تلاميذه كانوا أغبياء وعاديين". كان الغنوصيون القدماء الممثلون في مكتبة نجع حمادي والكتابات الهراطقية لآباء الكنيسة يعتقدون أن ما في جنة عدن لم يكن الإله الحقيقي بل إلداباوث، الديميورج الشرير أو الجاهل ذو رأس الأسد؛ وبالنسبة لهم، لم يكن موسى نبيًا حقيقيًا، بل كان أداة في يد الديميورج. لقد قلب الغنوصيون الكثير من افتراضاتنا التقليدية حول قصص الكتاب المقدس رأسًا على

عقب. لكنهم لم يقولوا كلمة واحدة ضد يسوع. [1]

الجميع يحب يسوع – باستثناء المندائيين. وهنا يجب أن أضيف مرة أخرى أن المندائيين المعاصرين ليسوا معادين للمسيحية. لطالما شعر المندائيون العراقيون والإيرانيون بقدر أكبر من التشابه مع المسيحيين في مناطقهم مقارنة بالمسلمين أو اليهود. ومع ذلك فإن العداء مع يسوع هو أساس قصتهم حول كيفية مغادرتهم فلسطين إلى العراق وإيران، وبالتالي كيف أصبحوا مندائيين.

إن التفسير المندائي لقصة يسوع هو تفسير جذري. وهي مليئة أيضًا بعناصر أسطورية وخرافية واضحة: حيث يتم ربط يسوع مع نبو، إله الكواكب البابلي عطارد. أم يسوع هي روحا، الروح الشريرة الأنثوية. لم يستقبل يوحنا المعمدان يسوع باعتباره المسيا المنتظر، بل خدع يسوع يوحنا ليعمده. يُعطى يوحنا المعرفة الإلهية عن دوافع يسوع ونواياه، ويُنصح بالمضي قدمًا فيها. فهل من الممكن أن تكون هذه الأكاذيب من صنع المندائيين لتبرير بعض الأحداث اللاحقة؟

ربما في مرحلة ما من تاريخهم كان المندائيون معرضين لخطر الاندماج في المسيحية. لقد ساهمت قصة كون يسوع مسيًا كاذبًا في التأكيد على الاختلافات بين المندائيين والمسيحيين. في حين أنه من الممكن بالتأكيد أن تكون هذه القصص من تأليف الكهنة المندائيين في وقت لاحق، فمن الممكن أيضًا (إن لم يكن من المرجح) أنها تحافظ على بعض الذكريات التاريخية عن يسوع ويوحنا المعمدان. إذا كان الأمر كذلك، فربما نرى يسوع من منظور مختلف.

لقد اعتدنا على افتراض الحقيقة التاريخية الأساسية للأناجيل. إن البحث عن يسوع التاريخي مستمر منذ القرن التاسع عشر. إن يسوع التاريخ هو الشخص الذي سيتم الكشف عنه من خلال تطبيق الأساليب النقدية التاريخية المعتادة على الأناجيل بنفس الطريقة التي قد نستخدمها مع أي مصادر وثائقية. يبدو أن نتيجة البحث عن يسوع التاريخي تعتمد على ما يضعه المحقق فيه. يجد الإنجيليون البروتستانت والكاثوليك المتشددون أشخاصًا مثل يسوع يتوافقون مع توقعاتهم الحالية. المسيحيون الأكثر ليبرالية، بغض النظر عن هيمنة أي منهم، يحصلون على يسوع ليبرالي. من ناحية أخرى، فإن العلماء القلائل الذين يبحثون في العهد الجديد وآباء الكنيسة بسبب الفضول الفكري (إنهم فرقة صغيرة ولكنها متنامية) يخرجون من بحثهم بقليل من الكنز. وكما هو الحال مع تأريخ الكربون المشع، فإن البحث التاريخي النقدي الحقيقي عن يسوع هو أسلوب مدمر. يبدو أن البدائل هي إما تأكيد تحيزات الشخص نفسه أو أن يجد نفسه غير قادر على قول الكثير عن يسوع على الإطلاق.

الرجل المختفي

لقد لخص البروفيسور ستيفان ديفيز البحث عن يسوع التاريخي بإيجاز على النحو التالي:

> من ... أقدم النصوص المسيحية التي بقيت لدينا، رسائل العهد الجديد، لا تظهر أي اهتمام تقريبًا بحياة أو تعاليم يسوع. باستثناء أسبوعه الأخير على الأرض، لا يوجد تقريبًا أي اهتمام من هذا القبيل في أعمال الرسل. لقد تأخر الاهتمام بقصة حياة يسوع بشكل مدهش، وعندما تطور فقد حدث ذلك بالكامل تقريبًا من خلال إعادة صياغة

وإنشاء أساطير غير تاريخية وقصص معجزات، وفي حالة إنجيل يوحنا، روايات عن إله جاء إلى الأرض. في الواقع، هناك روايتان فقط، رواية مرقس ورواية يوحنا، وقد تعتمد الرواية الأخيرة على الرواية الأولى في سردها الأساسي. ...

إن الإيمان بوجود يسوع التاريخي يبدأ بحقيقة أن لدينا العديد من الروايات للسيرة الذاتية عن حياته: الأناجيل السردية لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا ويعقوب، وقائمتين طويلتين على الأقل من أقواله، وإنجيل توما و *Q*، ورسائل المسيحيين المؤسسين، وخاصة رسائل بولس وبولس الزائفين. يميل العلماء اليوم إلى افتراض أن هذه المواد، على الرغم من أنها ليست دقيقة بالتأكيد وفقًا للمعايير التاريخية للقرن الحادي والعشرين، جيدة بما يكفي للعمل الديني، وجيدة بقدر أي سبب تتوقعه من الأشخاص الذين كتبوا منذ زمن طويل جدًا. لكنها ليست مصادر جيدة على الإطلاق للحصول على معلومات تاريخية عن يسوع. في الواقع، منذ أكثر من قرن من الزمان، وجد علماء العهد الجديد أدلة على أن ما يبدو أنه روايات سيرة ذاتية عن حياة يسوع هي، مع استثناء واحد محتمل، أعمال خيالية.

إن التفكير للحظة واحدة سوف يكشف أنك، أيها القارئ الكريم، تعرف عن حياة يسوع أكثر مما يعرفه متى أو يعقوب أو لوقا أو يوحنا. لقد قرأت كل أعمالهم وإنجيل توما أيضًا، وإنجيل مرقس، وإنجيل *Q* المُعاد بناؤه. لم يكن لدى أي من المؤلفين المقدسين هذا القدر من المصادر المكتوبة كما لديك. إن الاستئناف إلى معرفتهم بالمصادر غير المكتوبة لا معنى له، فإذا كان لدى أي منهم مخزون كبير من المعلومات لم يدمجها في كتاباته، فإننا لا نعرف شيئًا على الإطلاق عنها لأنهم لم يعتقدوا أنها مهمة بما يكفي لاستخدامها.

إن سيرة يسوع المسيح في الواقع منقولة من خلال إنجيل سردي واحد فقط، وليس خمسة. إن إنجيل يوحنا ويعقوب خياليان، أما النسخ المنقحة من إنجيل مرقس، أي إنجيلي لوقا ومتى، فهي روايات خيالية إلا بقدر ما تتبع إنجيل مرقس إذا كان مرقس مصدرًا تاريخيًا صالحًا. إذا كان هناك إنجيلٌ يُقدّم معلوماتٍ موثوقةٍ عن سيرة يسوع، فهو إنجيل مرقس وحده. لكن إنجيل مرقس بعيدٌ كل البعد عن الموثوقية. [2]

هناك نهج آخر لفهم يسوع التاريخي، وهو النهج الذي اقترحه ن. ت. رايت، الذي يدعو إلى أسلوب اختبار الفرضيات. ويستخدم هذه الطريقة ليستنتج شيئًا مثل "لقد كان حقًا ابن الله". ولكن ليس من الضروري أن تكون، مثل رايت، إنجيليًا ملتزمًا لتتمكن من لعب هذه اللعبة. دعونا نحاول طرح فرضية من المنهج المندائي: لقد حرّف يسوع تعاليم يوحنا المعمدان.

يوحنا المعمدان يعمد ويبشر بمغفرة الخطايا. حركته يهودية، ولكنها، مثل الأسينيين والجماعات الأخرى، لا تضع أي ثقة في النظام المركزي والمخترق لمعبد أورشليم. ربما كانت له بعض الصلة بالإسينيين، ولكن في حين أن مجتمعاتهم كانت منغلقة على ذاتها ومقيدة ـ ويتجسد ذلك في الصهاريج الحجرية المستخدمة لجمع المياه للاستخدام الطقسي ـ فإن معموديات يوحنا كانت في العراء، على

ضفاف نهر الأردن المهيب. مثل الإسينيين، يرى يوحنا العالم كساحة معركة بين قوى النور والظلام. كانت اليهودية في ذلك الوقت مزيجًا غنيًا من التأثيرات الثقافية والتقاليد الشعبية، الممزوجة بالكتاب المقدس والتقاليد الدينية الراسخة. كانت الكتابات غير القانونية تتطلع إلى نهاية الأيام، إلى المعركة النهائية بين الخير والشر، والنور والظلام. تناولت الأدبيات اليهودية غير التقليدية شخصيات توراتية غامضة مثل سيث وأخنوخ بشكل كبير. وظهرت نظريات كونية معقدة، مع وجود ملائكة ربما أساءوا استخدام مناصبهم كنواب للرب، وإذا كانت هناك كيانات شبه إلهية حولها تلغي إرادة الإله الواحد، فربما خُدع بعض الناس ليعبدوها بدلاً من الإله الحقيقي. ربما كان الكهنة والملوك والمتعاونون المتعطشون للمال والسلطة يعبدون الإله الخطأ؟

ماذا لو كان الرب أدوناي، الذي تجول في كتب الكتاب المقدس العبري، ليس هو الإله الحقيقي المتعالي، بل إله الظلام - إله المادة وليس الروح؟ هل تم معرفة الإله الحقيقي وسط صيارفة المعبد الذي كان بمثابة مسلخ ضخم، أم في التجربة الروحية المباشرة التي تولدت من خلال معمودية غامرة طوعية أجراها شخص بدا وكأنه يعيش الحياة؟ إنها ليست سوى خطوة صغيرة من بيئة الأسينيين والأبوكريفا التوراتية إلى الغنوصية. فهل كان يوحنا المعمدان هو من اتخذ هذه الخطوة؟ وربما كان سمعان الساحر، وميناندر، ودوسيثيوس، والمندائيون كلهم يتبعونه. من المؤكد أن هذا مجرد تكهنات، ولكن هذا ينطبق أيضًا على الكثير من الدراسات المتعلقة بالأصول المسيحية.

ماذا لو اتخذ يسوع نصف خطوة فقط - وعند قيامه بذلك وجد أنه لا يستطيع المضي قدمًا نحو المندائية البدائية النامية، ولا العودة إلى أي نوع من اليهودية السائدة؟ لا يوجد دور ليهوذا في الحكايات المندائية، على حد ما تمكنت من رؤيته. ربما لأن يسوع نفسه كان له الدور السلبي. قد يكون من المغري أن نرى أن المندائيين قد قاموا بتكييف العلاقة بين يسوع ويهوذا لتتوافق مع يوحنا المعمدان ويسوع على التوالي، ولكن لا توجد أوجه تشابه كافية لإثبات ذلك. إن يسوع ليس تلميذاً موثوقاً يخون يوحنا، ولا يكون يسوع مسؤولاً عن موت يوحنا بأي شكل من الأشكال، في حين أن خيانة يهوذا هي التي أدت مباشرة إلى صلب يسوع.

التراخي مع التوراة

في التقاليد الحاخامية في القرون الأولى الميلادية، كانت الجليل تتمتع بسمعة سيئة فيما يتعلق بالتراخي في تطبيق الشريعة اليهودية، على الرغم من أن تدفق الحاخامات اليهود وضع حدًا لهذا في النهاية. في الأناجيل، تم تصوير يسوع على أنه ينتهك قانون التوراة من أجل قضية أسمى، عندما كان يقطف القمح في يوم السبت، أو يشفي المرضى في يوم السبت، أو يختلط بجابي الضرائب والعاهرات. عندما انضم غير اليهود إلى الحركة المسيحية المبكرة بعد موت يسوع، سمح بولس بإلغاء الممارسات الدينية اليهودية الأكثر تحديدًا - ختان الذكور وممارسات الطعام الكوشر. على الرغم من أن العديد من المسيحيين اليهود، حتى القرن الثاني، حافظوا على الشريعة اليهودية وكانوا يهودًا عرقيًا وثقافيًا، إلا أن معظم اليهود ربما نظروا إلى المسيحية على أنها شكل غريب من أشكال اليهودية التي سمحت

بالممارسات غير النظيفة.

ولم تكن سمعة المسيحيين مختلفة بين المندائيين. ولم يلتزم المسيحيون بالممارسات المندائية، كما رأوا، لأن يسوع كان كسولاً للغاية. وكما يقول المندائيون: "ديننا صعب جدًا". [3]

ليس من المعتاد أن نحظى بفرصة الوصول إلى أي وجهة نظر معادية ليسوع. يزعم مورتون سميث أن يسوع كان ساحرًا، كما يتضح من العديد من أفعاله في الأناجيل، مثل الشفاء والتفاعل مع الشياطين. كانت هذه من بين الاتهامات التي وجهها الوثني الروماني سيلسوس، الذي ذكر بشكل سيء السمعة أن يسوع هو الابن غير الشرعي للجندي الروماني بانتيرا، والكتاب اليهودي المزيف المناهض للإنجيل "سفر تيلدوت يشوع" (كتاب حياة يسوع)، الذي يروي كيف اقتحم يسوع الهيكل لمعرفة الاسم السري لله حتى يتمكن من استخدامه لأغراض سحرية، وقد وشم الاسم على فخذه لأنه يعلم أنه سيتم مسحه من ذاكرته بمجرد خروجه من الهيكل. إن النظرة المندائية إلى يسوع تقدم لنا مثالاً آخر في هذا السياق. [4]

مسألة يوحنا

على الرغم من أن العلماء السابقين قد لعبوا بإمكانية أن تكون الغنوصية على الطراز المندائي قد دعمت المجتمع المرتبط بالإنجيل الرابع ويوحنا الإنجيلي (مجتمع يوحنا)، إلا أنها ليست فكرة مؤثرة في الوقت الحاضر. باستثناء المندائيين أنفسهم - وعلى ما يبدو، الليدي دراور في كتابها الأخير غير المنشور - لم يفكر أحد بجدية في أن يسوع كان مندائيًا بدائيًا. هناك عداء واسع النطاق حتى تجاه فكرة وجود عناصر غنوصية أولية في تعاليم يسوع، أو حتى تلميحات صغيرة من التشابه. ربما لا يوجد. ولكن ما لم تُؤخذ الفكرة على محمل الجد، ويبادر بها أحد، فلن نعرف أبدًا.

هناك الكثير في النصوص المندائية عن يسوع، لكن المسيحية المبكرة لم ترد بالمثل. ما لم نعتبر كل إشارة إلى يوحنا المعمدان بمثابة إشارة محتملة إلى المندائية (وهو ما قد يكون صحيحًا)، فلن يكون لدينا ما نناقشه عندما ننظر في الاتجاه المعاكس، من المسيحية إلى المندائية. ومع ذلك، هناك روابط محتملة في بعض المواضيع المشتركة بين المندائية وإنجيل يوحنا. يوحنا المعمدان هو أول شخص يظهر في إنجيل يوحنا، ومع ذلك يتم التأكيد على أنه على الرغم من أنه جاء "ليشهد للنور" ... "لم يكن النور" (يوحنا 1: 7-8).

وعلى الفور فإن صورة النور تمنحنا أرضية مشتركة مع المندائيين، الذين يعتبرون أن ما يعادل الجنة بالنسبة لهم هو عالم النور. يعتقد الباحث البارز ريموند إي. براون أن إنجيل يوحنا يبذل جهدًا كبيرًا للتقليل من أهمية المعمدان لأن جماعة يوحنا كانت في ذلك الوقت في نزاع مع أتباع يوحنا المعمدان المتبقين. [5]

الرسول يوحنا نفسه ليس شخصية مهمة بشكل واضح في إنجيل يوحنا. [6] في الواقع، يشغل يوحنا المعمدان مساحة أكبر بكثير، على الرغم من أن أهميته ومكانته تم التقليل منها عمدًا من قبل مؤلف

الإنجيل. لا يحتوي أي من الأناجيل القانونية على أي إشارات داخلية تعطي المؤلف المفترض أي أهمية خاصة داخل النص. [7]ومن الممكن أيضًا أن يكون اسم الإنجيل يوحنا بسبب وجود يوحنا المعمدان في البداية.

كان عالم اللاهوت الألماني رودولف بولتمان، أحد عمالقة العلماء، هو من زعم أن هناك تشابهًا بين إنجيل يوحنا، وأناشيد سليمان، والأدب المندائي والمانوي. وبدلاً من رؤية تأثير مباشر من إنجيل يوحنا على هذه الكتابات الأخرى، فقد اعتقد أن الغنوصية ما قبل المسيحية كانت أساس كل منها. أصبحت آراؤه مؤثرة للغاية ومحددة لعقود من الزمن، وخاصة في الدراسات الأكاديمية الألمانية، لدرجة أنها أثارت ردود فعل عنيفة. صحيح أن الكثير من أعماله عبارة عن تكهنات، ولكن التناقضات والمفارقات الموجودة في العهد الجديد والتي كشف عنها النقد العلمي تتطلب قدرًا من التكهنات.

ورغم أن آراء بولتمان أصبحت الآن موضع شك، فربما تؤدي الموجة الجديدة من العمل العلمي حول المندائيين إلى تجدد النقاش حول التأثيرات المتبادلة بين المجتمع اليوحناوي والمندائيين. من الممكن تمامًا أن إنجيل يوحنا يؤكد على الإيمان بيسوع باعتباره الطريق الوحيد للخلاص كرد فعل ضد الجماعات المتنافسة مثل أتباع يوحنا المعمدان أو الغنوصيين الأوائل. أما ما إذا كان هؤلاء الأتباع المعينون ليوحنا المعمدان من المندائيين الأوائل فهذه قضية أخرى. ربما لم يعد المندائيون موجودين في فلسطين. على أية حال، كلما فكرت في الأمر أكثر، كلما بدت لي التشهيرات المندائية ليسوع ومجموعة الإهانات الموجهة إلى يوحنا المعمدان الموجودة في الإنجيل الرابع ورسائل يوحنا ورؤيا يوحنا وكأنها صور طبق الأصل من بعضها البعض.

الفصل الرابع عشر

موطن المعمدانيين

إذا كانت دلالات أساطيرهم صحيحة، فلا بد أن المندائيين كانوا مهاجرين ذوي خبرة في فترات مهمة من تاريخهم. ومن المؤكد أنهم لم يكونوا فريدين من نوعهم في هذا. طُرد اليهود أولاً من القدس بعد الحرب اليهودية الأولى، ثم من يهودا نفسها بعد ثورة بار كوخبا والحرب اليهودية الثانية. لا بد أن هذه الأحداث كانت على نطاق مماثل لأزمات اللاجئين الحديثة، على الرغم من أننا قد نتخيل أن الشعوب القديمة كانت في بعض النواحي أكثر قدرة على التكيف مع فقدان الوطن وسبل العيش منا.

علينا أن نعترف بأننا لا نملك حتى مخططًا عامًا لتحركات المندائيين. كل هذا مجرد تكهنات، ولكن بعض الفرضيات تتوافق بشكل أفضل مع معرفتنا غير الكاملة بالعالم القديم من غيرها. إن هجرة واحدة كبيرة الحجم تناسب متطلبات الأسطورة والقصص من حيث السرد والمعنى، ولكن من المرجح أن أي حركة حدثت على مراحل؛ فقد افترض كورت رودولف حدوث هجرات متتالية في القرن الأول، وربما قبل ذلك.

ذكر إدوين ياموتشي أن أي أسلاف للمندائيين لا بد وأن يكونوا غير يهود لكنهم على دراية بالكتاب المقدس العبري أو العهد القديم. وفقًا لمنطقه - وهو محاولة لرسم بصمة ثقافية لشعب مندائي بدائي - فإنهم كانوا معادين لليهود، ويتحدثون شكلاً من أشكال الآرامية، ويستخدمون الأبجدية النبطية، ويعبدون إله جبال حوران، وربما اتبع بعضهم يوحنا المعمدان.

يتصور ياموتشي أن الحدث المحفز الكارثي هو الحاجة إلى الهروب من الهجمات اليهودية في المنطقة الواقعة شرق نهر الأردن عشية الحرب التي شنها المتمردون اليهود ضد روما. بدا له أن أنطاكية كانت بمثابة حجر الأساس في رحلتهم، حيث ربما التقطوا عناصر غنوصية من مجموعات ميناندر.

من المرجح أن تكون هذه نقطة انطلاق في رحلتهم، حيث ربما التقطوا عناصر غنوصية من مجموعات ميناندر. وربما كانت الضغوط الإضافية قد دفعتهم إلى التوجه شرقًا إلى بلاد ما بين النهرين، مع إقامات في حران ثم تلال ميديا في أديابين. ثم قاموا برحلة أخيرة نزولاً نحو أهوار الجنوب، حيث وجدوا درجة من الاستقرار والأمن، ثم بعض التوسع الإقليمي (على النطاق المتواضع الذي كان يتمتع به المندائيون) حتى وصلوا إلى بغداد قبل أن يتدخل الإسلام ويغير طبيعة العراق إلى الأبد.

هذه هي تخمينات العلماء. ولكن هناك الكثير مما يمكن أن يقال عن هذه النظرية التي تقدم إجابات معقولة للعديد من القضايا المعروفة.

ومع ذلك، فإن جوريون باكلي، الخبيرة الحية الرائدة في المندائية وصديقة المندائيين، هي التي قدمت الاقتراح الأكثر إقناعًا بشأن موقع وأصل المندائيين المبكر. الكاتبة المبكر الأكثر شهرة والتي يمكن تأريخه من خلال بيانات النسخ (على الرغم من أنه ليس الأقدم على الإطلاق) هي زازاي، من حوالي عام 270 بعد الميلاد. كان هذا خلال العصر الساساني المبكر. ومع ذلك، لن يكون من الدقة الاعتقاد بأن زازاي قامت فجأة بتأليف كل هذه النصوص بنفسه. الكتب المندائية، مثل جميع الكتب الأخرى تقريبًا، لا معنى لها إلا بالنسبة للمجتمع الديني. ولا تعد الكتابات المندائية المبكرة مجرد نتاج فرد ملهم قام بتأليف تنويعات غريبة داخل مجتمع مسيحي أو يهودي. لو كان المندائيون في يوم من الأيام جماعة يهودية أو مسيحية غير تقليدية، فإن تلك المرحلة قد ولت منذ زمن طويل. وبالتالي، لا بد أن زازاي كانت تكتب تتويجًا لتقليد شفوي طويل، حيث كانت تكتب لمجتمعها ودينها الخاص.

لن يكون من الضروري أن يمارسوا هذه الشعائر حتى يكون المندائيون يهودًا عرقيًا (مهما كان معنى ذلك في القرن الأول). وكان هناك بعض المتحولين اليهود البارزين في تلك المرحلة مثل الملكة هيلانة ملكة أديابين وأبنائها في شمال بلاد ما بين النهرين. ربما كان لابنها وخليفتها إيزاتيس دور مباشر في هجرة المندائيين.

وبما أن المندائيين لا يمارسون الختان، ويعتبرونه تشويهاً يمنع أي ذكر من الكهنوت، فهل يعني هذا أنهم من نسل غير اليهود؟ أم أنهم في وقت ما تركوا الختان؟ إذا كان الأمر كذلك، فقد يكون ذلك وسيلة لتمييز أنفسهم عن المجتمع المجاور الذي كان يمارس ختان الذكور، على الرغم من أنه ليس بالضرورة مجتمعًا يهوديًا لأن العديد من المجموعات العرقية في المنطقة الأكبر كانت تمارسه.

من المؤكد أن هناك ما يكفي من التشهير باليهود في الكتب المندائية، وقد قدمت المسيحية مثالاً على مدى سرعة تحول حركة من طائفة يهودية متطرفة إلى حركة عابرة للأعراق تخلت عن المبادئ اليهودية الأساسية مثل الختان وقوانين الطعام الكوشر. ألقى اليهود باللوم على يسوع لكونه يهوديًا مرتدًا؛ وألقى المندائيون باللوم على يسوع لعدم مراعاتهم لطهاراتهم وممارساتهم الطقسية. إذا كان من بين سكان المندائيين الأوائل الأنباط أو الشعوب الأخرى التي اعتنقت اليهودية (ووفقًا للجغرافي سترابو، كانت الأنباط - وخاصة البتراء - موطنًا لمجموعة متنوعة من المجموعات العرقية)، فإن هويتهم الدينية اليهودية ربما كانت سطحية فقط. كان بإمكان اليهود العرقيين، عندما واجهوا هيرودس أنتيباس المحارب أو الاضطرابات السياسية المتزايدة في يهودا في القرن الأول، أن يرفضوهم بسهولة، مما أدى إلى نشوء مجتمع لديه بعض المعرفة والتعاطف مع الدين اليهودي لكنه أراد أن يضع المياه الزرقاء الصافية المجازية لنهر الأردن بينهم.

ومن ناحية أخرى، كان اليهود سيبادلون العداء، ويعاملون المندائيين كزنادقة. أو ربما هم من بدأوا ذلك. كانت المجتمعات المندائية تؤسس نفسها وتعزز شكل دينها في نفس الوقت الذي كان فيه

اليهود يكتشفون كيف يمكن لدينهم أن يتكيف ويتطور بعد تدمير الهيكل. كانت الأكاديميات اليهودية في بلاد ما بين النهرين التي شاركت في تدوين القانون الشفوي اليهودي، والذي أصبح التلمود، قريبة إلى حد ما في موقعها من المجتمعات المندائية. كان الوجود اليهودي في بابل قديمًا، ويمتد دون انقطاع إلى السبي إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد.

الأنباط القدماء

كان الأنباط شعبًا مثيرًا للاهتمام، وكانوا في الغالب من العرب العرقيين الذين تحدثوا بحلول القرن الأول لهجة آرامية. كانت بلادهم تغطي مساحة واسعة منحتهم السيطرة على طرق التجارة المربحة التي كان يمر عبرها البخور المطلوب بين ديانات الشرق الأوسط وخارجه.

كان لدى المندائيين نساء كاهنات وكاتبات في الماضي. تمتعت المرأة النبطية بمكانة عالية نسبيًا، وكانت قادرة على امتلاك الممتلكات ووراثتها. ظهرت ملكات الأنباط على العملات المعدنية إلى جانب أزواجهن. هل من الممكن أن يكون هذا هو مصدر التقدير الكبير للمرأة في المندائية القديمة؟ وهل ينعكس نفور الأنباط المزعوم من الأمور العسكرية في سلمية المندائيين؟ ربما - على الرغم من أن الأنباط تمكنوا من صد هجمات هيرودس أنتيباس بنجاح كبير، إلا أن هذا لا يعني أنهم كانوا مسالمين. وعن الأنباط، يقول سترابو: "إن جزءًا كبيرًا من البلاد خصب وينتج كل شيء باستثناء زيت الزيتون. وبدلًا منه يستخدمون زيت السمسم. ومن المثير للاهتمام أن المندائيين يستخدمون زيت السمسم في المسحات بدلاً من زيت الزيتون الذي يستخدمه اليهود والمسيحيون. [1]

كانت دمشق تحت سيطرة الأنباط بشكل متقطع منذ القرن الأول قبل الميلاد. حكم الزعيم النبطي الحارث الرابع دمشق لفترة وجيزة في الوقت الذي اضطر فيه الرسول بولس إلى الهروب من المدينة خوفًا على حياته: "... فِي دِمَشْقَ وَالِي الْحَارِثِ الْمَلِكِ كَانَ يَحْرُسُ مدِينَةَ الدِّمَشْقِيِّينَ يُرِيدُ أَنْ يُمْسِكَنِي، ٣٣ فَتَدَلَّيْتُ مِنْ طَاقَةٍ فِي زَنْبِيلٍ مِنَ السُّورِ، وَنَجَوْتُ مِنْ يَدَيْهِ." (2 كورنثوس 11: 32-33).

ومن الغريب أن كلمة "نبطي" قد استخدمت كمرادف لكلمة "صابئ" من قبل الكتاب المسلمين. لقد استخدم موسى بن ميمون مصطلح الصابئة للإشارة إلى الوثنيين الباقين على قيد الحياة، ومع مرور الوقت أصبح كلا المصطلحين يعنيان الوثنية. حتى الكاتب ويلفريد ثيسيجر في القرن العشرين، الذي يُعد كتابه "عرب الأهوار" من كلاسيكيات السفر، كان يعتقد أن المندائيين نوع من الوثنيين - وهو مصطلح غامض للغاية، يشير في أوسع أشكاله إلى كل دين ليس يهوديًا أو مسيحيًا أو مسلمًا. وهكذا كان من الممكن أن يُعرف الصابئة المندائيون بالأنباط في العصور الوسطى. أم أن هذه مجرد خدعة في التسمية؟ [2] إذا كان المندائيون الأوائل قد غادروا منطقة الأردن في أوائل القرن الأول، في الثلاثينيات، فربما لا يشيرون إلى قطع رأس يوحنا على يد هيرودس أنتيباس لأن الأخبار الموثوقة لم تنتشر بعد قبل أن يبدأوا هجرتهم.

حران الداخلية

إن مفتاح فهم هجرة المندائيين يكمن في كتابهم المقدس، حران كويثا:

> فاستقبله حران كويثا *(حاران الداخلية)* وتلك المدينة التي كان فيها النصارى، لأنه لم يكن هناك طريق للحكام اليهود. وكان فوقهم الملك أردبان *(ارتابانوس)*. وترك ستون ألفًا من النصارى علامة السبعة ودخلوا جبال ميديا *(فورا دميداي)*، وهو المكان الذي تحرروا فيه من سيطرة جميع الأجناس الأخرى. وبنوا بيوت عبادة *(بم أنديا)* ومكثوا فيها حتى انتهت دعوتهم. [3]

كما ناقشنا في الفصل الخامس، هناك عدة مواقع في الشرق الأوسط تحمل اختلافات في اسم حران، بما في ذلك منطقة شرق دمشق وغرب جبال جبل حوران (المعروفة أيضًا باسم جبل الدروز، نظرًا لكونها موطنًا أسلاف الدروز).[4]وهناك أيضًا وادي حوران على الحدود الأردنية/السعودية/العراقية، والذي يقع هو نفسه تحت تهجئة الاسم البديل وادي حوران ووادي حاوران.[5] يوجد في وادي حوران نهر موسمي يتدفق إلى نهر الفرات بين الجديدة وخان بغدادي.

تزعم باكلي أن "الحران الداخلي" يشير إلى وادي حوران الأسطوري والروحي. في ترنيمة في كتاب الصلاة القانوني، وردت الإشارة إلى "حوران-هوراران، الإشعاع" حيث تم تعميد النفوس التي نزلت إلى الأردن. نحن نواجه مرة أخرى نمطًا من التفكير غريبًا تمامًا عن الفكر الغربي الحديث: مكان تحول إلى كيان أسطوري. تشير باكلي إلى أن التكرار المتلعثم الغريب للمقاطع كان يستخدم أحيانًا في أسماء الكائنات من عالم النور. وهذا يعني أن حوران هوراران يتجسد أسطوريًا ككائن نوراني. هناك إشارة ثانية إلى هوراران مقترنة بكاركاوان، والتي قد تشير إلى صورة من عالم النور لنهر كاركا في خوزستان، المنطقة المندائية في إيران. في إحدى الصلوات الواردة في كتاب الصلاة القانوني، تُقال البركة "في الأردن وفي أرض هوراران". إذا كانت باكلي على حق، فإن الوطن الأصلي للمندائيين موجود في الصلوات والتراانيم المستخدمة حتى يومنا هذا.

"كان عليهم الملك أردبان"

هذه الإشارة الثمينة إلى الملك الذي كان يحكم في وقت هجرة المندائيين موجودة في حران كويثا: "وكان عليهم الملك أردبان".

كان هناك أربعة ملوك من سلالة أرساسيد يحملون اسم أردبان، أو أرتابانوس (انخفاضًا من التقدير السابق الذي بلغ خمسة بعد إعادة تقييم علمية للعملات المعدنية التي تحمل اسم أردبان). كان أرساكيس، مؤسس السلالة، ملكًا للسكيثيين، وهم شعب يعود أصله إلى سهول تركستان وبحر قزوين. وبحلول القرن الثاني قبل الميلاد، اكتسبوا السلطة على جنوب بلاد ما بين النهرين، وظلوا يسيطرون عليها في شكل الإمبراطورية البارثية، مع مشاكل قصيرة مع الرومان، حتى مجيء الساسانيين في القرن الثالث. [6]

ليس معروفًا أي أردبان هو المذكور في حران كويثا. حكم أردبان الأول من عام 128 إلى 124

قبل الميلاد، وحكم أردبان الثاني/الثالث من عام 11 إلى عام 38 قبل الميلاد، وحكم أردبان الثالث/الرابع من عام 79 إلى 81 قبل الميلاد، وتوفي أردبان الرابع/الخامس في عام 226 قبل الميلاد. لقد كان الأردبان الأخير خيارًا شائعًا، لكن ذلك أدى إلى تأجيل هجرة المندائيين إلى القرن الثالث. من المبكر جدًا أن يكون لكتاب "أربان الأول" أي تطبيق مفيد على وجود المندائيين في بلاد ما بين النهرين. ربما كان أردبان الثالث/ الرابع مناسبًا بشكل معقول، وقد بدأ حكمه في نهاية العقد الذي دمر فيه الهيكل في القدس، ولكن من غير المرجح أن يتم انتقال المندائيين إلى بلاد ما بين النهرين في عامين فقط (الحكم القصير لأردبان الثالث/ الرابع). وهذا يترك أردبان الثاني / الثالث. لقد حكم بابل التي كانت تضم طبقة عليا من اليونانيين ولكن كان بها عدد كبير من السكان الساميين، الذين كانوا يتحدثون اللغة الآرامية بشكل أساسي ولكن كان هناك أيضًا يهود. ساعد أردبان الثاني/الثالث إيزاتيس، ملك أديابيني، الذي اعتنق اليهودية، ضد أعدائه.

يخبرنا كتاب حران كويثا أن المندائيين ذهبوا إلى ميديا حيث كانوا "خالين من سيطرة جميع الأجناس الأخرى". ترى باكلي أن المندائيين تلقوا المساعدة من الملك أردبان الثاني/الثالث في أواخر الثلاثينيات، وحصلوا على الدعم لعبور نهر دجلة في طريقهم إلى ميديا (يُشار إلى "جبال ميديا" في الكتب المندائية). ويبدو أن أردبان الثاني/الثالث كان متعاطفًا مع الشعوب السامية. على سبيل المثال، دعم المتمردين اليهود في نيردا على نهر الفرات. كان أردبان محاطا بالأعداء، الرومان إلى الغرب وإمبراطوريات الهند إلى الشرق، حيث يرتبط الملك غوندافور بالمسيحية التوماسية ويظهر في أعمال توما.

يصف سطر بارز في حران كويثا كيف أن المندائيين "تخلّوا عن علامة السبعة". يُفهم عادةً أن الرقم سبعة يشير إلى الكواكب الكلاسيكية، التي لم يتخل عنها المندائيون في دينهم وثقافتهم، ولكن ربما يمكن فهمه على أنه يعني أنهم تخلوا عن التأثير اليهودي، وربما تكون "علامة السبعة" إشارة إلى حامل الشموع ذي الفروع السبعة، المنوراة، وهو رمز لليهودية.

وترى باكلي أن الهجرة إلى ميديا تفسر أيضًا سبب عدم ذكر يوسيفوس للمندائيين كوجود في يهودا حوالي عام 70 بعد الميلاد. شخصيًا، لا أرى لماذا يكون لغياب أي ذكر في يوسيفوس أي معنى على الإطلاق. لم يكن يوسيفوس كاتبًا موسوعيًا: بل كان يكتب عن الأشخاص والطوائف والأحداث التي تناسب اهتماماته وتحيزاته. وباستثناء الإشارة إلى يسوع، والتي من شبه المؤكد أنها مُدخلة، لا يوجد أي ذكر للمسيحيين، ولا لسمعان الساحر، ولا لأي عدد من الشخصيات الحاخامية في القرن الأول.

وفقًا لكتاب "حران كويثا"، بقي المندائيون في ميديا (ميديا) حتى "جاءوا إلى نهايتهم". يبدو هذا وكأن السكان قد انقرضت حياتهم، ولكن قد يعني هذا بسهولة أن وقتهم في تلك المنطقة قد انتهى - وأنهم، لأي سبب من الأسباب، وجدوا أنفسهم على الطريق مرة أخرى. ومن المثير للدهشة، بالنظر إلى كل هذه الإشارات الغامضة وربما المشبوهة، أنه تم العثور على عملات معدنية من العصر الشاراسيني، من جنوب العراق، تحمل نقوشًا تشبه الأبجدية المندائية بالقرب من نهر الكركا وبالقرب

من طريق تجاري رئيسي. يعود تاريخها إلى حوالي عام 180 ميلاديًا. ثم ينتقل الحدث مرة أخرى إلى بلاد ما بين النهرين.

سبعة من القادة المندائيين

يُقال لنا أنه بعد زمن يوحنا المعمدان، تم تنصيب سبعة قادة من قبل أوثرا أنوش بأمر من هيبيل زيوا. وهكذا نجد أنفسنا في منطقة أسطورية مرة أخرى، مع المندائيين الذين يسترشدون أوثرا العالم النوراني. ومع ذلك، فقد حصلنا على قائمة محددة للغاية من الأسماء والمواقع:

– زازاي في بغداد. الأوثرا هيبيل هو والده.

– بابا، ابن جودا، على نهر دجلة وعند مصب نهر الكارون، النهر الإيراني الرئيسي في خوزستان. هذه هي المنطقة من إيران التي يعيش فيها المندائيون حتى يومنا هذا. ذكر ثيودور بار كوناي بابا باعتباره زعيم الكانتائيين، وهي الجماعة الدينية التي لها صلات واضحة مع المندائيين وربما كانت فرعًا هرطوقيًا مبكرًا.

– أنوش، ابن ناتار.

– أنوش سيار، ابن نسابون على نهر الفرات.

– بريك ياور، ابن بهداد في بومبيديت على نهر الفرات، حيث كانت توجد أكاديمية يهودية، بالقرب من مدينة الفلوجة الحديثة.

- بريك ياور، معلم بيان هيبيل، الذي ورد ذكره في العديد من الصفحات.

– نساب بن بهرام من جبال جلازلاك. هذا الموقع غير معروف، ولكن من الواضح أنه في منطقة جبلية.

– سكا ماندا، في المياه القريبة من سلسلة جبال باروان.

– بهيرا، ابن شيتيل، هو "من نسل أردبان ملك النصارى". ونستطيع أن نرى أنه في هذه المرحلة أصبحت مساعدة أردبان للمندائيين أسطورية ويعتبر نفسه ملكًا للمندائيين.

ربما انتشر هؤلاء القادة بعد إقامتهم في ميديا، أو ربما تم التعرف عليهم مع قادة مندائيين آخرين في فترات زمنية مختلفة لأن هذه من بين أقدم الأسماء المندائية المحفوظة لدينا. ربما يكون أقدمها هو اسم آخر من الكولوفون (المنشورات). ومن المثير للاهتمام أن أقدم كاتب يمكن تحديد تاريخه بهذه الطريقة هو امرأة.

يمكن إرجاع تاريخ الناسخة زازاي إلى الربع الأخير من القرن الثالث. لكن الدليل الموجود في نهاية المقال قد يعود بنا إلى ما هو أبعد من ذلك. سلامة، وهي كاهنة وناسخة من حوالي عام 200

ميلادي، كانت ابنة قدرة، التي ربما تكون أقدم مندائية موثقة بشكل موثوق. تكتب باكلي أن سلامة عبارة عن "عدة أجيال" (من المفترض أنها أجيال من النسخ النصي من مخطوطة إلى مخطوطة وليس أجيال الوالدين والأبناء). ويبدو من المرجح أن تاريخ سلامة يعود إلى القرن الثاني، ووالدتها قدرة إلى ما هو أبعد قليلاً. بتقدير متحفظ - مع الأخذ في الاعتبار الحمل في سن العشرين (على الرغم من أن قدرة ربما كانت أكبر سنًا لأنها كانت كاتبة وربما كان الحمل المبكر قد تداخل مع وظائفها المهنية) ومع الأخذ في الاعتبار أن سلامة ربما كانت في الثلاثين من عمرها أو أكثر عندما قامت بنسخ هذا العدد الكبير من المخطوطات - فمن المحتمل أن قدرة ربما ولدت حوالي عام 150 ميلادي أو قبل ذلك. من المحتمل أن أجدادها أو أجداد أجدادها قد شاركوا في هجرة المندائيين. وربما كانوا يعرفون يوحنا المعمدان أيضًا. بعيدًا عن سلسلة النساخ البشريين، تُنسب العديد من النصوص إلى الكتبة الذين هم من أهل النور، ويعودون إلى ما قبل الزمن نفسه.

أصولهم الخفية

وتدريجياً، ظهرت صورة عن الأصول المندائية. ويبدو أنه من المحتمل تمامًا أن يكون لديهم ارتباط مع يوحنا المعمدان. إما في بداياتهم أو في مرحلة ما من حياتهم، ولكن في وقت مبكر، أصبح دينهم شكلاً من أشكال الغنوصية. ويبدو على الأرجح أنهم كانوا هناك في البداية، بين أوائل الغنوصيين. ومن غير المعروف ما إذا كانوا على اتصال بالسيثيين أو بطائفة مرتبطة بتلاميذ يوحنا المزعومين، مثل سمعان الساحر وميناندر ودوسيثيوس. ربما كان الوقت مناسبًا للغنوصية، وكان رد فعلهم واحدًا من عدد من ردود الفعل المماثلة للدين الموجود، والتي نشأت بشكل مستقل إلى حد ما. ربما كان هناك كيان من عالم النور قد ألهمهم وأرشدهم.

ومن موطنهم في الأنباط، قاموا برحلاتهم عبر طرق ضاعت آثارها إلى حد كبير بالنسبة لنا: وادي حوران، ودمشق، وحران، و"جبال ميديا"، ودجلة والفرات، ومستنقعات بلاد ما بين النهرين. لقد عاشوا حياتهم وكان لديهم عائلات ونقلوا دينهم عبر الأجيال. لقد عاشوا وماتوا وذهبوا إلى عالم النور، بعيدًا عن العالم المادي لتيبيل ومخاطر قوى الظلام.

الفصل الخامس عشر

الصمود: آخر الغنوصيين

لم يزعم المندائيون قط أن أصلهم يعود إلى يوحنا المعمدان، على الرغم من قناعتنا بأن هذه هي البداية الحقيقية لقصتهم. المندائي الأول لم يكن يوحنا بل آدم. ولكن ألسنا جميعاً من نسل آدم؟

مصر والطوفان

يقف المندائيون إلى جانب المصريين في روايتهم لقصة خروج اليهود. هل من الممكن حقًا أن يكونوا من نسل المصريين القدماء؟ ومن المرجح أن يكون هذا بمثابة إعادة تصور للتقاليد اليهودية. ولكن، كما هو الحال في كثير من الأحيان، هناك تفاصيل صغيرة قد تشير إلى خلاف ذلك. يستخدم النظام الفلكي المندائي 36 عقدًا من عشر درجات لكل منها، والذي نشأ في مصر ويعتقد البعض أنه سبق تطور الأبراج. هل يمكن أن يكون التقويم المندائي المكون من 360 يومًا بالإضافة إلى خمسة أيام إضافية من بقايا التأثير المصري الذي انتقل عبر القرون؟ أم أن هاتين الميزتين المشتركتين جاءتا من وسطاء بابليين؟

ولم يكن اليهود هم الشعب الوحيد الذي يحتفظ بذكرى الطوفان، الذي ورد في قصة جلجامش وكان تقليدًا في الشرق الأوسط. لدى المندائيين أيضًا تقاليدهم الخاصة حول الطوفان ونوح، والتي ربما عرفوها من رواية الكتاب المقدس.

الأراضي الموعودة

وماذا عن سيلان؟ هل يمكن أن يكون الأصل النهائي للمندائيين في الجانب الآخر من الهند؟ للوهلة الأولى يبدو الأمر مغريًا. يمكن حفظ الأحداث الأكثر غرابة في الأساطير، على الرغم من التشوهات والمبالغات في مثل هذه العملية. هل ظهر المندائيون في مكان ما في شبه القارة الهندية، وقاموا برحلة إلى فلسطين/يهودا، واندمجوا في التقاليد اليهودية ولكن منفصلين عنها، ثم هاجروا مرة أخرى إلى بلاد ما بين النهرين؟ وحتى يومنا هذا، يواصل المندائيون التكهن بالعلاقة بين دينهم ودين من في الهند. من غير المحتمل بالتأكيد. وهنا نرى صناعة الأساطير في العمل. عندما خطط البرتغاليون لنقل المندائيين إلى سيلان كجنود، رأى المندائيون فرصة لتأسيس أنفسهم في بلد لن يتعرضوا فيه للاضطهاد بسهولة كما حدث في العراق. أصبحت سيلان أرضًا موعودة محتملة. لم يكن من المتوقع أن تحدث هذه الهجرة، لكن فكرة سيلان ظلت مهيمنة على الوعي المندائي. في تحول أسطوري،

أصبحت سيلان ليس موقعًا لمدينة مندائية مثالية، بل تم إعادة تصورها كموطنهم الأصلي. يمكن القول بأن الأهوار الجنوبية في العراق، أو غيرها من المواقع حتى الخليج، هي بمثابة جنة عدن. إذا كان المندائيون يعيشون بالفعل في تلك الجنة، فإلى أين يرغبون في العودة؟ لو كان الأمر يتعلق بسيلان، فإن العودة إلى الجنة الأرضية كانت مرة أخرى في الشرق، وراء الأفق، في مكان آخر غير الحاضر الصعب. ولقد كان الحاضر صعبًا بالفعل على المندائيين.

محنة المندائيين

على الرغم من أن المندائيين أصبحوا حاضرين في العالم الأوسع، إلا أن المعلومات المتعلقة بالمندائيين في العالم الغربي سرية وحساسة للغاية. ومع ذلك، تؤكد جوريون باكلي، "يمكنك التواصل مع المندائيين بشكل مباشر، إذا وثقوا بك". استغرق الأمر منها 20 عامًا لتعقب المندائيين في الولايات المتحدة. إنهم لا يتمتعون بشهرة عامة، وهم مسالمون، وليس لديهم طموحات وطنية أو سياسية تتجاوز الرغبة في تجنب الاضطهاد والحفاظ على تقاليدهم. لقد أدى وضع باكلي كباحثة وصديقة للمندائيين إلى اعتبارها بين المندائيين، وفي ظروف معينة، رجلاً فخريًا. [1]في الشرق الأوسط، وصل اضطهاد المندائيين إلى ذروته في أعقاب الغزو الغربي للعراق عام 2003. في ظل نظام صدام حسين، كان المندائيون يتمتعون بوضع رسمي باعتبارهم "أهل الكتاب" - ولكن "بالطبع لم يتم التسامح معهم إلا إلى حد محدود للغاية في عهد صدام حسين لأسباب معقدة فقط"، كما قالت باكلي.

وعلى الرغم من هذه المكانة، فإن المندائيين الذين نشأوا في العراق في العقود الأخيرة لم يُخبروا في كثير من الأحيان إلا بالقليل عن دينهم حتى لا يلفتوا الانتباه إليهم. غالبًا ما يُنظر إلى المندائيين في العراق على أنهم غير طاهرين، مما حد من قدرتهم على المشاركة في الحياة العامة. سام، وهو مندائي يعيش الآن في أستراليا، وصف نشأته في العراق في عهد صدام حسين:

> عندما تعيش في العراق كطفل مندائي، فإنك تكبر في البداية وأنت تشعر بأنك طبيعي. وبعد ذلك، في مكان ما في فصولك الدراسية، قد تجد أن درس الدين، درس الدين الإسلامي، يظهر. وسوف يُطلب منك الوقوف، ثم يطلبون منك الوقوف في الزاوية حيث ينظر إليك جميع الطلاب، باعتبارك مختلفًا. لكن في هذا العمر لا تفهم الفرق، لكنك تشعر به. أو يُقال لك أنك خاطئ وكافر، ويجب عليك مغادرة هذه الفئة، لأنك تجعل هذا الفصل "قذر دينياً". وأيضًا، ستعود إلى المنزل، وستجد أن جدتك ذهبت إلى متجر الخضار، أو لشراء بعض الفاكهة، حيث لم يُسمح لها بلمس السلة أو مجموعة الخضار، لأنك جعلت كل شيء قذرًا دينيًا - وبالتالي يجب تدمير كل ذلك. وعادة ما يتم توبيخك أمام السوق بأكمله، أو الشارع، أو السوبر ماركت، ويتم ذلك على الفور، وتدمير الخضروات. إنه يعطيك انطباعًا نفسيًا بأنك تعاني من شيء خاطئ، وهو نوع من الجذام الديني. [2]

ولم تكن حياة المندائيين في إيران سهلة أيضًا، وخاصة منذ الثورة الإسلامية عام 1979 - "لكن

الوضع هناك مختلف تمامًا من الناحية السياسية". وعلقت باكلي قائلة: "لا أحد يجرؤ على الكشف عن الكثير من المعلومات العامة حول هذا الموضوع". عندما تولى آية الله الخميني السلطة، أزال الوضع المحمي رسميًا الذي كان يتمتع به المندائيون باعتبارهم صابئة، ومدده بدلاً من ذلك ليشمل الزرادشتيين. لقد أثبتت محاولات المندائيين لاستعادة وضعهم المحمي عدم جدواها حتى الآن. وفي إيران يتمركز المندائيون في الجنوب الغربي، بعيدًا عن طهران، وهم غير معروفين لدى السلطات الدينية الإسلامية. يتعين على المندائيين في إيران تسمية أطفالهم بأسماء إسلامية أو فارسية معتمدة قانونيًا، ولا يمكنهم الانسحاب من دروس القرآن الكريم (على عكس اليهود الذين يمكنهم ذلك)، وليس لديهم تمثيل في البرلمان (على عكس الزرادشتيين واليهود والمسيحيين). [3]وقد لخص الباحث مهرداد عربستاني الأمر على النحو التالي:

> ومن المفارقات أن النهضة الإسلامية في إيران بعد الثورة الإسلامية عام *1979* أدت إلى نهضة دينية بين المندائيين. لقد أدى هيمنة الخطاب الديني في النظام الجديد في إيران إلى جعل الهويات الدينية العامل الرئيسي في المجال الاجتماعي والسياسي للبلاد. ومع ذلك، فقد تم استبعاد الديانة المندائية من الديانات القانونية في دستور إيران. وقد فرض هذا تحديات كبيرة على المجتمع المندائي في إيران، بما في ذلك القيود المفروضة على ممارستهم الدينية والتمييز في التعليم والتوظيف. ورغم أن السلطات المحلية تعاملهم بقدر من التسامح، إلا أنهم لم يتمتعوا قط بحقوق أي جماعة عرقية دينية معترف بها بالكامل. [4]

في كل من إيران والعراق، يتم التجسس على الأطفال المندائيين في المدارس ويتم الضغط عليهم للتحول إلى الإسلام. كما أن معرفة اللغة المندائية نادرة نسبيًا، حيث يتحدث معظم المندائيين اللغة العربية أو الفارسية، وهما الآن لغتا بلدانهم المضيفة الجديدة.

كانت باكلي حذرًة للغاية في تقديم تفاصيل محددة عن الوضع الحالي للمندائيين: "بالطبع هذا الأمر حساس للغاية - ومعقد للغاية للإجابة عليه، وخطير. "الكثيرون [في العراق] ماتوا، وأُجبروا على التحول إلى ديانة أخرى، وتعرضوا للتعذيب، وفروا." [5]ومنذ سقوط بغداد وقعت جرائم قتل واغتصاب واختطاف للمندائيين، تقدرها بعض المصادر بأكثر من 80 جريمة قتل في الأشهر القليلة التي أعقبت النصر الغربي. وقد أشار تقرير حقوق الإنسان المندائي السنوي الصادر في نوفمبر 2009 إلى وقوع 63 جريمة قتل و 271 حالة اختطاف، بالإضافة إلى تقارير عن حالات اغتصاب (لم يتم الإبلاغ عن العديد من حالات الاغتصاب)، والاعتداء، والإجبار على اعتناق الإسلام، والنزوح القسري. [6]وقد تحسن الوضع إلى حد ما منذ ذلك الحين، لكن تقرير عام 2014 لا يزال يسرد حالات قتل وسرقات واختطاف وفظائع أخرى.

سامر مسقطي، الذي كان في العراق لرصد الأوضاع الراهنة لصالح هيومن رايتس ووتش، كتب تقريرًا بعنوان "عند مفترق طرق: حقوق الإنسان في العراق بعد ثماني سنوات من الغزو الذي قادته الولايات المتحدة". [7]

وفي معبد الصابئة المندائيين الوحيد في البصرة، روى الزعيم المجتمعي نائل ثيل جنين لـ هيومن رايتس ووتش عن تلك الأمسية في عام 2006 التي أصبحت بداية الصدمة التي لا تزال مستمرة بالنسبة له. أوقف مسلحون ملثمون يحملون أسلحة كلاشنكوف ومسدسات، غانيين، 55 عامًا، أثناء قيادته سيارته في البصرة برفقة ابنه. أجبروا ابنه على النزول من السيارة تحت تهديد السلاح واختطفوا غانيين في سيارته الخاصة. وقال إن خاطفيه ظلوا ينادونه بـ "النجس" وطلبوا منه أن يدفع لهم "الجزية". [8]وعذبه خاطفوه لمدة تسعة أيام بينما أبقوه معصوب العينين ومقيدًا في قبو مظلم. ذراعه اليمنى مليئة بالشظايا من الذخيرة الحية التي أطلقها خاطفوه أثناء عملية إعدام وهمية. بعد أن شعر غانيين بالإهانة بسبب ما تعرض له من قبل خاطفيه، رفض مناقشة المزيد من الأشياء التي فعلوها به على مدار الأيام التسعة. وفي اليوم الأخير، قال إنه بعد أن حصل خاطفوه على فدية قدرها 40 ألف دولار، ألقوه معصوب العينين في كومة من القمامة. وقال غانيين "إن المتطرفين اعتبرونا جزءا من الاحتلال رغم أننا موجودون في العراق منذ ما قبل أن تصبح دولة". "لقد فر معظم أفراد مجتمعنا من العراق ولن يعودوا أبدًا". قال العديد من شيوخ الصابئة المندائيين الذين استمعوا إلى قصته إنهم يعتبرونه محظوظًا لأنه نجا، على الرغم من أن غانيين يقول إنه لا يزال يطارده شبح المحنة ويواصل زيارة مستشار نفسي. [9]

تمكن مسقطي من مشاهدة طقوس التطهير المندائية في أبريل 2010، لكن لم يحضر سوى اثني عشر من المندائيين. إن معموديتهم ليست طقوسًا تقليدية، بل يتم إجراؤها كل يوم أحد وفي الأعياد الدينية من قبل كاهن. أصبحت الصور ومقاطع الفيديو لمعموديات المندائيين متاحة الآن عبر الإنترنت. [10]وفي أعقاب الحرب في العراق، تشتت المندائيون في جميع أنحاء العالم في الشتات. في مسلسله التلفزيوني "حول العالم في *80* ديانة" الذي بثته هيئة الإذاعة البريطانية عام 2009، سافر بيتر أوين جونز، وهو قس أنجليكاني، حول العالم باحثًا في مجموعة واسعة من الديانات القديمة والحديثة، وشارك، حيثما أمكن، في طقوسها. الحلقة الأولى، التي تم تصويرها في أستراليا، تضمنت مجتمعًا مندائيًا صغيرًا في سيدني يؤدون مراسم تعميدهم الأسبوعية في نهر في حديقة عامة. [11]وأوضح الكاهن لأوين جونز: "الماء يمثل النور والإشراق وهو الرحم الذي يتجلى منه كل شيء. كل من يتعمد يصبح مثل الملاك في ملكوت النور. "إن كل التأهيل هو لإعداد هذا الشخص ليكون ملكًا روحيًا."

هناك أعداد كبيرة نسبيًا من المندائيين في السويد وهولندا

وأستراليا وكندا وسوريا والأردن، بالإضافة إلى بعضهم في دول أخرى مثل المملكة المتحدة "وما تبقى في الدول القديمة [العراق وإيران]". وتقدر باكلي أن هناك حوالي 80 ألف من المندائيين الباقين على قيد الحياة في جميع أنحاء العالم. وبحسب بعض المصادر، من بين سكان العراق السابقين الذين بلغ عددهم 30 ألف نسمة، يُعتقد أنه لم يتبق سوى 5 آلاف أو أقل. [12]وقد تناقص عدد الكهنة لبعض الوقت، ولم يتمكن المندائيون المعزولون في الشتات من المشاركة في المعمودية الأسبوعية أو في طقوس أخرى مثل الوجبات أو الأسرار المقدسة للموتى.

لا تتضمن الممارسة الدينية المندائية أي بند يسمح بانضمام أعضاء جدد، وبالتالي من المرجح أن ينخفض عدد المندائيين. يتم مناقشة هذه المسألة بشكل خاص بين المندائيين، ولكن أي تغييرات مقترحة في هذا الشأن هي مجرد تكهنات. إن قضية التحول ليست شيئًا يجب التعامل معه علنًا على الإطلاق، إذا كنت من الخارج. حتى أن المندائيين التقليديين يترددون في الحديث عن الأشخاص الذين تزوجوا من خارج الدين، والذين قد يعتبرون مرتدين. يميل الشباب من أبناء الشتات الجديد إلى الاندماج في مجتمعاتهم الجديدة بنفس الدرجة التي يندمج بها المنفيون العراقيون الآخرون. عانى اللاجئون المندائيون من الاعتقال في أوقات مختلفة، إلى جانب اللاجئين من مجموعات عرقية أخرى ومن بلدان أخرى، في إندونيسيا وأستراليا.

قليل من مجتمعات الشتات المندائية كبيرة بما يكفي للحفاظ على تقاليدها حقًا أو لديها كاهن للحفاظ على المراعاة الدينية الكاملة، وحتى أولئك الذين لديهم مشاكل في العثور على مياه متدفقة غير ملوثة. يعتمد المندائيون في نيويورك ونيوجيرسي على الكهنة الزائرين من حين لآخر، وقد تمكنوا من الاستفادة من حديقة الولاية في نيوجيرسي، والتي تحتوي على نهر نظيف تم استخدامه أيضًا من قبل الجماعات المعمدانية المسيحية.

يحيى سام، مهندس كهربائي مندائي في السويد، يحاول زراعة الآس، وهو نبات أساسي في الطقوس المندائية. ينمو بريًا في العراق ولكنه ليس أصليًا في السويد. إن مناخ السويد البارد يعني أن المعمودية في الهواء الطلق تحت الماء الجاري أمر مستحيل تقريبًا لمدة نصف العام. سلام غياد كاتيا، وهو كاهن مندائي في مشروع سكني متهالك في سودرتاليا، وهي مدينة صناعية سويدية استقبلت لاجئين مندائيين أكثر من إجمالي عدد اللاجئين في الولايات المتحدة وكندا، قام بتكييف الطقوس والظروف مع بيئته الحضرية، مستخدمًا مسبحًا عامًا وأداء طقوس التطهير تحت صنبور متدفق بدلاً من النهر المتدفق. [13]

تنص التقاليد المندائية على أنه يجب دفن المتوفى في يوم الوفاة أو اليوم التالي، لكن قوانين وعادات البلدان الغربية التي هاجر إليها المندائيون لا تسهل ذلك. وليس من السهل أيضًا إلباس الجثة بالطريقة المندائية المطلوبة، والتي تتضمن غسل الجسم بالماء الجاري، وإلباس المتوفى ثوب المعمودية الأبيض وربط حزام حول القميص. [14]

لقد أدى تواجد المندائيين في الشتات إلى زيادة الاهتمام الأكاديمي باللغة والأدب المندائي. حصل مشروع لوضع نص لإنجيل يوحنا وترجمته إلى اللغة الإنجليزية على تمويل مؤخرًا. [15]يتوفر الآن معجم للغة المندائية على الإنترنت، [16]بالإضافة إلى مواد لدراسة كنزا ربا.[17]

نصيحة باكلي لأولئك الذين يشعرون بالقلق إزاء محنة المندائيين هي الاتصال بالقنوات المعتادة لمنظمات حقوق الإنسان، مثل منظمة العفو الدولية، والتقارير السنوية لوزارة الخارجية الأمريكية المقدمة إلى الكونجرس بشأن الحريات الدينية الدولية، والموقع الإلكتروني في ألمانيا لجمعية الشعوب المهددة. [18]

آخر الغنوصيين

هناك مقطع صغير غريب يشير إلى أن المندائيين المقيمين الآن في الغرب لديهم مكان في الحداثة وهو ما يلي: قام مسبار الفضاء بين الكواكب نيو هورايزونز بفحص الكوكب القزم بلوتو (الذي تم تخفيض رتبته مؤخرًا من حالة الكوكب الكاملة). كانت هناك مسابقة لاختيار اسم مستوحى من الأساطير لأي جبل مهم قد يتم اكتشافه على بلوتو. كانت شخصيات العالم السفلي ضرورية لبلوتو، لذلك تم طرح كرون، التلة العملاقة من اللحم، كمقترح مندائي، مع حث المندائيين والمتعاطفين المهتمين على التصويت عبر الإنترنت لصالح كرون البغيض. لسوء الحظ، لم يتم الإدلاء بعدد كافٍ من الأصوات، لذلك لن يتمكن كرون من إلقاء تأثيره الشرير على كوكب بلوتو.

تذكر باكلي ملهى ليليًا في مدريد يُفترض أنه سُمي على اسم منطقة الترفيه في طوكيو. النادي في الواقع يُدار من قبل المندائيين. تشتهر الثقافة المندائية بلعبها على الكلمات: اسم النادي الليلي هو كنزا. [19]يتمتع المندائيون بحضور، مهما كان صغيراً، في العالم الحديث.

يصف أحد أقسام كتاب "كنزا اليمنى" الظروف التي ستحدث فيها نهاية العالم: "عندما يدخل كوكب زحل برج العقرب وينتقل من برج العقرب إلى برج الأسد، فإن نهر الفرات العظيم سوف يفرغ نفسه في نهر دجلة، وستظل البلاد البابلية صحراء لمدة خمسين عامًا ... ثم سيتضح أن المسيح الكاذب قادم". قد تكون التفاصيل الفلكية غير دقيقة، وقد تكون الكارثة البيئية غير دقيقة، لكنني سأندهش إذا لم يربط أحد المندائيين المعاصرين هذه الفقرة بتجفيف صدام حسين للأهوار. [20]وبالمثل، علقت الليدي دراور قائلة: "ينظر بعض المندائيين إلى الطائرات التي تحلق فوق رؤوسهم في العراق الحديث، ويسألون أنفسهم عما إذا كان تدمير الإنسان سيحدث بهذه الطريقة". [21]ربما تكون حرب العراق قد اندلعت بعد عقود من الزمن، ولكن تعليقها يحمل في طياته رنيناً نبوياً عند النظر إليه بأثر رجعي.

رأى الباحث ناثانيال دويتش الوضع في العراق على النحو التالي:

> في عهد صدام حسين، كان المندائيون أقلية دينية، مثل الإيزيديين أو الكلدان أو السريان (هناك تنوع هائل من الأقليات الدينية هناك) الذين كانوا متسامحين إلى حد ما، ولكنهم ما زالوا يتعرضون للتمييز بطرق مختلفة، ولكن بشكل عام كان يتم التسامح معهم. كل هؤلاء الأشخاص الذين ذكرتهم كانوا هناك لعدة قرون، وكانوا جزءًا لا يتجزأ من النسيج المحلي. في عهد صدام استمر ذلك. على سبيل المثال، في بلدة فيجنوب العراق قد يكون لديك شارع يسمى شارع الصوبي، حيث كان لدى جميع المندائيين ورش عملهم الخاصة بصناعة المعادن وكانوا يعرفون أن جيرانهم الشيعة والناس قد يكون لديهم صور نمطية عن بعضهم البعض، وربما يكون هناك بعض التوتر في بعض الأحيان، لكن الناس، بشكل عام، يتفقون. ما حدث مع الغزو هو أن هذا النسيج، تلك الروابط المحلية بين الشعوب والأحياء، كل ذلك، في العديد من الأماكن على الأقل، قد تمزق. الأحياء التي كانت متكاملة في وقت ما أصبحت الآن منفصلة. الناس الذين يغادرون لا يستطيعون العودة. إما أنهم لا يريدون العودة أو أن منازلهم تم الاستيلاء عليها أو لم تعد موجودة بعد الآن. بالنسبة لمجموعة مثل المندائيين، فإن الأمر صعب

بشكل خاص لأنهم في كثير من النواحي هم الأكثر ضعفاً بين الضعفاء. وليس لديهم ملاذ آمن، كما هو الحال بالنسبة لبعض المجموعات في الشمال على وجه الخصوص. وتتم طقوسهم الدينية على يد كهنة ذوي مظهر مميز للغاية، ويتم إجراؤها في الهواء الطلق في المياه المتدفقة. وكان هذا مصدرًا للمضايقات، وفي بعض الحالات للعنف، عندما حاولوا أداء بعض طقوسهم. إنه شيء واحد إذا كنت تعيش مع جيرانك وتعرفهم وكان جدهم يعرف جدك، وما إلى ذلك. هناك نوع معين من التسامح مبني على ذلك. لكن عندما تكون لاجئًا في مكان جديد ولا يعرفك أحد من آدم، وتكون مختلفًا وتأتي من الجنوب والآن أنت في الشمال، أنت في بغداد، تصبح أكثر عرضة للخطر، خاصة في الوقت الذي ينخرط فيه الكثير من الناس هناك في أشكال مختلفة من التطهير العرقي بناءً على خلفيات الناس، الدينية وغيرها. لأن المندائيين كانوا منخرطين تاريخيًا في أعمال المعادن، وهو ما قد يكون له علاقة بالدين بمعنى أنه في الشرق الأوسط، ينتهي الأمر بالعديد من الأقليات، على سبيل المثال اليهود في إثيوبيا أو شمال إفريقيا، إلى الانخراط في أعمال المعادن لأن هذه المهنة يُنظر إليها على أنها ملوثة، لذلك غالبًا ما لا ترغب المجموعة المهيمنة في الانخراط فيها. وبذلك ينتهي بك الأمر مع مجموعة أقلية منخرطة في هذا الأمر. ولكن لأنهم منخرطون في هذه المهنة، يُنظر إليهم على أنهم يمتلكون الكثير من المال. ولذلك، أصبحوا أيضًا هدفًا للأشخاص الذين يعتقدون أنهم يستطيعون الحصول على ذهبهم. [22]

من المؤكد أن المندائيين سيحتاجون إلى تكييف دينهم وثقافتهم مع أوطانهم الجديدة إذا أرادوا أن تبقى المندائية. لقد غيّر الإنترنت بالفعل طبيعة التواصل بين أفراد مجموعة سكانية منتشرة الآن بين قارات آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا. ربما يتعين إجراء بعض التكيفات داخل المندائية مع واقع الظروف المعيشية الحديثة، من حيث قبول المتحولين واستقرار عدد السكان أو زيادته. ومن الممكن أن يكون المندائيون قد قبلوا المتحولين في وقت مبكر من تاريخهم. إن قبول المتحولين من الإسلام كان ليكون له نتيجة قاتلة، ولكن الصورة كانت ستكون مختلفة تماما في الغرب العلماني. ولكن في عالمنا الحديث أصبحت الهويات العرقية والدينية متداخلة ومتقاربة. عندما ذهب شاب مندائي في بريطانيا لقص شعره سأله الحلاق العراقي هل أنت عراقي أيضاً؟ "نعم" أجاب.

هل أنت مسلم؟ سأل الحلاق.

"لا، نوعًا ما مثل المسيحي، ولكن ليس حقًا." "حسنًا، قد يكون الأمر أسوأ." "قد تكون شيعيًا."

أحد التحديات الأكثر وضوحًا هو تحقيق كثافة سكانية محلية كافية لتمويل وبناء ودعم مركز طقوس مندائية، والذي يجب أن يقع بجانب نهر في ظل ظروف دينية صارمة. بالنسبة لشعب متفرق لا يتجاوز عدده عشرات الآلاف في جميع أنحاء العالم، فهذه ليست مهمة سهلة.

من أجل بقاء الدين، فإن عصرنا هو بالفعل بمثابة نهاية العالم المندائية. لكن المندائيين انتقلوا من أزمة إلى أزمة على مر القرون وما زالوا صامدين. في عام 1970، علق إدوين ياموتشي بأن المندائية تواجه الانقراض بسبب نقص المرشحين للكهنوت. ومع ذلك فإنها لا تزال قائمة حتى يومنا هذا.

بعض المندائيين الأصغر سنا، بعد أن اكتشفوا أن دينهم يُنظر إليه على أنه شكل من أشكال الغنوصية، بدأوا في التحقيق في أنواع أخرى من الغنوصية. وسيكون من المذهل حقًا أن يتمكنوا من تمثيل خيط متواصل من العصور القديمة وحتى إعادة ازدهار الغنوصية الحديثة. لقد أقنعني كتابة هذا الكتاب بأن المندائيين هم في الحقيقة غنوصيون. لقد تساءلت سابقًا عما إذا كان الدين الغنوصي قادرًا على البقاء على قيد الحياة لعدة قرون دون أن يفقد اتجاهاته. لم تنجح أبدًا نماذج رئيسية من الغنوصية، مثل السيثيين والفالنتينيين القدماء، والمانويين والكاثار، في أن تصبح ديانات راسخة لدى الأغلبية، على الرغم من أن المانويين واجهوا صعوبة بالغة في الحصول على الاحترام لعدة عقود.

عندما كانت المانوية هي الديانة الرسمية لإمبراطورية الأويغور.

إذا كانت الغنوصية دين المستضعفين، الذين يحتاجون دائمًا إلى ظالم مسيطر ومتفوق عدديًا، يعبد الإله الخطأ - الإله الكاذب على النقيض من حياة المندائيين العظيمة - فإن المندائية بالتأكيد يجب أن تكون مؤهلة على هذا الأساس. في ظل الأديان العالمية، والأحداث العالمية، والإمبراطوريات والطغاة والسياسة العالمية، فإن المندائيين هم حقًا آخر ديانة غنوصية.

دعونا نأمل أن يكون المندائيون الصامدون طويلو الأمد، وهم آخر مجموعة باقية من الغنوصيين القدماء، لا يزالون يعمدون ويعبدون الحياة العظيمة بعد 2000 عام أخرى.

ملاحظات

مقدمة

1 من مرقس 1: 11، النسخة النموذجة المنقحة (RSV).

2 لا يزال أحد فصول كتاب سابق لي بعنوان "آخر الغنوصيين: المندائيون" في التاريخ السري للغنوصيين يستحق الاهتمام باعتباره نظرة خاطفة سريعة على المندائيين في ضوء تاريخ الغنوصية، ولكنه لا يخدش سطح الموضوع إلا قليلاً وهو أكثر تحفظًا في بعض آرائه. وفي بعض الأماكن تطورت آرائي وأجد الآن أن تقاليد المندائيين الخاصة بأصولهم مقنعة.

3 باكلي، المندائيون ص 122.

4 عادةً ما تُعطى الكلمات المندائية علامات إعراب مختلفة عند كتابتها بالأبجدية اللاتينية . لتسهيل القراءة، قمت بحذف هذه النصوص واستخدام النسخة الأسهل للقراء الناطقين باللغة الإنجليزية حيثما أمكن.

الفصل الأول: ديانة غريبة: ديانات الأقليات في الشرق الأوسط

1 لقد أدان الإسلام الوثنية بنفس القدر الذي أدانتها به المسيحية. لا يتفق الكاتب الحالي على أن الديانات الوثنية كانت هدفًا مشروعًا، على عكس الديانات التوحيدية. كانت الديانات الوثنية قاسية في بعض الأحيان، لكن جميع الديانات الإبراهيمية خاضت حروبًا ومارست القمع في عصور مختلفة من تاريخها. لقد تطورت معظم مظاهر التطور الاجتماعي الحديث والمساواة النسبية من خلال التأثير العلماني ومن خلال التكيف مع التطور التكنولوجي.

2 غوردجييف، لقاءات مع رجال بارزين، ص 65-66.

3 يذكر جيرارد راسل أنه بعد حرب العراق لعن رئيس الوزراء العراقي الشيطان في بداية أحد خطاباته أمام البرلمان. واضطر عضو البرلمان اليزيدي الوحيد إلى الاعتراض على استخدام الكلمة. راسل، ورثة الممالك المنسية، ص 73.

4 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص258.

5 ولم أجد أي ذكر للتناسخ في المواد المندائية. تذكر الليدي دراور أن أحد الكهنة قال إنه بمجرد خروج الروح من سجن الجسد، فإنها لا تستطيع العودة إلى الجسد. دراور، مندائيو العراق وإيران، 41.

6 مقابلة مع جيرارد راسل في الغنوصية 6، ص.130–135.

7 ومن الجدير بالذكر أن الهندوسية، التي غالبًا ما ينظر إليها المراقبون العاديون على أنها ديانة متعددة الآلهة، يمكن تصنيفها أيضًا على أنها ديانة توحيدية. وهذا يعني أن كل إله أو إلهة هو شكل من أشكال الإله الواحد المتعالي.

8 السامريون يعيشون كمجتمع صغير في إسرائيل وهم أيضًا إبراهيميون. وعادة ما يتم تجاهلهم عندما يتم ذكر الديانات

الإبراهيمية. قد يعتبرون شكلاً من أشكال اليهودية غير التقليدية، لكنهم يعتبرون أنفسهم دينًا منفصلاً.

9 يُعتقد أن شخصية أخرى تُدعى بهرام، والتي تُجرى المعموديات باسمه، هي تطور لإله هندو إيراني قديم. . ومع ذلك، فإن الأسطورة لا تحترم مصادرها. انظر لوبيري، ص 163.

10 أنا أتحدث هنا عن وجهات النظر الشائعة حول دور الشيطان أو إبليس. هناك حجج مقنعة تشير إلى أن الثعبان في جنة عدن لم يتم التعرف عليه على أنه الشيطان حتى العصر المسيحي.

11 وخاصة المدن القديمة مثل الإسكندرية وروما وأنطاكية.

12 دراور، المندائيون في العراق وإيران، ص52-53.

الفصل الثاني: الأسطورة المندائية

1 دراور، حران كويثا ومعمودية هيبيل زيوا، ص11.

2 السعدي والسعدي، كنزا ربا، المجلد اليمين (كنزا اليمين)، ص 24.

3 السعدي والسعدي، كنزا ربا ،المجلد اليمين (كنزا اليمين)، ص 28.

4 لا ينبغي الخلط بينها وبين لعبة MMORG (لعبة لعب الأدوار الجماعية عبر الإنترنت) التي تحمل نفس الاسم.

5 السعدي والسعدي، كنزا ربا ،المجلد اليمين (كنزا اليمين)، ص 28.

6 السعدي والسعدي، كنزا ربا ،المجلد اليمين (كنزا اليمين)، ص 29.

7 على حد علمي، فإن بتاهيل لا يتطابق مع يهوه. ومع ذلك، ونظراً لتعقيدات النصوص المندائية، فمن المحتمل أن يكون شخص ما قد توصل عبر القرون إلى المعادلة التالية: بتاهيل = أدوناي.

8 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص269.

9 دراور , المندائيون في العراق وإيران , ص 225. ومن الغريب أنه على الرغم من أن الماء النقي يرتبط دائمًا بالضوء والحياة، إلا أن العكس الوجودي يبدو أنه الماء الملوث وليس الجفاف والقحولة، كما قد يتوقع المرء في أرض شديدة الحرارة، وتعتمد على الري في العديد من المناطق. على حد علمي لا يوجد تقليد في اللاهوت التفسيري في المندائية يحاول التوفيق بين كل هذه التناقضات. ولعل طبيعة التغيرات التي تطرأ على الدين نتيجة الشتات تدفع المندائيين إلى محاولة جديدة لفرز أساطيرهم وإعطائها تطبيقات مختلفة. وقد ارتبطت بالفعل بعض النظريات المجردة في علم الكونيات ونشأة الكون بأفكار مماثلة في الفيزياء الحديثة.

10 انظر باكلي، المندائيون، ص 40-48، للحصول على تفسير لروحا، والذي يعتمد على الجوانب الأقل سلبية.

11 دراور، المندائيون في العراق وإيران، ص149.

12 السعدي والسعدي، كنزا ربا ،المجلد اليمين (كنزا اليمين)، 2012، p.v و فورستر ، الغنوص المجلد الثاني: المصادر القبطيةوالمندائية، 1974، ص 215.

13 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 41.

14 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 44.

15 مقابلة مع ميغيل كونر، سيتم نشرها في أصوات أخرى من الغنوصية (مطبعة بارديك: دبلن، 2016).

16 العربي، مهرداد، "الطهارة الطقسية وهوية المندائيين" في إيران و القوقاز 16، ص 166-167.

17 دراور مندائيو العراق وإيران، ص 30. مرة واحدة، كما تقول القصة، ارتدى جميع المندائيين اللون الأبيض، وليس فقط الكهنوت: مندائيو العراق وإيران، ص 36.

18 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 35.

19 دراور مندائيو العراق وإيران،ص 110-113، لمزيد من التفاصيل حول المعمودية ورسم تخطيطي لكوخ الطائفة.

20 تستخدم ليدي دراور المصطلح الدقيق والطبي الزائف "الانبعاث الليلي"، ولكن في مرحلة ما تسميه حلمًا رطبًا. إنها صريحة بشكل غير عادي لوقتها ومكانتها الاجتماعية. مندائيو العراق وإيران، ص 154.

21 يتساءل المرء لماذا يعتبر الانبعاث الليلي مشكلة لدرجة أن هناك قواعد مفصلة للتنقية إذا حدثت. أحد العوامل هو أن الكهنة عادة ما يتزوجون، ويمكنهم الزواج إما قبل أو بعد تكريسهم. ربما يستجيب كاهن شاب رجولي اعتاد على ممارسة الجنس مع زوجته كل ليلة بهذه الطريقة.

22 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 186.

23 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 199.

24 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 180.

25 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 181.

الفصل الثالث: المندائيون يبرزون في التاريخ

1 انظر كوستر ، المجلد الأول، الصفحات 249-251 للحصول على ملخص للوضع في العصور القديمة.

2 باكلي، المندائيون، ص 4.

3 شكري للدكتور أنتوني هارفي من الأكاديمية الملكية الأيرلندية على مناقشة محفزة حول هذا الموضوع.

4 مورغنسترن في "الآرامية البابلية اليهودية والمندائية: بعض نقاط الاتصال" في

آرام دورية 22, ص.1–14.

5 ليس لدي أرقام، لكنني أشك في أن العدد الإجمالي لعلماء المندائية أكثر من بضع عشرات.

6 أعطى هذا المثال جيمس ماكغراث، الذي كان يترجم كتاب يوحنا إلى اللغة الإنجليزية بالكامل لأول مرة.
rogueleaf.com/bookof-john/2011/11/16/30-jesus-comes-tojohn-to-be-baptized/

7 انظر كتاب الجذع العظيم للأرواح لـ جوريون باكلي لاستكشاف تفصيلي للعديد من العلامات النهائية.

8 يقال إن الكتاب الأخير للسيدة دراور، في مراجعة مورغنسترن، كان "عملاً صوفيًا يشير على ما يبدو إلى أن المسيحية تبدأ كبدعة مندائية". حاول كورت رودولف، الباحث الكبير في الغنوصية، دون جدوى نشر الكتاب ويبدو أنه يقبع في أرشيف في مكان ما. يبدو أن الأكاديميين يجدون الأمر محرجًا، ولكن قد يجد الأشخاص المهتمون بالروحانيات الأمر جذابًا، وهو ما قد يكون أكثر جاذبية بالنسبة للمندائيين الناطقين باللغة الإنجليزية في العصر الحديث. ليس لدي أي فكرة عن جودة العمل ولكن دراور يمكنه الكتابة بشكل جيد. انظر مراجعة مورغنسترن لمراسلات باكلي ليدي إي إس دراور العلمية. في مجلة الدراسات السامية 2014 م. مورغنسترن، ص 241.

9 لوبيري، المندائيون، ص 114. في لوبيري يُشار إلى النزاريين باسم النصير، وهي ترجمة لم أتمكن من اكتشافها في أي مكان آخر. ترجمة لوبيري هي ترجمة من الإيطالية، وهو يشير إلى المصادر السابقة غير الأكاديمية لكونتي ونوربيرج، لذلك استبدلتها بـ "نزاري"، وهو المصطلح القياسي الحديث في اللغة الإنجليزية لـ "نصير".

10 باكلي، الجذع العظيم للأرواح، ص 139 – 1500 كان الرقم الذي أعطاه يحيى بهرام لهينريش بيترمان، الباحث الألماني الذي صرح في العراق في عام 1854 لتعلم الماندية.

11 أستخدم الإيمان كمجرد مرادف للدين، ولا أقترح أن الإيمان وليس الغنوص هو محور المندائيّة.

12 على الرغم من أن الكوليرا لم تعد مشكلة بالنسبة للمندائيين، إلا أن الحاجة إلى مياه نهر جارية غير ملوثة لا تزال تشكل صعوبة بالنسبة للمندائيين حتى الآن، حيث يوجد العديد من اللاجئين والمهاجرين الآن في المدن الكبرى. إن أهم صفة في الماء هي جريانه، وإذا توافر هذا الشرط فإنه من الممكن إجراء الطقوس بشكل صحيح.

13 يستخدم المندائيون التقويم الإسلامي.

14 باكلي، الجذع العظيم للأرواح، ص 137، مائل حسب باكلي.

15 باكلي، الجذع العظيم للأرواح، ص 133-147.

16 في سوق الشيوخ، العراق.

17 ماسكو، المندائيون، ص 29. يجب أن تكون هذه هي النصوراية، الطبقة الكهنوتية المندائية.

18 ميريلات، توماس الرسول الغنوصي، الفصل 17.
http://gnosis.org/thomasbook/ch17.html

19 مورغنسترن في "الآرامية البابلية اليهودية والمندائية: بعض نقاط الاتصال" في

آرام دورية *22*,ص .1-14.

20 في عام 1604 تم تصنيف المندائيين على أنهم كلدان، وهو اسم لمسيحيي الكنيسة السورية.

21 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 2. وأضافت أنه "بعد أن أصبح للعراق حكومة وطنية، اختفت [علامات القديس يوحنا المسيحية]".

22 لوبيري، المندائيون، ص 65-66.

الفصل الرابع: فرسان الهيكل في كل مكان

1 إيكو، بندولفوكو. p.x.

2 فرالي ، فرسان الهيكل وكفن المسيح، 2011، ص 62.

3 المنديليون هو قطعة قماش عليها وجه المسيح ويقال أنها كانت تعود إلى فيرونيكا (التي صورت في إحدى محطات الصليب وهي تمسح جبين يسوع) ولها في الواقع نفس المقطع الأول مثل "المندائي" ولكن هذا ليس له أهمية لغوية.

4 فورلونج , معتقدات الإنسان , المجلد I, p.93.

5 وفقًا للتلمود، الذي كان نتاجًا للأكاديميات اليهودية البابلية، قال الحاخام يوحنان: "من يدرس التوراة ولكنه لا يعلمها يشبه الآس في البرية". . التلمود - ماس. روش هاشانا 2 أ.

6 'الاجتماع الأخير لجمعية BSTS: "نورما ويلر" في النشرة الإخبارية للجمعية البريطانية لكفن تورينو: النشرة الإخبارية 32، سبتمبر 1992.

7 أسرار جديدة وغير معلنة حول كفن تورينو: رسالة من نورما سي. ويلر.

8 أسرار جديدة وغير معلنة حول كفن تورينو: رسالة من نورما سي. ويلر.

انظر أيضًا "الدلائل والتأكيدات نحو أصالة كفن تورينو" بقلم نورما سي. ويلر و"هل يُظهر الكفن دفنًا مندائيًا؟" بقلم لويس سي دي فيغيريدو على http://earlychurch.org.uk/article_mandaeans.html

9 انظر بيكنيت وبرينس، كفن تورينو، ص 313–315.

10 هاغ , فرسان الهيكل , 2009, ص 68

11 هاغ, فرسان الهيكل, 2009, ص 122-124 و ص 189-190

11 توماس، "أصول المندائيين الإسرائيليين" في *Studia Antiqua*، 2007، ص 25.

12 راسل، ورثة الممالك المنسية، 2014، ص 56-57 و ص 88.

الفصل الخامس: حران، المدينة الحصينة للصابئة

1 كريواتشيك , بابل , ص 259

2 المراجع إلى القرآن من حليم، القرآن، ص 9، 74، 210.

3 يمكن أن تختلف التهجئة باللغة الإنجليزية بشكل كبير. الصابئة بديل شعبي، وكذلك الصابئة. حتى عندما يتم استخدام تهجئة معينة للتمييز بين الصابئة في جنوب شبه الجزيرة العربية والصابئة في القرآن، على سبيل المثال، فإن هذا لا يكون دائمًا متسقًا من عالم إلى عالم، ولا من مصدر أصلي إلى مصدر، ولا من ترجمة إلى ترجمة.

4 غوندوز، معرفة الحياة، ص 26-27.

5 غوندوز، معرفة الحياة، ص 131.

6 غوندوز، معرفة الحياة، ص 126.

7 غوندوز، معرفة الحياة، ص 131.

8 مقتبس من اقتباس ابن النديم في الفهرسات، من غوندوز، معرفة الحياة، ص 34.

9 سلامان وآخرون، طريق هرمس، ص 55.

10 من حليم، القرآن، ص 193.

11 راسل، ورثة الممالك المنسية، ص62-64.

12 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 275.

13 أبو ريحان الب ؟على الصابئة في كتاب العلامات المتبقية في القرون الماضية. ترجمه ساشاو، *1879*، ص *188*، مقتبس في هابيرل، "المندائية في العصور القديمة وعصور المندائية القديمة"، ص *267-268*.

14 السعدي والسعدي، كنزا ربا،المجلد اليمين (كنزا اليمين)، ص 203.

15 باليس , المندائيون الدراسات، ص 19 .

16 انظر الفصل الثامن على أنهار بابل.

17 راسل، ورثة الممالك المنسية، ص154.

الفصل السادس: "أهل الكتاب"

1 بيكنيت، مريم المجدلية، ص 264.

2 انتشرت معرفة الشخصيات التوراتية من خلال الكتب المقدسة لليهودية والمسيحية. في حين أن العديد من الشخصيات، أو حتى معظمها، هي من أصل يهودي على وجه التحديد، إلا أنه من المحتمل أيضًا أن تكون القصص قد تم الحفاظ عليها من قبل شعوب سامية أخرى. كما أن بعض القصص في الكتاب المقدس هي نسخ من حكايات أو أساطير الشرق الأوسط القديمة، وأشهرها قصة الطوفان. وهكذا كان بإمكان المندائيين أن يحصلوا على هذه الشخصيات والقصص من عدد من المصادر. إذا كانت أصولهم يهودية في الأساس، فقد يكونون قد جلبوا قصص الكتاب المقدس معهم وقاموا بتكييفها مع احتياجاتهم الخاصة. إذا كانت هذه النصوص أقدم من ذلك، فربما يكونون قد احتفظوا بنسخ منفصلة، كما فعل السامريون على الأرجح. وبغض النظر عن أصولهم، فقد كان بإمكانهم تكييف قصص الكتاب المقدس التي أصبحت معروفة لهم من خلال الاتصال باليهود أو المسيحيين أو حتى المسلمين. وأخيرًا، هناك احتمال أن يكون تقليد مثل الطوفان قد تضمن عناصر بابلية، والتي كانت في أصولها أقدم بكثير من الكتاب المقدس.

3 باليس, دراسات المندائيون، ص 129.

4 باكلي، المندائيون، ص 5.

5 هابيرل، "المندائية في العصور القديمة وعصور المندائية القديمة"، ص 267.

6 هناك أسطورة حضرية مفادها أن مياه نهر دجلة المستخدمة في التعميد يتم تطهيرها بواسطة منتج تم إنتاجه في الفاتيكان! لوبيري، المندائيون، ص 27.

7 مقابلة مع المؤلف.

8 باليس, دراسات المندائيون، ص 131.

9 مقابلة مع ناثانيل دويتش، سيتم نشرها في كونر، أصوات أخرى من الغنوصية (مطبعة بارديك: دبلن، 2016)

10 لوبيري، المندائيون، ص 9-10.

11 يجب أن نعترف أيضًا بأن التنوع في تهجئة هذه المصطلحات كبير، مما يزيد من ارتباك العديد من المؤلفين الذين يحددون المجموعات عن طريق الخطأ بسبب الأسماء المماثلة.

12 لوبيري، المندائيون، ص 114-115.

13 بارتليت، الحشاشون، ص 128-130. هودجسون، النظام السري للقتلة،ص 204.

14 وفقًا لراسل، ورثة الممالك المنسية، ص160-161، ادعى فيليب هيتي أن فرسان الهيكل أظهروا علامات على تأثرهم بالدروز.

15 الغنوصي 5.

الفصل السابع: ماني و الدين المفقود

1 جاردنر وليو، نصوص مانوية من الإمبراطورية الرومانية، ص 33. من المحتمل أن تكون الإشارة ولكن ليس لا جدال فيها على الإطلاق: كان من الممكن أن تكون هناك طائفة معمودية أخرى في الأهوار في ذلك الوقت. يرى معظم المعلقين أنه من المعقول ربط المغتسلة بالمندائيين.

2 ماسكو، المندائيون، ص 23.

3 واردينبورج، جاك. (محرر) تصورات المسلمين للأديان الأخرى، ص 37.

4 الغنوصي 5،ص 170.

5 دراور، المندائيون في العراق وإيران، ص54.

6 اعتقدت الليدي دراور أن "الألكسيين كانوا ذات يوم مرتبطين ارتباطًا وثيقًا بالناصريين". دراور،

آدم السري، ص 97.

7 الدهيسي، قصة الخلق في الكتاب المقدس المندائي كنزا ربا،ص 36.

8 احتوى اكتشاف مدينة مادي على مجموعة واسعة من الكتابات المانوية، باللغة القبطية، على ورق البردي. فُقد بعضها خلال الحرب العالمية الثانية، والباقي محفوظ في مكتبة تشيستر بيتي في دبلن وفي متحف الدولة في برلين.

وكما هو الحال مع الكتب المندائية، لو تم اكتشافها الآن لكانت تتصدر عناوين الصحف.

9 ليو، المانويون في بلاد ما بين النهرين والشرق الروماني، ص 69.

10 على الرغم من الأدلة المقنعة لسيف سودربورغ، فإن بعض العلماء يشطبون بلا مبالاة أوجه التشابه بين "مزامير توما" والمواد المندائية بافتراض أن المندائيين تطوروا من المانوية.

الفصل الثامن: على أنهار بابل

1 كتاب الصلاة الكنسي ص 142-143 (ترنيمة رقم 164) اقتبسها الدهيسي في قصة الخلق في الكتاب المقدس المندائي كنزا ربا، ص 20.

2 هابرل، "المندائية في العصور القديمة وقديم المندائية"، ص 98.

3 سميث، (محرر.)، الغنوصي *6*،ص 130.

4 الدهيسي، قصة الخلق في الكتاب المقدس المندائي كنزا ربا،ص 50.

5 الدهيسي، قصة الخلق في الكتاب المقدس المندائي كنزا ربا،ص 25.

6 دراور، آدم السري، ص 104-105.

7 دراور، آدم السري، ص 93.

8 الدهيسي، قصة الخلق في الكتاب المقدس المندائي كنزا ربا،ص 32-33.

9 ياماوتشي، الأخلاق الغنوصية والأصول المندائية، ص 81.

10 دراور، آدم السري، ص 65. يشير الدهيسي إلى أن "لوبيري يقترح أن المندائيين الذين عاشوا في شرسيني منذ القرن الثاني لا بد أنهم اختاروا بهرام (إله ميسان) كإله مسمى لمعموديتهم". (لوبييري، المندائيون، ص 163، من الدهيسي، قصة الخلق في الكتاب المقدس المندائي كنزا ربا،ص 34.)

11 لوبيري، المندائيون، ص 17-18.

12 دراور، كتاب البروج، ص 68-69.

13 باكلي، الجذع العظيم للأرواح، ص 319-320.

14 دراور، "الجدل المندائي" ص .443 نقلا عن ماسكو، المندائيون، ص 59. الليدي دراور مائلة.

15 الدهيسي، قصة الخلق في الكتاب المقدس المندائي كنزا ربا،ص 9-40.

16 دراور، المندائيون في العراق وإيران، ص 744.

17 ماسكو، المندائيون، ص 69-72.

18 ماسكو، المندائيون، ص 101-102. انظر السعدي والسعدي، كنزا ربا،المجلد اليمين (كنزا اليمين)، ص 18-19

كذلك.

19 هابيرل، "المندائية في العصور القديمة وعصور المندائية القديمة"، ص 267. المصطلحات الآرامية محذوفة.

20 كان تموز، المعروف أيضًا باسم دوموزي في الأكادية، متوازيًا مع أساطير أخرى مثل البعل وأدونيس. لطالما اعتبر مثالاً للإله الذي يموت ويقوم، وكان هناك خلاف لبعض الوقت حول قيامته.

21 دراور ، منداثيو العراق وإيران، ص 318. لسوء الحظ، لم يتم تضمين هذا القسم من كنزا في الطبعة الإنجليزية الجديدة.

22 دراور، المندائيون في العراق وإيران، ص 256.

الفصل التاسع: الحروف الهجائية والتعاويذ

1 دراور ، منداثيو العراق وإيران، ص 50. اللون الأزرق يتم تجنبه أحيانًا ويتم وصفه أحيانًا أخرى في الثقافة المندائية. وهذا يعكس المواقف المتناقضة تجاه روحا التي هي شخصية سلبية بشكل عام، والتي يجب تجنب الارتباط بها، لكنها تتطلب أيضًا الاسترضاء على مستوى السحر الشعبي العملي.

2 دراور، المندائيون في العراق وإيران، ص 150.

3 الدهيسي، قصة الخلق في الكتاب المقدس المندائي كنزا ربا،ص 50.

4 دراور، المندائيون في العراق وإيران، ص 311.

5 يمكن استخدام ليليث كمصطلح لأي شيطان أنثى لذلك نرى إشارات إلى "ليليثت" في الجمع. ياماوتشي الأخلاق الغنوصية والأخلاق المندائية، ص 56.

6 ليفين، دان، لعنة أو نعمة: ماذا في الوعاء السحري ؟ كتيب معهد باركس رقم 2، جامعة ساوثهامبتون، ساوثهامبتون، 2002.

7 هناك استثناءات. كان السحر جزءًا من الديانة المصرية القديمة ولا يزال جزءًا من الديانة الأفريقية، على سبيل المثال.

8 دراور، المندائيون في العراق وإيران، ص 4.

9 شنيميلشر، أسفار العهد الجديد غير القانونية؛ الجزء الأول: الأناجيل والكتابات ذات الصلة، ص 445.

10 دراور ، منداثيو العراق وإيران، ص 240-242.

11 كما استخدم مونويموس، وهو غنوصي عربي، رمزية أبجدية ورقمية واسعة النطاق.

12 باكلي، المندائيون، ص 130-133.

13 دراور، المندائيون في العراق وإيران، ص 240.

14 باكلي المندائيون، ص 144-145.

15 ماسكو، المندائيون، ص 21.

16 السعدي والسعدي، كنزا ربا ، المجلداليمين (كنزااليمين)،ص 6 ؛ باكلي، المندائيون، ص 45-46.

17 باكلي، المندائيون، ص 45-46. إن أسلوب الكلام الذي يتم فيه إعلان الأضداد بضمير المتكلم يذكرنا بـ "الرعد العقل المثالي" من مكتبة نجع حمادي. انظر ماير، كتب نجع حمادي، ص 367-377.

الفصل العاشر: بين الغنوصيين

1 يبدو أن تحديد كل من هذه الشخصيات على أنه "ديميورج" يرجع إلى إدراك آباء الكنيسة للتشابه بين الخالق الغنوصي الله وديميورج الحميد لأفلاطون. لا أستطيع أن أفكر في أي نص غنوصي، سواء كان سيثيًا أو فالنتينيًا أو مانيًا أو مندائيًا أو كاثاريًا أو أي شيء آخر، حيث تم تصنيف هذه الشخصية بالفعل على أنها "الديميورج". مع ذلك، فهي تعتبر راحة مفيدة.

2 كونر، أصوات الغنوصية، ص 87.

3 كونر، أصوات الغنوصية، ص 289.

4 تيرنر، جون د. "الغنوصية السيثية: تاريخ أدبي" في هيدريك، تشارلز دبليو وهودجسون، ر. (المحررون)، نجع حمادي، الغنوصية والمسيحية المبكرة، 1986. وبحسب رواية هيبوليتوس، فإن السيثيين حددوا أن "المخلص" يغتسل بالماء المقدس ويشرب الماء الجاري بعد نزوله إلى الهاوية، مذكرين بممارسة الكاهن المندائي الذي يجب أن يشرب الماء الذي يُعمد فيه الناس. (باليس, دراسات المندائيون، ص 196.)

5 باكلي، الجذع العظيم للأرواح، ص 303.

6 ياماوتشي، الأخلاق الغنوصية والأصول المندائية، ص 18.

7 باكلي، الجذع العظيم للأرواح، ص 260.

8 لويس، مقدمة في "الغنوصية"، ص 64 ؛ انظر أيضًا غاديس، لا توجد جريمة لأولئك الذين لديهم المسيح، ص 194-196.

9 إنجيل توما يقول 23 في سميث، إنجيل توما، ص 77.

10 للحصول على ترجمة وتعليق، انظر كتابي كتابات الغنوصية عن الروح.

الفصل الحادي عشر: طوائف، طوائف، طوائف

1 لوبيري، المندائيون، ص *158* ؛ أيضا دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 273-280.

2 انظر بيتريمنت، إله منفصل، ص 472.

3 كوستر، مقدمة للعهد الجديد، مقدمة المجلد الثاني ص 205.

4 غوندوز، معرفة الحياة، ص 99.

5 إيرمان، المسيحيات المفقودة، ص 103.

6 بيتريمنت، إله منفصل، ص 233. كان يُعتقد في السابق أن رسالة بولس إلى أهل كولوسي كانت تهاجم الغنوصيين في وادي ليكوس في السامرة، مما يشير إلى وجود رابط آخر بين السامرة والغنوصية.

7 انظر، على سبيل المثال، لوبيري، المندائيون، ص *171*ن 22.

8 غوندوز، معرفة الحياة، ص 1.

9 للحصول على بعض المقارنات بين السيمعانيين والمندائيين، انظر دراور، آدم السري، ص *89*و.

10 دراور، حران كويثا، ص 7. الأقواس هي أقواس دراور.

11 وايز، أبيج وكوك، مخطوطات البحر الميت، ص 421.

12 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 56.

13 على ما يبدو أن الأسينيون لم يتغوطوا في يوم السبت. راسل، ورثة الممالك المنسية، ص 196.

14 ياماوتشي، الأخلاق الغنوصية والأصول المندائية، ص 59.

15 http://www.crosswinds.net/~essenes/theiring.html

16 ماسكو، المندائيون، ص 123. انظر أيضًا لوبيري، المندائيون، ص 50-51. من الصعب تبرير ذلك بسرد العصور المندائية الأربعة التي بدأ فيها العصر الأول مع آدم والعصر الرابع مع سام.

الفصل الثاني عشر: وأخيراً يوحنا المعمدان

1 لوبيري، المندائيون، ص 125-126.

2 ياماوتشي، الأخلاق الغنوصية والأصول المندائية، ص 39-40. 19. تذكّر أن الرسائل من عالم آخر تُعد من الموضوعات الشائعة في الغنوصية.

3 براون، "ماذا كان يفعل يوحنا المعمدان ؟"، ص 37-38.

4 براون، "ماذا كان يفعل يوحنا المعمدان ؟"، ص 38.

5 براون، "ماذا كان يفعل يوحنا المعمدان ؟"، ص 42. وثيقة دمشق هي نص مركزي من مخطوطات البحر الميت.

6 روبنسون، أولوية يوحنا، ص 136.

7 هناك العديد من الإصدارات المختلفة لهذه الأسماء في الترجمات باللغة الإنجليزية و المصادر العلمية. باكلي، على سبيل المثال، يستخدم يو هانا ويحيى.

8 انظر سميث، التعاليم المفقودة للكاثاريين،لمعرفة المزيد عن هذا.

9 من آثار يوسيفوس لليهود، 18.63، ترجمة إيرل دوهرتي عبر الإنترنت على
http://jesuspuzzle.humanists.net/supp16.htm

10 من المسلم به أن الحجج المتعلقة بجوهر تاريخي للشهادة ليست كلها مجرد اختراق للنص وتقليصه، ولكنها تقدم حججًا وفقًا لمفردات يوسيفوس النموذجية وما إلى ذلك. انظر
http://earlywritings.com/forum/viewtopic.php?f=3&t=1237&sid=3d5a1db4d04b1190c47792897d9dce15#p27374

11 انظر فونك، روبرت دبليو. وندوة يسوع، أعمال يسوع، لتقييم تاريخية الحوادث التي تحدث في الأناجيل، وفونك، هوفر وندوة يسوع، الأناجيل الخمسة، لأصالة الأقوال المنسوبة إلى يسوع.

12 ميد، يوحنا المعمدان الغنوصي ، ص 129.

13 فارمر، قاموس أكسفورد للقديسين، ص 215.

14 ماير، كتب نجع حمادي، ص 26.

15 يظهر يوحنا المعمدان لفترة وجيزة في إنجيل توما. على الرغم من أن إنجيل توما موجود في المخطوطة الثانية من مكتبة نجع حمادي، والتي كانت تستخدم بوضوح من قبل الغنوصيين، إلا أنه لا يعتبر غنوصيًا بأي معنى سيثي أو فالنتيني.

16 ماير، كتب نجع حمادي، ص 613-628.

17 لايتون، كتب نجع حمادي، ص 616.

18 ماير، كتب نجع حمادي، ص 663-678.

19 السعدي والسعدي، كنزا ربا،ص 121-124.

20 لا يتم تمثيل يوحنا المعمدان في كتاب يوحنافقط. يصف الكتاب السادس من كتاب كنزا الأيمن لقاء يوحنا مع ماندا دي هايي وموت يوحنا (يُعطى يوحنا باسم يحيى في باكلي).

21 لوبيري، المندائيون، ص 125.

22 باكلي، الجذع العظيم للأرواح، ص 305.

23 يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، 1.11.1–6.

24 دراور، آدم السري، ص 101. يظهر يوهيو المشار إليه هنا في مكان آخر من هذا الكتاب في شكل يحيى.

الفصل الثالث عشر: يسوع المرتد

1 قد تكون مكانة يسوع قد تضاءلت بطرق معينة. اعتقد العديد من أتباع فالنتين أن يسوع عندما جاء إلى الأرض لم يكن له جسد مادي حقيقي. بالنسبة للغنوصيين السيثيين، كان يسوع مجرد أحدث تجسيد لسيث، الابن الثالث لآدم وحواء. ولكن لم يصور أحد من الغنوصيين القدماء يسوع كشخصية شريرة، أو حتى شخصية مضللة.

2 ديفيز، الاستحواذ الروحي وأصول المسيحية، ص 3-5.

3 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 176.

4 إن الموقف المندائي من يسوع كمرتد هو موقف قديم ولا يبدو أنه ذو صلة كبيرة هذه الأيام. في النصف الأول من القرن العشرين، قيل لـ الليدي دراور: "لكن النبي موسى لم يسمح لنفسه بالختان قط، ولم يفعل النبي يسوع ذلك أيضًا، لأن يسوع كان من طائفتنا، وهم لا يسمحون بالتشويه". دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 268.

5 براون، مجتمع التلميذ المحبوب، ص 29-30.

6 إن الشخصية الغامضة التي تحتل مكانة متميزة في الإنجيل الرابع هي ما يسمى بالتلميذ المحبوب، أو "التلميذ الذي أحبه يسوع" (يوحنا 13: 23). من المفترض تقليديًا أن هذا هو يوحنا، ولكن هناك بالتأكيد مرشحين آخرين: ربما تكون مريم المجدلية هي البديل الأكثر إثارة للجدل، ولكن قضية مريم باعتبارها التلميذة الحبيبة ليست خالية من مزاياها.

7 مقدمة لوقا هي إلى حد كبير استثناء يثبت القواعد، لكن المقدمة ليس لديها الكثير لربطها بالجسم الرئيسي للإنجيل.

الفصل الرابع عشر: موطن المعمدانيين

1 www.nabataea.net/Nabataea_Early_History.html
2 ماسكو، المندائيون، ص 14.

3 دراور، حران كويثا، ص 3.

4 سيلاحظ القارئ اليقظ أن تهجئة حران ليست موحدة. تتعارض تهجئة مدينة حران في شمال بلاد ما بين النهرين مع تهجئة حران كويثا. البديل الآخر هو حوران.

5 هذه كلها محاولات للترجمة الحرفية إلى اللغة الإنجليزية لذلك لا ينبغي بذل الكثير من الاختلافات.

6 رو، العراق القديم، ص 382-384.

الفصل الخامس عشر: البقاء على قيد الحياة: آخر الغنوصيين

1 لقد عرفت أن المندائيين في الغرب يخجلون من دينهم حتى بعد أن يتحدثوا علنًا أو إلى وسائل الإعلام عن الوضع.

2 تقرير الدين، "المندائيون في أستراليا "، 11 يونيو 2003،
www.abc.net.au/rn/talks/8.30/relrpt/stories/s877145.htm

3 معهد تقارير الحرب والسلام (IWPR). انظر http://iwpr.net/report- news/mandaean - south- iranian - lives - faith. لا يُسمح للمندائيين بالالتحاق بالجامعة.
www.abc.net.au/cgi-bin/common/printfriendly.pl?
http://www.abc.net.au/rn/talks/8.30/relrpt/stories/s877145.htm

4 العربي، "الطهارة الطقسية وهوية المندائيين"، ص 158.

5 اقتباسات من جورون باكلي هي من مقابلتي معها عبر البريد الإلكتروني في 27 يناير 2011. اقتباسات إضافية مأخوذة من مقابلة البودكاست الخاصة بها "اكتشاف المندائيين" المتاحة على
http://www.bowdoin.edu/podcasts/

6 يمكن تنزيل التقارير السنوية لحقوق الإنسان من موقع اتحاد جمعيات المندائيين
www.mandaeanunion.org. يتضمن التقرير السنوي أسماء جميع المندائيين الذين تم قتلهم أو اختطافهم. يتم

تلخيص الانتهاكات في مقال " من يهتم بالمندائيين ؟"، والذي يمكن العثور عليه على
option=com_content&view = article&id=3198: who ؟www.islammonitor.org/index.php
[- care - for - mandaeans&catid =190&Itemid=59 على سبيل المثال، في عام 2009، تم ذبح ثلاثة من تجار المجوهرات المندائيين في بغداد
.(www.humanrightsdefence.org/save-themandaeans-of-iraq.html)

7 انظر www.hrw.org/en/reports/2011/02/21/crossroads حيث يمكن تنزيل ملف PDF من تقريره الشامل. يمكن رؤية المزيد من صوره على Flickr
(www.flickr.com/photos/sultan/sets/72157623907031141/with/4622605961/)
(/(www.flickr.com/photos/sultan/sets/72157623907031141/with/4622605961

8 الجزية هي ضريبة الحماية، وهي ضريبة رئيسية طالب بها الحكام الإسلاميون الأوائل من رعاياهم غير المسلمين مقابل الاستقلال الذاتي الطائفي والحماية العسكرية.

9 تم العثور على وصفه للمندائيين في تقرير عام 2011، ص 65-68.

10 إن البحث على موقع يوتيوب عن المندائيين يعطي أمثلة عديدة لمعموديات مصورة.

تتوفر أيضًا وصفة للبط المتبل على الطريقة المندائية. يُسمح للمسلمين فقط بأكل البط البري، لذلك فإن وجود البط في مزرعة هو مؤشر جيد على أن العائلة مندائية.

11 يبدأ قسم المندائيين في سيدني حوالي الساعة 33:30 في الحلقة الأولى.

12 انظر المقال على www.gfbv.de/pressemit.php؟idffi1420 تشير تقديرات أخرى إلى أن الرقم منخفض يصل إلى 3500. كانت جوريون باكلي شاهدًة خبيرًة للمندائيين في محاكم الهجرة منذ تسعينيات القرن العشرين. قالت باكلي: "من الصعب للغاية إقناع السلطات القانونية الأمريكية ودائرة الهجرة والتجنيس [التي أصبحت الآن تابعة لوزارة الأمن الداخلي] بوجود أسباب معقولة للخوف من الاضطهاد والتعذيب والسجن وما إلى ذلك عند إعادتك إلى بلدك". تم استدعاؤها لأول مرة كشاهدة خبيرة لدى وزارة العدل الأمريكية في محكمة الهجرة في سان دييغو في عام 1995. هناك صعوبات خاصة في تمثيل هؤلاء الأشخاص غير المعروفين. "يجب عليك تثقيف القاضي." يجب أن تكون على علاقة جيدة جدًا مع محاميك. قد لا يعرف محاميك أي شيء عن هذا الأمر إلا إذا عمل مع المندائيين من قبل. ووجدت أن المسؤولين الأميركيين واجهوا صعوبة في فهم طبيعة الشريعة الإسلامية ونقص التمثيل للمندائيين في العراق وإيران بسبب الفصل بين الكنيسة والدولة في أميركا.

13 انظر المقال على
.www.nytimes.com/2007/04/09/world/europe/09ihtmandeans.4.5202220.html

14 شاهد مقابلة الفيديو "اللاجئون العراقيون في السويد: كاهن مندائي يتحدث " على
www.minorityvoices.org/news.php/en/281/iraqi-refugees-in-sweden-amandaean-
.priest Speaks

15 www.nytimes.com/2007/04/09/world/europe/09ihtmandeans.4.5202220.html. تتألف ترجمة ميد المنشورة في كتاب يوحنا المعمدان الغنوصي من مختارات مترجمة فقط من النسخة الألمانية للنص المصدر.

16 http://www.mandaic.org/Mandaic/lexicon/main.htm

17 https://sites.google.com/site/ginzarba/ginza-rba-download

18 جمعية الشعوب المهددة باللغة الألمانية هي Gesellschaft für bedrohte Völker، أو GfbV(www.gfbv.de).الموقع المركزي لمجتمع المندائيين هو اتحاد جمعيات المندائيين (www.mandaeanunion.org).

19 باكلي، المندائيون، ص 151.

20 باليس, دراسات المندائيون، ص 20. هذه الفقرة ليست جزءًا من مختارات كنزا التي تُرجمت مؤخرًا إلى اللغة الإنجليزية.

21 دراور، مندائيو العراق وإيران، ص 92-93.

22 مقابلة مع ميغيل كونر، سيتم نشرها في أصوات أخرى من الغنوصية (مطبعة بارديك: دبلن، 2016).

مسرد

تتضمن الاتفاقية العلمية في ترجمة المندائية إلى الأبجدية الغربية استخدام علامات إعرابية مختلفة، معظمها غير مألوفة لدى عامة الجمهور. لقد اخترت استبعاد هذه من أجل سهولة القراءة. هناك العديد من الاختلافات في التهجئة في النصوص الأكاديمية القياسية. أترجم "sh" بدلاً من "s" و "th" بدلاً من "t" حيثما كان ذلك مناسبًا. للحصول على مجموعة واسعة من المصطلحات الغنوصية، انظر كتابي السابق قاموس الغنوصية (كويست بوكس، ويتون، إلينوي، 2009).

أباغا الأبجدية المندائية

أباثور "حارس الموازين"، الحياة الثالثة، التي تسمى أحيانًا بهاق زيوا، انبثقت من الحياة العظيمة. والد بتاهيل.

أدا آدم – انظر أيضًا هوا

أدوناي وفقًا للمندائيين، وهو إله شرير كان أيضًا الشمس وإله العبرانيين.

أنديرونا كوخ عبادة بني لحفلات الزفاف وتأهيل الكهنة، متميز عن الماندا.

أنوش أوثرا ،منقذ أو شخصية كاشفة، أي ما يعادل أنوش في الكتاب المقدس.

بهرام إبراهيم

بَهَق زيوا انظر أباثور

ديميورج الإله الأدنى المسؤول عن خلق العالم المادي. في الغنوصية، عادةً ما يكون الخالق جاهلًا أو شريرًا.

ديوان مخطوطة

ديوان أباثور نص مندائي يصف رحلة الروح/النفس.

دموتا الصورة المثالية أو النظير السماوي في عالم النور.

درابشا هو معيار خشبي على شكل صليب للطقوس المندائية ملفوف بقطعة قماش وملفوف بقطع الآس.

غانزيبرا كاهن كبير، يشبه أحيانًا الأسقف.

كنزا أحد الكتب المقدسة للمندائيين وربما الأكثر أهمية. كنزا تعني "الخزانة" والعنوان الكامل هو كنزا رابا، وأحيانًا يترجم إلى كنزا ربا. يتكون كتاب كنزا في الواقع من كتابين مرتبطين معًا كواحد. يرتبط كنزا الأيسر و كنزا الأيمن رأسًا على عقب ببعضهما البعض بحيث يمكنك فتح أحدهما والقراءة، ثم قلب الكتاب لبدء قراءة الآخر.

كنزا الأيسر الأصغر من كتابين من كنزا، والذي يحتوي على تراتيل للموتى ويهتم بصعود الروح.

كنزا الأيمن الأكبر من كتابين من كنزا ،والذي يحتوي على مجموعة من الأساطير والمواد الأخرى.

كتاب يوحنا المعروف أيضًا باسم كتاب الملوك هذه مجموعة من الخطابات المنسوبة إلى يوحنا المعمدان، والتي ترجمها ميد باسم كتاب يوحنا المندائي.

حواء إيف – انظر أيضًا أدا

هيبا رابا "الحياة العظيمة"، الكائن الأسمى في المندائية.

هبيل هابيل. في الأساطير المندائية، هو أيضًا أوثرا من عالم النور. عمد آدم.

هيميانا حزام أو حزام شعائري

عشتار إلهة الحب والحرب والموت البابلية.

كاسيا مخفية، سرية، غامضة

إكليل زهور الآس كيليلا

كرون شخصية في العالم السفلي، كومة كبيرة من اللحم

كوشتا طقوس قبضة اليد اليمنى المندائية التي تمثل الاتحاد مع هذا العالم وعالم النور ؛ أيضا صفات الصدق، وما إلى ذلك التي تمثلها.

ليليث شيطان أنثى، مشتركة في الثقافات السامية (من ليليث).

ملكا الملك ؛ يستخدم أيضا لـ أوثري.

مالكا دهشوكا ملك الظلام - سيد رأس الأسد للمياه المظلمة الذي يخلق الشياطين.

مانا الروح ؛ الوعاء

ماندا جذر اسم المندائيون هو ماندا، وهوما يعني "المعرفة" أو الغنوص. يُعرَف الحيِّز الدّينيّ المُستخدَم للمُعموديّات النّظاميّة للمندائيّين باسم المندي، من نفس الجذر. وبالتالي فإن المندائيين هم شعب الغنوص ومنديهم هو مكان الغنوص.

ماندا دي هاي "معرفة الحياة"، الشخصية الرئيسية الكاشفة عن المندائيين، والتي تُترجم أيضًا باسم "ابن الحياة" أو "صورة الحياة".

ماندي أكواخ الطائفة المندائية

مارا درابوتا "سيد العظمة" الكائن الأسمى في المندائية، اسم آخر للحياة العظيمة.

مارجنا عصا " الماء الحي"

ماسبوتاالمعمودية الأسبوعية مع غمرات متعددة يليها تناول طقوس خبز بيتا وشرب الماء والدهن بزيت السمسم.

الماسيقتا قداس للموتى

مشونيا كوشتا عالم الأشكال المثالية ؛ الجنة.

موسى موسى

النصارى في الدائرة الداخلية للكهنوت المندائي.

نيشيمتا الروح/النفس

باغرا جسم

مهرجان **بانجا** الذي يستمر خمسة أيام بين نهاية العام ورأس السنة الجديدة.

بتاهيل الحياة الرابعة، التي تسمى أحيانًا جبرائيل، وهو ديميورج خلق آدم، جامدًا حتى تصل أداكاس (آدم كاسيا، "آدم المخفي ") روحه من عالم النور.

القلستا التراتيل وغيرها من المواد الليتورجية المستخدمة في طقوس واحتفالات المندائيين. المعروف أيضا باسم كتاب الصلاة الكنسي أو الشعيرة المندائية .

راستا رداء طقسي

رتنا اللغة المندائية المنطوقة أو المندائية الجديدة

ريش أما الرئيس الروحي للمندائيين، أعلى رتبة دينية – لا توجد ريش أما منذ زمن.

روحا "الروح" المندائية المكافئة لصوفيا، تسقط من عالم النور إلى الظلام.

روحا هي ما يعادل النفس في التقاليد الغنوصية الأخرى، وليس الروح.

الصابئيون ذكر "أهل الكتاب" المجهولون في القرآن أنهم يستحقون التسامح من المسلمين. تم تحديد المندائيين على أنهم صابئة، وبالتالي تم الاعتراف بهم على أنهم "أهل الكتاب" (لكتبهم المقدسة كنزا) داخل الإسلام، على الرغم من الاضطهاد الدوري.

الشيخ – مصطلح عربي يستخدم لشيخ أو زعيم أو كاهن ؛ يستخدم على نطاق واسع في الشرق الأوسط في العديد من الأديان.

شغاندا، مساعد أو تابع في الطقوس الدينية

سكاندولاختم حديدي

التارميدا كاهن

تيبيل العالم المادي.

أور تنين، سيد الظلام، ابن روحا.

أوثري كائن نوراني، الكهنة السماويون الذين هم نماذج ومثل الكهنة المندائيين.

يالوفا شخص متعلم عادي

ياما دسوف "بحر النهاية"، الذي ستلقى فيه النفوس المسجونة في اليوم الأخير.

ياردنا نهر الأردن ؛ نهر النور ؛ المياه الجارية المستخدمة للمعمودية. **يوما دانا** يوم الدينونة المندائي، الذي ستلقى فيه النفوس المحاصرة في ياما دسوف (" بحر النهاية ").

يوشامين الحياة الثانية، انبثقت من الحياة العظيمة.

زيوا إشراق ؛ يستخدم أحيانًا كنعت للأوثري ،لا سيما هبيل زيوا وبهق زيوا.

ثبت المراجع

الدهيسي، قصة الخلق في الكتاب المقدس المندائي كنزا ربا،ص 50. دكتوراه كلية لندن الجامعية. بروكويست، آن أربور، 2013.

السعدي، قيس مغششش والسعدي، حامد مغششش، كنزا ربا.

دربشة للنشر، 2012.

العربي، مهرداد، "الطهارة الطقسية وهوية المندائيين" في إيران والقوقاز 16، بريل، لايدن، 2012، ص 153-168.

بيغنت، مايكل، علم التنجيم في بلاد ما بين النهرين القديمة. بير آند كومباني، روتشستر، فيرمونت، 2015.

بيكر، كارين، الشعوب الخفية في العالم: مندائيو العراق. VDM Verlag، ساربروكن، 2009.

بيكر-برايان، نيكولاس ج.، المانوية: عقيدة قديمة أُعيد اكتشافها، تي آند تي كلارك، لندن، 2001.

بارنستون، ويليس، ومارتن ماير، الكتاب المقدس الغنوصي، شامبالا، بوسطن، 2003. باربر، مالكولم، محاكمة فرسان الهيكل، مطبعة جامعة كامبريدج، كامبريدج،

1978.

باربر، مالكولم، الفارس الجديد، مطبعة جامعة كامبريدج، كامبريدج، 1995. بارتليت، دبليو بي، الحشاشون: قصة الطائفة السرية للإسلام في العصور الوسطى، سوتون، ستراود،

2001.

بيدون، جيسون ديفيد، الجسد المانوي: في الانضباط والطقوس، مطبعة جامعة جونز هوبكنز، بالتيمور، 2002

بيركس، والتر، كنز مونتسيغور: دراسة بدعة الكاثار وطبيعة سر الكاثار، مطبعة أكواريان، لندن، 1987.

بويس، ماري، مصادر نصية لدراسة الزرادشتية، مطبعة جامعة مانشستر، مانشستر، 1984.

برايتون، سايمون، في البحث عن فرسان الهيكل، أوريون، لندن، 2008.

براون، كولين، "ماذا كان يفعل يوحنا المعمدان ؟" في نشرة البحوث التوراتية 7، 1997، ص 37-50.

براون، ريمون إي، مجتمع التلميذ المحبوب. مطبعة بولست، نيويورك، 1979.

باكلي، جورون جاكوبسن، "كاشفتان غنوصيتان" في تاريخ الأديان 22، لا.

1، 1982، ص 60-84.

باكلي، جورون جاكوبسن، الجذع العظيم للأرواح: إعادة بناء التاريخالمندائي، مطبعة جامعة أكسفورد، نيويورك، 2002.

باكلي، جورون جاكوبسن، "قلب الطاولة على يسوع: وجهة النظر المندائية" في تاريخ المسيحية الشعبي، تحرير ريتشارد هورسلي، المجلد 1: الأصول المسيحية، فورتريس برس، فيلادلفيا، 2005، ص 94-109.

باكلي، جوريون جاكوبسن وألبرايل، إيزيو، "الدين المندائي" في موسوعة الدين، الطبعة الثانية، المجلد 8، مرجع ماكميلان الولايات المتحدة الأمريكية، فارمنجتون هيلز، ميشيغان، 2005، ص 5634-5640.

باكلي، جوريون جاكوبسن، المندائيون: النصوص القديمة والناس المعاصرون، دار نشر جورجياس، بيسكاتاواي، نيو جيرسي، 2010.

بيرك، الكسندر ج.، الابن.، يوحنا المعمدان: النبي والتلميذ، مطبعة القديس أنتوني ماسنجر، سينسيناتي، 2006.

تشورتون، توبياس، الغنوصيون، جورج وايدنفيلد ونيكلسون، لندن، 1987. تشورتون، توبياس، البناؤون الذهبيون، وايزر، نيويورك، 2005.

تشورتون، توبياس، الفلسفة الغنوصية: من بلاد فارس القديمة إلى العصر الحديث، التقاليد الداخلية، روتشستر، فيرمونت، 2005.

تشورتون، توبياس، أسرار يوحنا المعمدان: إرثه في الغنوصية والوثنية والماسونية. التقاليد الداخلية، روتشستر، فيرمونت، 2012.

كونر، ميغيل، أصوات أخرى من الغنوصية، مطبعة بارديك، دبلن، 2016.

كونر، ميغيل، أصوات الغنوصية: مقابلات مع إلين باجلز، مارفن ماير، بارت إيرمان، بروس تشيلتون وغيرهم من كبار العلماء، مطبعة بارديك، دبلن، 2010.

كوليانو، إيوان ب.، شجرة الغنوص، هاربر سان فرانسيسكو، سان فرانسيسكو، 1992.

ديفيز، ستيفان إل، الاستحواذ الروحي وأصول المسيحية، مطبعة بارديك، دبلن، 2014.

دنتزر، جان ماري وأوجي، كريستيان، البتراء: مدينة الوردالأحمر. ثامز وهودسون، لندن، 2000.

دوريس، جان، الكتب السرية للغنوصيين المصريين. إم جيه إف بوكس، نيويورك، 1986. داونز، ريتشارد، في البحث عن العراق: بغداد إلى بابل. نيو آيلاند، دبلن، 2006.

دراور، إي. إس.، كتاب مندائي عن السحر الأسود في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وأيرلندا، العدد 2 (أكتوبر 1943)، ص 149-181.

دراور، إي إس، كتاب البروج: سفر مالواسيا، موراي، لندن، 1949.

دراور، إي. إس .، ديوان أباتور أو التقدم من خلالالمطهرات، ستودي إي تيستي 151. مكتبة الفاتيكان الرسولية، مدينة الفاتيكان، 1953.

دراور، إي إس، حران كويثا، ستوديا إي تيستي 176. مكتبة الفاتيكان
الرسولية، مدينة الفاتيكان، 1953.

دراور، إي. إس.، كتاب الصلاة القانوني للمندائيين، إي. جيه. بريل، ليدن، 1959. دراور، إي إس، آدم السري، مطبعة كلارندون، أكسفورد، 1960.

دراور، إي. إس.، الألف واثني عشر سؤالا: نص مندائي، أكاديمية فيرلاغ، برلين، 1960.

دراور، إي إس ، مندائيو العراق وإيران، إي جي بريل، لايدن، 1962. إيكو، أمبرتو، بندول فوكو. فينتاج، لندن، 2001.

إيرمان، بارت، المسيحية المفقودة، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد، 2003. آيزنمان، روبرت ، جيمس، أخو يسوع، بنغوين، لندن، 1998.

آيزنمان، روبرت، قانون العهد الجديد، واتكينز، لندن، 2006.

إلياد، ميرسيا وكوليانو، إيوان،دليل هاربر كولينز الموجز لأديان العالم: الموسوعة الألف إلى الياء لجميع التقاليد الدينية الرئيسية، هاربر سان فرانسيسكو، سان فرانسيسكو، 2000.

إندريس، غيرهارد، الإسلام: مقدمة تاريخية، مطبعة جامعة إدنبرة، إدنبرة، 2002.

يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، دار البطريق، لندن، 1989.

فيفر، أنطوان (محرر); هانيغراف، فوتر ج. (محرر)؛ فان دن بروك، رويلوف (محرر)؛ براك، جان بيير (محرر.)، قاموس الغنوص والباطنية الغربية، إي جي بريل، ليدن، 2006.

فارمر، ديفيد هيو، قاموس أكسفورد للقديسين. مطبعة جامعة أكسفورد ، أكسفورد ،1982

فورستر، فيرنر. الغنوصية: مجموعة مختارة من النصوص الغنوصية. المجلد الثاني: المصادر القبطيةوالمندائية، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد، 1974.

فورلونج، ج. ر. ج.، معتقدات الإنسان: موسوعة الأديان، المجلد الأول، مطبعة سيليفايس، ليدز، 2006.

فرالي، باربرا، فرسان المعبد وكفن المسيح، مافريك هاوس، دنبوين، 2011. فونك، روبرت دبليو.، هوفر، روي دبليو.، وندوة يسوع، الأناجيل الخمسة،

هاربر سان فرانسيسكو، سان فرانسيسكو، 1997.

فونك، روبرت دبليو. وندوة يسوع، أعمال يسوع، هاربر سان فرانسيسكو، سان فرانسيسكو، 1998.

غاديس، مايكل، لا توجد جريمة لأولئك الذين لديهم المسيح: العنف الديني في الإمبراطورية الرومانية المسيحية، مطبعة جامعة كاليفورنيا، بيركلي، 2005.

جاردنر، إيان وليو، صموئيل إن سي ، نصوص مانوية من الإمبراطورية الرومانية، مطبعة جامعة كامبريدج، كامبريدج، 2004.

جيبسون، شمعون، كهف يوحنا المعمدان. السهم، لندن، 2004. (غيلبرت)، (أدريان)، (ماجي)
مونبلييه، مطبعة المدن الخفية، فيرمونت، 2002. جيل، أنطون، صعود وسقوط بابل، كويركوس،
لندن، 2011.

غوندوز، سيناسي، معرفة الحياة، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد، 1994. غوردجييف، اجتماعات جي آي مع رجالبارزين، إي بي داتون، نيويورك، 1976.

هاج، مايكل، فرسان الهيكل: التاريخ والأسطورة، كتب الملف الشخصي، لندن، 2009.

هابيرل، تشارلز ج.، "المندائية في العصور القديمة وعصور المندائية القديمة" في بوصلة الدين، المجلد 6، العدد 5، بلاكويل للنشر، هوبوكن، 2012، ص 262-276.

هابرل ، تشارلز ج ، "الشيطان والفتاة: حكاية شعبية في المانيا الجديدة العراقية" في "من خلال كلمتك تم صنع كل شيء" من قبل راينر فويت (محرر.)، الدولية الثانية

مؤتمر الدراسات المندائية والسامرية 2013 م.

حليم، ماس عبدول، القرآن، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد، 2005.

هيدريك، تشارلز دبليو. وهودجسون، ر. (المحرران)، نجع حمادي، الغنوصية والمسيحية المبكرة، دار هندريكسون للنشر، بيبودي، ماساتشوستس، 1986. كينج، كارين إل، ما هي الغنوصية ؟مطبعة جامعة هارفارد، كامبريدج، ماساتشوستس، 2005.

هودجسون، مارشال جي إس، النظام السريللقتلة، مطبعة جامعة بنسلفانيا، فيلادلفيا، 2005.

الكتاب المقدس: نسخة قياسية منقحة، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد، 2005. هوبكنز، كيث، عالم مليء بالآلهة، فينيكس، لندن، 1999.

كوستر، هلموت، مقدمة للعهد الجديد، (مجلدان)، دي غرويتر، نيويورك، 1982. كريفاسك، بول، بابل: بلاد ما بين النهرين وولادة الحضارة، دار نشر أتلانتيك، لندن، 2010.

كريفاسك، بول، في البحث عن زرادشت، فينيكس، لندن، 2002.

لاكمان، غاري، البحث عن هرمس تريسميجيستوس، دار فلوريس للنشر، إدنبرة، 2011. ليدلر، كيث، رأس الله، أوريون، لندن، 1998.

ليغمان، ج.، ذنب فرسان الهيكل، رودوس وريبس للنشر، سان فرانسيسكو، 1994. ليك، جويندولين، بلاد ما بين النهرين: اختراع المدينة، البطريق، لندن، 2001.

لويس، نيكولا دينسي، مقدمة في "الغنوصية"،مطبعة جامعة أكسفورد، نيويورك، 2013.

ليو، صموئيل ن.س.، المانويون في بلاد ما بين النهرين والشرق الروماني، إي.جي. بريل، ليدن، 1999.

لوبيري، إدموندو، المندائيون: آخر الغنوصيين، دبليو إم. دار نشر بي. إيردمانز، جراند رابيدز، ميشيغان، 2002.

معلوف، أمين، حدائق النور، أباكوس، لندن، 1997.

مارتن، ريتشارد سي. (محرر.)، موسوعة الإسلام والعالم الإسلامي، مرجع ماكميلان، نيويورك، 2004.

مارتن، شون، فرسان الهيكل ، أساسيات الجيب، هاربيندين، 2004.

ماسكو، ماير م.، المندائيون: علم التنجيم الغنوصي كقطعة أثرية للانتقال الثقافي، مطبعة فلوك، تاكوما، واشنطن، 2012.

ميد، جي آر إس، الغنوصي يوحنا المعمدان: مختارات من كتاب يوحناالمندائي، مكتبة المجتمع الغنوصي، 1924.

ميد، جي آر إس، سمعان الساحر: فلسفته وتعاليمه، شجرة الكتاب، سان دييغو، 2003.

ماير، جون ب.، يهودي هامشي: إعادة التفكير في يسوع التاريخي. المجلد الأول: جذور المشكلة والشخص، دوبلداي، نيويورك، 1991.

ماير، جون ب.، يهودي هامشي: إعادة التفكير في يسوع التاريخي. المجلد الثاني: المرشد، الرسالة، والمعجزات، يوم مزدوج، نيويورك، 1994.

ماير، جون ب.، يهودي هامشي: إعادة التفكير في يسوع التاريخي. المجلد الثالث: الصحابة والمنافسون، يوم مزدوج، نيويورك، 2001.

ميركور، دان، الغنوص: تقليد باطني للرؤى والنقابات الغامضة، مطبعة جامعة نيويورك، نيويورك، 1993.

ماير، مارفن، (محرر.)، كتب نجع حمادي: الطبعة الدولية، هاربر وان، نيويورك، 2007.

مونتغمري، جيمس أ.، نصوص التعويذة الآرامية من نيبور، متحف الجامعة، فيلادلفيا، 1913.

مورغنسترن، ماثيو، "الآرامية البابلية اليهودية والمندائية: بعض نقاط الاتصال" في آرام الدورية 22، ص 1-14. جمعية أرام لدراسات بلاد ما بين النهرين السورية، أكسفورد، 2010.

أولسن، أودفار (محرر)، أوراق الهيكل، مطبعة نيو بيج، فرانكلين ليكس، نيوجيرسي، 2006.

باليس، سفند آج، دراسات المندائيون، مطبعة فيلو، أمستردام، 1974.

شريك، بيتر، فرسان المعبد وأسطورتهم،كتب القدر، روتشستر، فيرمونت، 1990.

سيمون بيتريمون، الإله المنفصل: الأصول المسيحية للغنوصية، هاربر سان فرانسيسكو، سان فرانسيسكو، 1990.

بيكنيت، لين، مريم المجدلية، روبنسون، لندن، 2003.

بيكنيت، لين وبرنس، كلايف، كفن تورينو: على صورة من ؟،كورجي، لندن، 2000. بيكنيت، لين، والأمير، كلايف، كشف فرسان الهيكل: الحراس السريين للحقيقة

هوية المسيح، ترانس وورلد، لندن، 2007.

بيكنيت، لين وبرنس، كلايف، أقنعة المسيح، اسفير، لندن، 2008.

بيكنيت، لين، وبرنس، كلايف، رؤيا سيون: داخل العالم الغامض لأساتذة أوروبا السريين، اسفير، لندن، 2008.

بيكنيت، لين وبرنس، كلايف، الكون المحظور، كونستابل، لندن، 2011. بولارد، جاستن وريد، هوارد، صعود وسقوط الإسكندرية، كتب البطريق، جديد

يورك، 2006.

رالز، كارين، فرسان المعبد والكأس، كويست بوكس، ويتون، إلينوي، 2003.

رالز، كارين، موسوعة فرسان المعبد: الدليل الأساسي لأشخاص وأماكن وأحداث ورموز وسام المعبد،مطبعة المهنة،

بحيرات فرانكلين، نيو جيرسي، 2007.

ريد، بيرس بول، فرسان الهيكل، مطبعة فينيكس، لندن، 2001.

روبنسون، ج. أ. ت.، أولوية يوحنا، (محاضرات بامبتون 1984)، مطبعة إس سي إم، لندن، 1985.

رو، جورج، العراق القديم، بيليكان، هارموندسورث، 1966.

راسل، جيرارد، ورثة الممالك المنسية، سايمون وشوستر، لندن، 2014.

سلامان، كليمنت ؛ فان أوين، دورين ؛ ووارتون، ويليام د. (مترجم.), طريق هرمس, داكوورث , لندن , 2001.

شنيميلشر، فيلهلم (محرر.)، العهد الجديد أبوكريفا. المجلد الأول: الأناجيل والكتابات ذات الصلة، طبعة منقحة، جيمس كلارك وشركاه المحدودة، كامبريدج، 1991.

شونفيلد، هيو ج.، ثورة العنصرة، ماكدونالد، لندن، 1974. شونفيلد، هيو جيه، الأوديسة الأسينية، كتب العناصر، شافتسبري، 1985. سكوت، والتر، هيرميتيكا. مطبعة سولوس، شافتسبري، 1993.

سميث، أندرو فيليب، إنجيل توما: ترجمة جديدة تستند إلى المعنى الداخلي، كتب يوليسيس، أوريغون هاوس، كاليفورنيا، 2002.

سميث، أندرو فيليب، إنجيل فيليب: مشروح وموضح، مسارات المنور، وودستوك، فيرمونت، 2005.

سميث، أندرو فيليب، كتابات غنوصية عن الروح: مشروحة ومفسرة، مسارات المنور، وودستوك، فيرمونت، 2006.

سميث، أندرو فيليب، أقوال يسوع المفقودة: مشروحة وموضحة،مسارات المنور، وودستوك، فيرمونت، 2006.

سميث، أندرو فيليب، قاموس الغنوصية، كويست بوكس، ويتون، إلينوي، 2009.

سميث، أندرو فيليب (محرر.)، الغنوصي: مجلة الغنوصية، الباطنية الغربية والروحانية *1*،مطبعة بارديك، دبلن، 2009.

سميث، أندرو فيليب (محرر.)، الغنوصي: مجلة الغنوصية، الباطنية الغربية والروحانية *2*،مطبعة بارديك، دبلن، 2009.

سميث، أندرو فيليب (محرر.)، الغنوصي: مجلة الغنوصية، الباطنية الغربية والروحانية *3*،مطبعة بارديك، دبلن، 2011.

سميث، أندرو فيليب (محرر.)، الغنوصي: مجلة الغنوصية، الباطنية الغربية والروحانية *4*،مطبعة بارديك، دبلن، 2011.

سميث، أندرو فيليب (محرر.)، الغنوصي: مجلة الغنوصية، الباطنية الغربية والروحانية *5*،مطبعة بارديك، دبلن، 2012.

سميث، أندرو فيليب (محرر.)، الغنوصي: مجلة الغنوصية، الباطنية الغربية والروحانية *6*،مطبعة بارديك، دبلن، 2015.

سميث، أندرو فيليب، التعاليم المفقودة للكاثاريين، واتكينز، لندن، 2015. سميث، أندرو فيليب، التاريخ السري للغنوصيين، واتكينز، لندن، 2015.

سمولي، ريتشارد،الإيمان المحرّم: الإرث الغنوصي من الأناجيل إلى شفرة دافنشي، هاربر كولينز، نيويورك، 2006.

سيف سوديبيرغ، تورغني، دراسات في كتاب المزامير القبطية المانوية، المقفيست وويكسلز بوكتريكيري، أوبسالا، 1949.

ستويانوف، يوري، الإله الآخر: الأديان المزدوجة من العصور القديمة إلى الهرطقة الكاثارية، طبعة منقحة، مطبعة جامعة

ييل، نيو هافن، 2000.

تابور، جيمس، سلالة يسوع، هاربر إليمنت، لندن، 2006.

تارديو، ميشيل، المانوية، مطبعة جامعة إلينوي، شيكاغو، 2008. ثيسيغر، ويلفريد، عرب الأهوار، بنغوين، لندن، 1967.

توماس، ريتشارد، "أصول الإسرائيليين من المندائيين" في *Studia Antiqua* 5.2، خريف 2007، ص 3-27.

تيرنر، جون د. "الغنوصية السيثية: تاريخ أدبي" في هيدريك، تشارلز دبليو وهودجسون، ر. (المحررون)، نجع حمادي، الغنوصية والمسيحية المبكرة، 1986، ص 55-86.

فالانتاسيس، ريتشارد، أديان العصور القديمة المتأخرة في الممارسة، مطبعة جامعة برينستون، نيو جيرسي، 2000.

واردينبورج، جاك (محرر)، تصورات المسلمين للأديان الأخرى: مسح تاريخي، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد، 1999.

واسرمان، جيمس، فرسان المعبد والقتلة، كتب القدر، روتشستر، فيرمونت، 2001

ويلسون، إيان، كفن تورينو، البطريق، هارموندسورث، 1979.

وايز، مايكل ؛ أبيج، مارتن ؛ وكوك، إدوارد، مخطوطات البحر الميت: ترجمة جديدة، هاربر سان فرانسيسكو، سان فرانسيسكو، 1996.

ياماوتشي، إدوين م.، الأخلاق الغنوصية والأصول المندائية، مطبعة جامعة هارفارد، كامبريدج، ماساتشوستس، 1970.

ياماوتشي، إدوين م .، الغنوصية ما قبل المسيحية: مسح للأدلة المقترحة، مطبعة تيندال، لندن، 1973.

نشرت هذه الطبعة في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية عام
2016 من قبل واتكينز، بصمة لشركة واتكينز ميديا ليمتد

19 سيسيل كورت، لندن WC2N 4EZ
enquiries@watkinspublishing.com

2 4 6 8 10 9 7 5 3 1

تصميم وطباعة: جايل جونز، مطبوع ومجلد في فلنلدا

يتوفر سجل CIP لهذا الكتاب في المكتبة البريطانية برقم ISBN:
978-1-78028-913-7

www.watkinspublishing.com